

٢٧٠٥٢٩٩٣٢٠

(١)

يسمعني حين يراقصني كلمات ليست كالكلمات

يأخذني من تحت ذراعي يذرعني في إحدى الغيمات

والمطر الأسود في عيني يتساقط زخّات زخّات

يحملني معه يحملني لمساء وردي الشرفات ..

وأنا كالطفلة في يده كالريشة تحملها النسمات

يهديني شمسًا يهديني صيفًا وقطيع سنونوات ..

يخبرني أني تحفته وأساوي آلاف النجمات ..

وبأني كنز وبأني أجمل ما شاهد من لوحات

كلمات ..

يروي أشياء تدوخني تنسيني المرقص والخطوات

كلمات تقلب تاريخي تجعلني .. إمرأة في لحظات

يبني لي قصر من وهم لا أسكن فيه سوى لحظات

وأعود لطاولتي لا شيء معي ....

... إلا كلمات.....

انتِ يا بنتي يادي الأغنية اللي عمالة تسمعي فيها ليل نهار دي ، زهقتيني يا شيخة ، نفسي أعرف عاجبك فيها ايه؟! كلمات كلمات كلمات ، زهقتيني يا حنين بجد، خلاص حفظت الأغنية.

ابتسمت حنين وجلست على سريرها وهي تتمتم بهيام : دي أغنية يتزهق منها يا حور ؟! انتِ ما بتفهميش على فكرة.

جلست حور بجانب أختها وتساءلت بسخرية: تقدري تقوليلي هي بتقول ايه غير كلمات ؟ أغنية بتوضح بكل صراحة ان الحب كلمات ، كلام فاضي وبس ، اهي عمالة توصف وتعيد وتزيد وفي الآخر قالت مش معاها غير كلمات ، يبقى ايه بقى ؟

تنهدت حنين بلامبالاة وأمسكت بوسادتها لتضمها : الحب إحساس ولهفة وانها تضيع بين ايديه وتنسى الدنيا بما فيها ويقدر يملكها بالكلمات اللي انتِ بتقولي عليها دي ، الحب ده شيء جميل وراقي ومش أي حد يكون محظوظ ويقدر يعيشه .

قلبت أختها شفتيها بامتعاض : على فكرة الحب ده وهم وهبل الرجالة بتضحك بيه على البنات علشان يقدر يقرب منها ويمسك ايديها ولا يخرج معاها ، بعدين المفروض انك أختي الكبيرة العاقلة.

ابتسمت حنين و اتجهت لمرآتها تمشط شعرها وهي تقول بثقة: بكرا لما تكبري شوية هتعرفي ايه هو الحب

وقفت حور هي الأخرى وحركت رأسها بيأس : الروايات والأفلام أكلوا دماغك ، على فكرة كل اللي بتقريه بالروايات وبتشوفيه في الأفلام الرومانسية مش بيحصل في الواقع ، لمسة الايد والنظرات والأحضان وكل ده شغل مخرجين بيحركوا الأبطال ويفضلوا يصوروا لحد ما يطلع المشهد بالشكل ده ، لكن في الواقع مفيش كل ده .

التفت حنين وعقدت حاجبيها بملل : طيب مفيش حب سيبيني بقى يا ستي في حالي وفي خيالي أنا حرة فيه ، انتِ إنسانة عملية أنا إنسانة حالمة ، شخصياتنا مختلفة يا حور ، انتِ غيري أو يمكن لما تكبري شوية.

قاطعتها بإصرار : هدخل كلية عملية وأطلع أشتغل وبعدها ممكن أبقى أفكر في الارتباط بعقلي ، خلصي انتِ بس سنتك الأخيرة دي في كليتك وبعدها احلمي يا ستي وعيشي في الخيالات براحتك.

تركتها حور بمفردها فاتجهت لسريرها وابتسمت وهي تمسك روايتها الرومانسية المفضلة وتهمس بتمني : بكرا هعيش قصة حب أجمل من الروايات دي وهتبقي تشوفي يا حور هانم .

غرقت حنين في قراءة روايتها الرومانسية وهي تحلم بذلك البطل المغوار الذي ستعيش معه قصة حب خيالية ، حلمت ووصلت حد السماء وحلقت فوق السحب بأحلامها ، تخيلت نفسها بفستانها الأبيض يوم زفافها على ذلك البطل ترقص معه على أنغام أغنيتها المفضلة (كلمات) وتخيلت أنه يحملها كالطفلة في يده ويحلق بها ، ابتسمت لتلك الأفكار ورسمت آلاف النجمات في السماء .

أما حور ذات السابعة عشر ربيعًا فتوجهت لمكتبها تذاكر دروسها وهي تستنكر أحلام أختها بالحبيب الغامض صاحب الحصان الأبيض وتعجبت أمازال هناك فتيات يحلمن بالخطف من ذلك الفارس ؟ أمازالت الفتيات تصدق أكاذيب الشباب و وعودهم بالحب والعشق والغرام؟!

تنهدت بضيق وتمتمت : ربنا يهديكِ يا حنين، ويارب لو في حب بجد ارزقها بالحبيب اللي هي تستاهله يعيشها الحب الأفلاطوني اللي نفسها فيه .

***

انقضت فترة الامتحانات وأخيرا تخرجت حنين في كلية التجارة جامعة عين شمس، كذلك حور انتهت من دراستها الثانوية وبعكس أختها فميولها علمية بحتة وقررت الالتحاق بكلية الصيدلة.

التفت العائلة حول مائدة العشاء وعلى رأسها السيد عبدالقادر عمران مدير فرع بنك من أشهر البنوك ، علق بابتسامة : اتخرجتِ اهو يا حنين ، الحمد لله اني لسه ما طلعتش معاش علشان أقدر أعينك معايا في البنك.

ابتسمت زوجته صابرين وهي مديرة مدرسة ثانوية للبنات وهتفت : هتقدر تعينها بسهولة يا عبدو ولا ايه ؟

أكد بحماس : طبعا غير اني مدير الفرع فهي من أبناء العاملين ودول ليهم أحقية في التعيين ، تجيب بس شهادتها وبإذن الله هعينها، ايه رأيك يا حنين ؟

توجهت الأنظار لحنين الغارقة في أحلام يقظتها فهتفت حور بمزاح : تلاقيها بتحلم ببطل من أبطال رواياتها.

لكزتها في كتفها لتصرخ حنين بغضب : يا رخمة عايزة ايه ؟

همت حور لتجيبها ولكن سبقتها والدتها التي تحدثت بضيق : سرحانة كده في ايه ؟! بتكلمك من بدري وسيادتك مش بتردي علينا ! لو سمحتِ طول ما سيادتك قاعدة معانا يبقى تكوني بجد قاعدة معانا ، فاهمة ؟

خفضت حنين رأسها بحزن فاعترض والدها : سيبيها يا صابرين براحتها ، البنت فرحانة بتخرجها.

صاحت صابرين بضيق : ما تفرح براحتها محدش اعترض بس تقعد معانا يا عبدو ، ما أختها اهيه هتدخل الجامعة وفرحانة بس بتتكلم معانا مش على طول في أوضتها يا بتسمع أغاني يا بتقرأ روايات رومانسية ! لازم تفهم ان الرومانسية دي مش موجودة في الواقع وتفوق من عالم الأحلام ده.

فتح عبد القادر فمه بدهشة : مين قال ان الرومانسية مش موجودة ؟ ما أنا معاكي اهو مع اننا بقالنا يجي ٢٥ سنة متجوزين !

عقدت حاجبيها بغضب : انت بتخلط الأمور ببعض ليه ؟ أيوة احنا مع بعض بس بعملية مش بالهيام اللي بنتك فاكراه ، مش بنقعد نمسك ايدين بعض ونبص لعيون بعض وأقولك وتقولي شعر!

هتف زوجها باستنكار: وده غلط مين هاه ؟ انتِ بطلي عملية وتفكير بالشكل ده وسيبي البنت تحلم باللي هي عايزاه ويارب تحققه.

وقفت صابرين تعلن انتهاء النقاش بحنق: كلامك ده هيضيعها وهيخليها تحلم بشيء مابقالوش وجود ، مفيش رجالة دلوقتي بتحب وتحلم وهتدلع زي زمان ، دلوقتي الشباب عملية ورتم الحياة بقى سريع ، وبنتك لازم تفوق من أوهامها دي وتشوف الحياة على حقيقتها مش زي الأفلام والروايات .

تركت المائدة ولحقتها حور بينما اقترب عبدالقادر من ابنته يربت على كتفها بحنو: حبيبة قلبي ما تزعليش، مامتك خايفة على مصلحتك ، هي شايفة ان الحياة بقت أسرع من ان يكون فيها حب.

رفعت رأسها وهمست بأمل : يعني في حب بجد يا بابا ؟

ابتسم وهو يؤكد بمرح: طبعا في ، ماهو لو مفيش ماكنتش هتحمل أنا أمك العصبية دي للنهارده.

ضحك كلاهما لتسأل ابنته بفضول: انت بجد بتحبها ؟

زفر شهيقًا طويلًا ثم أجابها: أنا بحبها لكن هي الله أعلم ساعات بحس انها بتحبني وساعات بحس اني شخص عادي ، الله أعلم ، هي بس مشكلتها انها عقلانية وعملية وبتحب تحسب كل حاجة ، احنا بنكمل بعض يا حنين ، وسبحان الله هتلاقي كل زوجين ناجحين بيكملوا بعض ، ربنا يرزقك يا حنون باللي تتمنيه ويعيشك الحب اللي تستاهليه.

***

- يااااه يا ماما أخيرا اتخرجت ! مش متخيلة أنا مبسوطة قد ايه!

قالتها هايدي وكل ملامحها تنطق بالسعادة؛ فسنين التعب والدراسة ولت ولن تعود؛ فهي أبدًا لن تكمل دراسات عليا وستبحث عن عمل وتضع أولى خطواتها بالحياة العملية التي تتشوق إليها.

ابتسمت والدتها (داليا) بفخر : مبروك يا قلبي عقبال ما أفرح بيك بقى .

ضمتها أمها واعترضت : أشتغل الأول يا مامي وبعدها نشوف موضوع الجواز ده.

دخل والدها اللواء محمود بابتسامة : ألف مبروك يا حبيبة أبوكِ، إن شاء الله هكلم عبد القادر نشوفه ممكن يقدر يعينك مع بنته حنين انتيمتك ولا لا؟

همست بفرحة : بجد يا بابا هتكلمه ؟

ربت والدها على كتفها بتأكيد: اه يا حبيبتي هكلمه وبعدين أنا وهو أصحاب ووالدتك ومراته أصحاب

وبيشتغلوا مع بعض في مدرسة واحدة وانتِ وهي أصحاب فليه لا؟ أعتقد عمره ما هيتأخر.

أكدت زوجته : فعلا مش هيتأخر.

تحركت هايدي بفرحة : هروح أكلم حنين وأشوف بكرا هنخرج فين نحتفل وأكلم باقي الشلة .

انسحبت بحماس وراقبتها والدتها لحين اختفائها وتمتمت بحب : ربنا يسعد قلبها يارب.

أمن زوجها : يارب هي وأخوها - تلفت حوله ثم سأل - هو فين معتز ؟

أجابته بهدوء : نزل لصحابه هيحتفلوا مع بعض بنجاحهم السنة دي.

أومأ برأسه مبتسمًا : عقبال ما يتخرج زي أخته كده ونفتحله صيدلية كبيرة تليق بيه .

ابتسمت داليا وتخيلت تلك الصيدلية وابنها يديرها : يارب يا محمود يارب .

***

في منطقة شعبية على ذلك المقهى يجلس إيهاب برفقة صديقه المقرب خالد الذي طلب كوبين من الشاي فقاطعهما هتاف أحد ما يصرخ بسعادة: إيهاب ! هوبا!!!!! .

تلفت إيهاب حوله ليبتسم بفتور : باشا ، ياسين باشا ، فينك يا ابني ؟ اقعد وبطل دوشتك دي .

ابتسم ياسين وجلس بحماس واضح : باركلي الأول .

تبادل خالد وإيهاب نظرات تعجب وسأل الأخير : أباركلك على ايه ؟ فرجني معاك .

ابتسم ياسين بفخر : أخيرا نجحت و اتخرجت.

اختفت ابتسامة إيهاب الذي حاول جاهدا رسمها مجددا على وجهه وتمتم بتهكم : أخيرا يا ياسين ؟! المفروض تكون اتخرجت من ٣ سنين فاتوا بس الحمد لله انك أخيرا نجحت.

ابتسم ياسين وربت على كتفه : البركة فيك بعد ربنا ، المشاريع والرسومات اللي كنت بتعملها لي كانت بتعجب كل الدكاترة وكانوا مستغربين ازاي واحد فاشل زيي بيرسم بالاحتراف ده ؟!

تمتم خالد بمغزى: طيب كويس انك معترف انه هو اللي ساعدك تنجح

وقف ياسين بتأكيد: طبعا معترف المهم أنا رايح أسهر مع اصحابي ، أبويا النهارده راضي عليا ورضاه ايه ما أقولكش ، تيجي معايا يا هوبا ؟

رفض إيهاب بهدوء : لا روح انت مع اصحابك

ترجاه وأمسك ذراعه : ما تيجي بجد هسهرك سهرة ما تحلمش بيها .

ابعد يده بهدوئه المعتاد انت عارف اني ماليش في نوعية سهراتك دي فاتكل انت .

أخيرا ابتعد ياسين وساد الصمت لعدة دقائق قطعه خالد بقلق : إيهاب انت كويس ؟

رفع إيهاب رأسه يبتسم لصديقه وتنهد بإرهاق : كويس يا خالد ، ما تقلقش عليا .

سأله خالد بتوتر : كان دفعتك صح؟

ابتسم لذكرياته المؤلمة : كان بقى، بس المفروض اتخرج من ٣ سنين فاتوا لكن هو فاشل؛ بس عنده أبوه فمش هامه فشله في حاجة - وقف فجأة وأردف- بقولك ايه أنا مروح عايز حاجة ؟

تفهم خالد رغبة صديقه بالانفراد بنفسه قليلا فتركه دون ضغط عليه وراقبه يبتعد وهو يحرك رأسه حزينا لحال صديقه وتذكر ذلك اليوم الذي تعرف فيه عليه ، تذكر ذلك الشاب الصغير الحزين الذي أتى مرغما لعمل لا يقبله ولا يطيقه ، وقف بدوره مغلقا باب ذكرياته وتوجه لبيته؛ فغدًا ينتظرهما يوم متعب في دهان فيلا كبيرة وصاحب عملهما لا يقبل التأخير مطلقا في تسليم أشغاله.

دخل إيهاب منزله لتهتف والدته (قدرية)من الداخل : انت جيت يا ايهاب؟

أجابها بفتور : أيوة يا أمي عايزة حاجة مني ؟ أنا هغير هدومي وأطلع السطوح شوية.

تمتمت بعدم رضا: يا أخويا ياما نفسي أعرف ايه اللي بيعجبك في قعدة السطوح المعفن ده ؟!

تنهد إيهاب بتعب : يا أمة عايزة ايه دلوقتي ؟

مصمصت شفتيها بامتعاض : ما علينا المهم أخوك مازن كان عايز فلوس .

عقد حاجبيه بضيق : خير ليه ؟

وقفت واقتربت منه وابتسمت وهي تربت على كتفه : حبيبي انت عارف ان أخوك نجح النهارده وفرحان بنتيجته .

ابتسم بتكلف : مبروك عارف يا أمي.

ابتسمت وهي تكمل : أخوك كان عايز يحتفل مع زمايله ويخرج وياهم فمحتاج فلوس .

قاطعها ابنها بغضب وهو يمسك ملابسه بملل وغضب : يا امه ارحموني بقى ، أنا مش حمل حفلات يا أمي ، ده أنا بشتغل نقاش.

قاطعته والدته وهي تشهق باعتراض . نقاش؟ بس ايدك تتلف بحرير والكل بيطلبك بالاسم والكل بيقول عايزين إيهاب الفنان ، قال نقاش قال .

استسلم بإرهاق فهو يعلم تماما أن لا فائدة أبدًا من النقاش حين يتعلق الموضوع بمازن أخيه الصغير ، وبالرغم من إنه يصغره بعام ونصف فقط إلا إنه كثيرًا ما يشعر بأنها سنوات طوال ، انتبه من أفكاره علي صوت والدته التي لانت نبرتها وكأنها قرأت أفكاره فحاولت لجمها بلجام المسئولية التي تقع على كاهله : يا حبيبي انت في مقام أبوه وانت سندنا بعد ربنا، يعني لو انت ماديتهوش مين يديه؟ خلينا نفرح بيه ناجح بلاش نحبطه، مش كفاية كسرة قلبي بجامعتك اللي سيبتها عشاننا؟ مش هيكون لا انت ولا هو يا حبيبي.

شرد للحظة بحلمه الضائع، واحتار بعدد تلك اللحظات التي تشابه هذه اللحظة، كم مرة باتت الدمعة في عينيه على وسادته في لحظة مماثلة؟ كم مرة غصت الكلمة بحنجرته بذكرى هذه اللحظة؟ انتبه لصوت والدته تدعو له: ربنا يخليك لينا وما يحرمنا منك وتبقى سندنا على طول يا حبيبي.

ابتسم ابتسامة باهتة مكسورة وكأن لجام لسانها قد أحكمه وطوقه: ولا يهمك يا أمي، نخليه يفرح وماله، هو عايز كام؟

جلت حنجرتها وتنحنحت لتجيبه: عايزة خمسمية جنيه يا حبيبي.

تهكم ممتعضا : خمسمية جنيه علشان يسهر مع أصحابه ؟

تلجلج صوتها بالبداية ثم شقت ابتسامة ثغرها رغمًا عنها كانت تحاول مداراتها وهي تجيبه لتمتص غضبه؛ فهي تعلم مدى حبه لأخوته ورغبته بنجاحهم : يا حبيبي ده بكرا يبقى دكتور قد الدنيا ويفتح عيادة ويشق طريقه بحسك ، وبعدين يا حبيبي ده مع اصحابه مش عايزاه أقل من حد فيهم .

تنفس بوجع وهو يستسلم أمام سعادة والدته وفخرها بابنها الطبيب : حاضر يا أمي ، اديني يومين كده .

رفضت بسرعة: يومين ؟ بقولك عايز يسهر مع اصحابه تقولي يومين؟! طب أقولك هات يا حبيبي أي حاجة معاك دلوقتي .

نظر لوالدته بوجع وتمنى لو يصرخ بأعلى صوته ويطلب منها أن ترحمه وترحم أحلامه المدفونة، وتتوقف عن نبش أوجاعه غير عابئة بها، انتبه مجددا على صوتها تحثه : يلا يا حبيبي هات اللي معاك.

أخرج محفظته بهدوء وأخرج كل ما فيها فأخذتهم والدته وعقدت حاجبيها بعدم رضا: دول ربعماية بس - عبست ثم أردفت - معلش يا حبيبي هكملهم أنا وخلاص، ربنا يخليك لينا

قبل أن تذهب رجعت وأعطته عشرين جنيهًا وتمتمت . خد دول علشان مواصلاتك بكرا.

تركته وهو واقف مكانه غير قادر على الحركة حتى تمكن أخيرًا من جر نفسه للدخول لغرفته ليبدل ملابسه ثم صعد إلى سطوح بيته وجلس على أريكته المتهالكة مثله وغرق في ذكرياته.

استلمت حنين وظيفتها برفقة والدها واكتسبت عدة صداقات بفضل لطفها ومعاملة الهادئة ، ولحقت بها نصفها الآخر هايدي بنفس الفرع ولكن بقسم آخر، وكانتا خفيفتي الظل محبوبتين ممن حولهما.

وبينما كانت في يوم على مكتبها تفاجأت بظل فوق رأسها فرفعت رأسها لتهتف بدهشة : سارة ! ازيك واحشاني ! خير ؟

ابتسمت سارة بكبرياء : خير يا حنين أنا اتعينت هنا زيك ، هطلع للمدير وأنزلك باي.

حاولت حنين إيقافها أو إخبارها أن المدير ماهو إلا والدها لكن اختفت سارة من أمامها بسرعة ظهورها وتعجبت لم تشعر دائما أن سارة لا تحبها بصدق بعكس هايدي التي تشعر معها بالارتياح والحب؟!

انتبهت من أفكارها على هتاف صديقتها دعاء : يا بنتي اللي واخد بالك ! بسألك مين دي ؟!

ابتسمت وهي تجيبها : دي سارة كانت معايا في الكلية وبتقول اتعينت هنا

عقدت دعاء حاجبيها بتفكير : اممم بس شكلها ولبسها وستايلها بيقول انها حاطة مناخيرها فوق أوي ، شوفتِ ماشية ازاي وكأنها بتقول يا أرض اتهدي؟ مش زيك ولا زي هايدي.

ابتسمت حنين لوصفها : هي شوية فعلا شايفة نفسها بس عادية يعني ، باباها عنده شركة كبيرة ، مستواها مبسوط يعني ، المهم سمير جوزك بيشاور لك.

التفت دعاء خلفها لتشير لزوجها ثم أكملت حوارها مع حنين: المهم طيب قبل ما أمشي هتيجي الليلة زي ما اتفقنا ؟ عيد ميلاد رغد بنتي اوعي تتأخري، وأكدت على هايدي كمان.

ابتسمت حنين وأومأت بموافقة . هاجي ما تقلقيش ، على فكرة جوزك بيشاور لك تاني.

ابتسمت ورفعت حاجبيها بمزاح: اهو ده عيب انك تشتغلي مع جوزك في نفس المكان ما تقدريش تألفي أي سبب لتأخيرك لأنه شايفك ، يلا باي أسيبك دلوقتي.

انسحبت دعاء لتلحق بزوجها وراقبتهما حنين بابتسامة وهي تؤكد لنفسها أن الحب موجود وصديقتها دعاء وزوجها خير دليل فهو لا يتركها مطلقًا وطوال فترة العمل وهو يهتم بها من آن لآخر ، قاطع أفكارها مجددا والدها : حنين ! - وقفت لوالدها ولاحظت سارة خلفه تقف مبتسمة بينما أكمل هو - سارة صاحبتك استلمت النهارده معانا بما انكم أصحاب انتِ عرفيها وعلميها زي ما اتعلمتِ، هسيبكم مع بعض.

راقبتا والدها لحين اختفائه وجلست سارة بجانب حنين وهي تهتف بحماس : سيبك من الشغل قوليلي مين المز اللي قاعد في المكتب ده هناك ؟! ومتجوز ولا لأ؟

التفت حنين لترمق صاحب ذلك المكتب ثم أجابتها : ده أستاذ هشام رئيسنا هنا المباشر ، ولأ مش متجوز وخلي بالك عينه زايغة ومش لطيف أبدا.

اتسعت ابتسامة سارة ليلاحظها هشام ويبادلها ابتسامتها وهي تتمتم لرفيقتها : مش لطيف مع اللي زيك لكن أنا أعرف أتعامل معاه كويس - وقفت ورتبت سترة بذلتها - هروح أقدم نفسي له بما انه رئيسنا ، باي يا حنون.

تركتها عابسة ومتعجبة من شخصيتها؛ فهي لا تمل أبدا من الضحك واللهو مع كل شاب يعجبها مظهره أو مركزه .

استمرت حنين وهايدي في عملهما بجد واهتمام، بينما سارة فاهتمت أكثر بالتعرف على كل زملائها .

***

عادت سارة لمنزلها بعد أول يوم عمل لها في البنك برفقة صديقتيها حنين وهايدي وحين دخلت غرفتها

أغلقت الباب وألقت بجسدها المتعب على فراشها الصغير البسيط ثم اعتدلت لخلع حذائها ذي الكعب العالي وألقته بعيدًا وأغمضت عينيها لتفتحهما بغضب بعد قليل عند سماع صوت والدتها ابتسام تصرخ : انتِ يا زفتة يا سارة مش بنادي عليكِ ؟

نفخت بضيق : عايزة ايه يا ماما ؟ ده أنا يادوب لسه راجعة.

صاحت ابتسام بضيق : حمدلله على السلامة يا اختي أعملك تشريفة يعني ؟ قومي يا بت حيلي اتهد طول اليوم من ده لده ، غدي أبوكِ واتغدي معاه وبعدها شطبي المطبخ.

وقفت سارة وهي تتنفس بغضب : حرام عليكم ، أنا لسه راجعة من يوم طويل وبعدين مش عايزة أطفح.

ابتسمت والدتها بتهكم وسخرية : ما تطفحيش يا اختي بس حطي لأبوكِ الطفح يلا غيري هدومك دي وغوري - خرجت وهي تغمغم بحنق - فاكرة نفسها هتبقى هانم لو لبست زي الهوانم ، ياختي كدبتِ كدبة علي أصحابك وصدقتيها .

أغلقت سارة الباب بغضب خلف والدتها وهي تلعن ذلك الحظ الذي جعلها تولد في بيت فقير؛ فوالدها إسماعيل مجرد موظف بسيط ووالدتها ربة منزل ، وقفت بإصرار فهي ستخرج من هذه الحياة وهذا البيت ، تذكرت هشام مديرها وابتسمت بتمني، فآآاه لو يعجب بها ويتزوجها ؟!

***

وقف هشام أمام بيته وبعد أن أخرج مفاتيحه لاحظ إصبعه وبسرعة أخرج خاتمه و وضعه في إصبعه قبل أن يدخل شقته؛ لتقابله زوجته مبتسمة وتضمه بحب : روح قلبي وحشتني.

ابتسم وقبلها : وانتِ يا هدير واحشاني يا قمر عاملة ايه ؟ امال زيد فين ؟

ابتسمت وهي تشير خلفها : قاعد اهو بيلعب.

اقترب من ابنه ذي العام الواحد وحمله بحب : روح قلب بابي ، واحشني يا زيزو .

قبل رأسه و وضعه بحب يكمل لعبه والتفت لزوجته : هدخل أغير هدومي تكوني حطيتِ الأكل .

انسحب من أمامها ليبدل ثيابه وقبل أن يخرج سمع هاتفه فتوجه مسرعًا ليبتسم حين رأى اسمها فأجابها : سارة ازيك يا قمر ، أتمنى تكوني اتبسطتِ أول يوم معانا.

ابتسمت وهي تلعب بخصلاتها : كان يوم بسيط وجميل واتبسطت أكتر بالناس اللي اتعرفت عليهم.

فتح باب غرفته وراقب الطريق وهمس : بقولك يا سارة اديني ساعة كده وأكلمك ، علشان بس سايق يلا باي .

أغلق الهاتف تمامًا و خرج لزوجته التي قابلته: كنت بتكلم حد ؟

ابتسم وهو يضع يده حولها : لا يا قلبي كنت بدندن بس ، عاملة غدا ايه النهارده؟

***

كان يومًا عاديًا من أيام العمل ، حتى لاحظت حنين حالة من الهرج لتقف بتعجب وتسأل الساعي : خير يا صبحي في ايه ؟

هتف برعب : الأستاذ عبدالقادر والد حضرتك تعب شوية وطليوله الإسعـ.......

لم تكمل حنين سماع باقي جملته بل انطلقت لوالدها في مكتبه لتتصدم بحالته وهو غائب عن وعيه وقد افترش تلك الأريكة وكل من حوله يحاولون إفاقته ، تم نقله للمشفى برفقة حنين وهايدي التي رفضت تماما

ترك صديقتها وحدها بهذا الموقف وهشام الذي أصر على إيصالهما للمستشفى فهو لن يترك مديره وزميلتيه وحدهما

لعنت سارة بسرها تخاذلها عن البقاء بجانب حنين وتعللها بأن لديها عملًا لا يحتمل التأجيل؛ فلو أنها ذهبت لكانت الآن برفقة هشام.

وصلت والدة حنين وشقيقتها اللتان ضمتاها بخوف وسألتا عن الأمر، رأف هشام لحال حنين التي لم تستطع النطق بحرف يطمئن أهلها؛ ليخبرهما هو ما حصل وأنهم بانتظار خروج الطبيب من غرفة الفحص.

تجمع الكل أمام غرفة الفحص انتظارًا لرأي الطبيب ، ما إن خرج الطبيب حتى التفوا حوله باهتمام ليراقبهم هو ويبتسم بعملية : الأستاذ عبد القادر الحمد لله أحسن دلوقتي وفاق بس هو محتاج لقسطرة في القلب لأن عنده انسداد في بعض الشرايين.

انهارت حنين وتهالكت على أقرب مقعد خلفها، وتبعتها أختها وهايدي لتجلسا بجانبها بينما اقتربت صابرين من الطبيب بخوف: قولي حالته بالتفصيل ، هو بقاله فترة تعبان وضغطه مش مظبوط وبيتعب من أقل مجهود وكل محاولاتي انه يكشف بيرفضها.

أومأ الطبيب بأسف : للأسف التأخير في الحالات دي بيضر؛ كل حاجة في بدايتها سهلة ، بس على العموم هو إن شاء الله هيتحسن بعد القسطرة دي بس ياريت يرتاح ويحاول يقلل شغله شوية.

أومأت صابرين : طيب شوف تقدر تعملها امتى ؟ واحنا معاك يا دكتور.

ابتسم الطبيب : تمام تقدروا تدخلوا دلوقتي بس ياريت بلاش أي انفعال وخلوه يرتاح.

ابتسمت صابرين . متشكرة لحضرتك يا دكتور ، أقدر أدخله دلوقتي ؟

أومأ بموافقة وراقبها لحين دخولها تلحقها حور بسرعة لتطمئن على والدها بينما بقيت حنين في مقعدها فاقترب الطبيب منها وحدثها بهدوء: ألف سلامة على والدك ، أنا في مكتبي لو في أي حاجة كلموني بعد إذنك.

تركها وهي تحاول السيطرة على دموعها؛ فهي لن تقدر أبدا أن تتخيل حياتها دون وجود والدها بجانبها، انتبهت لهشام وهايدي، وقفت جوارهما وشكرتهما على وقوفهما معها ومتابعة حالة والدها، وأكدت لهما أن حالته استقرت كما أخبرهم الطبيب وطلبت منهما العودة لعملهما فلا جدوى من وجودهما هنا،

شجعاها ليبثا الطمأنينة لقلبها الخائف على والدها وتحدث هشام أولًا أستاذة حنين، الأستاذ عبد القادر رجل صلب وقوي والوعكة الصحية دي مش هتهزه إن شاء الله، ماتقلقيش عليه أنا عارفه من فترة وعارف قد ايه هو عنيد ومحارب، اطمني وطمني والدتك وأختك، وكوني قوية علشانه وعلشانهم.

هزت رأسها بضعف موافقة؛ فكلامه صحيح إلا أن للقلب حسابات أخرى.

أكدت هايدي كلمات هشام القوية بكلمات حنونة رقيقة: صدقيني عمر عمو ما يقدر يسيبكم ولا يوجع قلبكم عليه وهيتحسن، وإن شاء الله هيبقى كويس وبكرا تقولي هايدي قالت، بس زي ما قالك الأستاذ هشام انتِ خليك قوية يا حبيبتي.

ضمتها حنين للحظات تستمد منها القوة ولعل بعض خوفها يتلاشى، لتبتعد عنها قليلًا وتشكرها وتشكر هشام وتطلب منهما العودة لأعمالهما، وبعد إلحاح كثير وافقا على المغادرة راقبتهما يغادران ثم هوت على المقعد خلفها تبكي بقوة .

سمعت من خلفها صوت قلق. حضرتك كويسة ؟

التفتت حنين لتتفاجأ خلفها بذلك الشاب الذي منعتها تجمع الدموع بعينيها من رؤية وملاحظة مدى وسامته في ردائه الأبيض وسماعته الطبية المعلقة على رقبته . حين طال صمتها سألها مجددا : انتِ بخير ولا

تعبانة ؟

مسحت دموعها بيديها وردت بصوت خافت : أنا بخير بس بابا تعبان والدكتور بيقول محتاج قسطرة وأنا خايفة عليه.

اهتز صوتها وانهمرت دموعها مجددا ليتعاطف معها ذلك الطبيب ويقترب منها يطمئنها بكلامه : طيب القسطرة دي إجراء سهل وبسيط مش حاجة خطيرة ، الموضوع بسيط ليه العياط ده كله ؟

مسحت دموعها مجددًا : أنا بحب بابا أوي ومأقدرش أتخيل حياتي من غيره.

ابتسم : ربنا يخليهولك بس ما تخافيش عليه ، هيكون بخير إن شاء الله.

رفعت عينين مشوشتين بالدموع : بجد يا دكتور ولا بتقول كده علشان تطمني؟

ابتسم وهو يقترب منها : أيوة أنا بحب أطمن مرضاي بس مش لدرجة أكدب عليهم يعني زي ما بقولك القسطرة إجراء سهل.

وقفت حنين باهتمام : طيب هو يعني ايه قسطرة ؟ حاسة ان الكلمة كبيرة أوي وتخض.

ابتسم ولاحظ مدى جاذبيتها حين اقتربت منه وغرق في عينيها للحظات قبل أن يعقد حاجبيه ويتكلم بمهنية : القسطرة دي يا ستي ماهي إلا أنبوبة رفيعة طويلة بندخلها في الشريان أو الوريد في عن طريق الفخذ أو الذراع وبتوصل لحد الأوعية الدموية في القلب وبنحقن مادة ونشوف الصور على الشاشة علشان نحدد مكان الانسداد فين ونسلكه أو لو محتاج بنحط حاجة زي البالون كده ، الموضوع بسيط يعني مش مقلق.

اقتربت اكثر وهتفت بترجي : بجد مش مقلق؟ انت مش بتقول كده علشان تطمني بس ؟ انت ما تتخيلش بابي بالنسبة لي ايه !

راقب نظراتها وعينيها وترجيها وتمنى لو .. قطع أفكاره وابتعد خطوة : ما تقلقيش ، ادخلي اطمني عليه بعد إذنك.

خطى عدة خطوات لتوقفه بسؤالها : حضرتك ماقلتليش اسمك ايه؟

التفت ناحيتها وابتسم : حضرتك ما سألتيش ، على العموم اسمي أمجد.

ابتسمت وهي تتمتم : وأنا حنين.

أومأ برأسه بابتسامة : أهلا بيكِ ، ابقي طمنيني على والدك هبقى أمر عليه تاني.

انسحب من امامها بسرعة متعجبا من تأثره بتلك الفتاة ورغبته في حمايتها وأخذها تحت ذراعه وإخفائها عن العالم أجمع! أمن الممكن أنه تأثر بجمالها البريء الهادئ ؟ أم عينيها اللتين سحرتاه؟!

راقبته حنين وهي متعجبة من ذلك الإحساس الذي يغمرها وتعجبت أكثر بإحساسها بالفراغ بعد انصرافه من أمامها ، نفضت أفكارها وتوجهت لوالدها تطمئن عليه ، وبمجرد دخولها حتى تجمعت الدموع بعينيها مرة أخرى فرآها عبد القادر وابتسم لها بضعف ، جرت نحوه وضمته بشدة وهو يربت على ظهرها ويطمئنها أنه بخير.

في صباح اليوم التالي تفاجأت حنين بدخول أمجد لتقف والدتها متعجبة فابتسم هو بإحراج : أنا دكتور أمجد.

رحبت به والدتها بحيرة فاقتربت حنين موضحة : ماما دكتور أمجد شافني امبارح وأنا قلقانة على بابا وطمني وشرحلي وضعه بالظبط و قال انه هيمر عليه يطمن عليه.

ابتسمت والدتها : أهلا بحضرتك دكتور أمجد ، هو الحمد لله أحسن النهارده وشوية كده ودكتور علي هيعمله القسطرة.

أومأ برأسه وهو يقترب من عبدالقادر : إن شاء الله تقوم بالسلامة حضرتك ، دكتور علي أستاذ كبير وله وضعه ، ألف سلامة على حضرتك.

لاحظ عبدالقادر نظرات ابنته لذلك الطبيب الشاب فحاول أن يتعرف عليه قليلًا و وجه له عددًا من الأسئلة ليجيبها أمجد ببساطة و وضوح وتدخلت صابرين في الحوار لتعرف المزيد وترضي فضولها .

توجه أمجد لمتابعة مرضاه على وعد بالاطمئنان على عبد القادر بعد خروجه من العملية .

ساد الصمت لعدة لحظات بعد خروجه لتهتف صابرين بعدها باهتمام : تعرفيه من امتى يا حنين الدكتور ده ؟

تعجبت حنين وهتفت بسرعة : امبارح بس يا ماما ماأعرفهوش أصلا ، زي ما قلتلك يادوب شافني بعيط اهتم وسألته عن العملية وشرحهالي بس.

عقدت حاجبيها بحيرة : ودلوقتي جاي يطمن على أبوك ؟ ليه يعني ؟

رفعت كتفيها بحيرة : معرفش يا ماما ، المهم يا بابا انت بخير دلوقتي ؟!

ابتسم وربت على شعرها بحب : أنا بخير يا قلبي.

دخل عبدالقادر العمليات وجلست صابرين برفقة ابنتها في رعب وخوف ودعاء صامت وحمدت صابرين ربها أنها أقنعت ابنتها الصغرى بالتوجه لجامعتها برفقة أصدقائها لاستخراج الكارنيه وتقديم الأوراق المطلوبة منها كي لا تعيش معهما لحظات الرعب والتوتر والقلق .

حاول أمجد التركيز في مرضاه ولكن أفكاره كلها تتجه لصاحبة تلك العيون وتلك الابتسامة الساحرة وجمالها البريء وتعجب كيف كان يعيش قبل أن يراها ، فشل تماما في السيطرة على أفكاره فتوجه للاطمئنان عليها وحاول إقناع نفسه أنه سيطمئن على والدها فقط ، راقبها من بعيد وتمنى لو يجلس أمام قدميها ويرفع رأسها المنتكسة للأسفل ويطمئنها ليمحي ذلك العبوس من ملامحها فما أجملها حين تبتسم !

انتبهت صابرين لوجوده فوقفت باهتمام : دكتور أمجد حضرتك عرفت حاجة ؟

اقترب بتوتر ولاحظ وقوف حنين بدورها وانتباهها فحاول أن يبتسم بعملية : لا أنا جاي من عيادتي معرفش أي حاجة بس قلت أطمن عليكم.

أومأت صابرين بتفهم : اه بحسبك عرفت حاجة وجاي تطمنا.

اقترح ببساطة : لو تحبي أدخل وأعرف الأخبار وآجي أطمنكم.

وافقت بسرعة : آه ياريت تبقى عملت فينا معروف.

انسحب من أمامها بسرعة وعاد بعد دقائق فاقتربت كلتاهما منه باهتمام وخوف ليبتسم هو محاولًا طمأنتهما : الحمد لله الوضع كويس جدا ودقائق وهيخرج إن شاء الله ، اطمنوا.

وبالفعل خرج عبدالقادر وطمأنهم الطبيب على حالته وانسحب أمجد لمتابعة عمله بينما راقبته حنين حتى اختفى متعجبة من اهتمامه ومن إحساسها الذي يغمرها حين تراه .

حاول أمجد الابتعاد عن عبدالقادر وابنته ولكنه بالرغم عنه يجد نفسه أمام غرفته يقنع نفسه أن واجبه كطبيب الاطمئنان على المرضى حتى و إن لم يكونوا مرضاه .

خرج عبد القادر من المشفى بعد أن تحسنت حالته مع وعد بالاهتمام بصحته أكثر وعادت حنين لعملها

بفتور وإحساس يغمرها أنها فقدت شيئا ما .

عبدالقادر أيضًا تحسنت صحته وعاد لعمله مجددا واستقرت الحياة نوعا ما .

***

في الحارة الشعبية ، خرج مازن برفقة أخته هبة ليتوجهها للجامعة فهتفت هبة بحماس : أخيرا الدراسة بدأت ! ما تتخيلش أنا متحمسة قد إيه !

ابتسم مازن : متحمسة علشان بس أول سنة ليكِ اصبري كام سنة كمان وابقي وريني الحماس ده.

ابتسمت هبة بهدوء : زهقت من الدراسة ماكنتش دخلت طب سيادتك وندرس سبع سنين بحالهم

التف لأخته بمزاح ليغضبها : سبع سنين بس بعدها هبقى دكتور مش مترجم .

شهقت أخته بغضب والتفت إليه وهي تضع يديها على خصرها : نعم ! ومالهم المترجمين إن شاء الله ؟ وبعدين سيادتك أنا في كلية ألسن يعني في مجالات كتيرة أقدر أشتغل فيها مش الترجمة بس يا جاهل .

ضحك مازن ليتزايد غضب أخته حتى قاطعهما وصول إيهاب ليهتف فوق دراجته النارية : مالكم واقفين ليه ؟ عايزين حاجة ؟

عقدت هبة حاجبيها بضيق بينما هتف اخوها بمرح : لا متشكرين يا هوبا هنركب اهو.

وجه إيهاب نظراته لأخته الصغرى باهتمام: هبة عايزة حاجة؟

حاولت الابتسام لأخيها قبل أن تنفي : لا سلامتك يا هوبا بس انت عارف مازن وغلاسته .

نظر إيهاب بتحذير لأخيه الذي رفع يديه باستسلام : هي اللي عيلة وبتزعل من أي هزار .

اعترضت بغضب طفولي : هو شايف ان كليته التوب وفوق أي كلية تانية .

تنهد إيهاب بإرهاق وتمتم : هبة يا حبيبتي مش مهم الكلية نفسها قد ما مهم انك تحبيها وتنجحي فيها ، وانت بطل رخامة .

أوقف إيهاب الميكروباص وأشار لأخته بالركوب وراقبهما حتى اختفيا وتذكر أول يوم في كليته ، كلية الفنون الجميلة وأول يوم في تحقيق حلمه؛ فهو عاشق للرسم منذ نعومة أظفاره ، تذكر أيضا مراقبته لصاحبة المريلة الكحلي وضفائرها وشريطها الأبيض عاما بعد عام يراقبها من بعيد وينتظر خروجها من مدرستها ليشبع عينيه من رؤياها ، أدار مفتاح دراجته وهو يغلق باب ذكرياته؛ فأحلامه كلها تحطمت لحظة موت والده .

***

أول يوم لها بكلية الصيدلة وكانت تشعر بالفخر والسعادة وإحساس بأنها على أول خطوات النجاح ليقاطع ابتسامتها صوت تعرفه: صباح الخير

التفت لتبتسم بتكلف لصاحب الصوت : أهلا يا معتز صباح النور .

اقترب منها بابتسامة: أهلا بيكِ في كليتنا المتواضعة ، تحبي أعرفك على جدولك أو أماكن السكاشن ومحضراتك ؟

ابتعدت خطوة بجدية : لا متشكرة يا معتز ، صحابي أهم يارا وروان وجودي ، بعد إذنك

ابتعدت خطوة و التفت مجددا : شكرا يا معتز.

ابتعدت وراقبها هو حتى انضمت لصديقاتها ثم توجه لمحاضراته بيأس، بينما هتفت يارا بحماس : مين ده يا حور ؟

أجابتها بلامبالاة : ده معتز .

حملقت صديقتها بسخرية : عرفته أنا كده ؟

ابتسمت حور : يا بنتي أخو واحدة صاحبة حنين ، أخو هايدي انتوا أكيد عارفينها وشوفتوها .

هتفت روان وغمزت لصديقتها : بس جايلك مخصوص ها ؟

عقدت حور حاجبيها بضيق : لا يا اختي ده هو في سنة تالتة هنا مش جاي مخصوص وبعدين انتوا عارفيني .

تهكمت جودي : لا أرى لا أسمع لا أتكلم ، يا بنتي الحياة بتطلب حبة دلع .

نفت حور تماما هذا المبدأ: الحياة عايزة جدية ، الحب والدلع والارتباط وكل الكلام الفاضي ده بيأخر مش بيقدم ، يلا نشوف جدولنا ايه وعندنا محاضرات ايه؟

***

كانت حنين جالسة في مكتبها حتى قاطعتها سارة وهي تهتف بملل : تصدقي ماكنتش متخيلة ان شغل البنك ده ممل كده؟! مافيهوش تجديد ، عملاء داخلين وعملاء خارجين وكلهم صغيرين والعملاء الكبار بيروحوا للموظفين الكبار

ابتسمت حنين : بكرا تكبري وتترقي وتبقي تتابعي العملاء الكبار

تمتمت سارة بملل : عارفة المشكلة كمان ان معظم العملاء الكبار دول عواجيز والمصيبة انهم فاكرين نفسهم بفلوسهم حلوين، ده تخين وده أقرع وده بكرش ، فين المزز ؟ مفيش مليونير صغير مز؟!

ضحكت حنين : المليونير الصغير ده هيجيب الفلوس منين إلا إذا كان وارثها ؟! لأنه علشان يبقى مليونير لازم تعدي سنين كتير ، مفيش الشاب المليونير الأمور الوسيم البيرفكت ده ، لازم تتنازلي.......

أوقفتها سارة بملل تعلن انتهاء النقاش : لازم يكون في ، عندك أ/ هشام اهو حلو .

اعترضت حنين : أ / هشام ؟ ده حلو؟ حرام عليك ، بعدين ده كل يوم مع واحدة بس بقاله فترة مركز معاك انتِ بس.

تنهدت بملل وهي تنظر ناحيته : اه معايا بس مش واو أوي ، مش ده اللي يبهر

حركت رأسها بأسف : انتِ يا بنتي بتختاري بلوزة ولا قميص علشان تقولي مش واو ؟! روحي يا بنتي شوفي وراكِ ايه

انسحبت سارة وعادت حنين لمتابعة عملها حتى لاحظت ظل فوق رأسها فهتفت بملل دون أن ترفع عينيها : مش فاضيالك بقى يا سارة كل شوية روحي شوفي شغلك.

قاطعها صوته الهادئ : سوري بس أنا مش سارة.

انتفضت حنين وهبت واقفة بحرج واتسعت عيناها حين رأته : دكتور أمجد ؟ أهلا بحضرتك اتفضل.

جلس أمامها بابتسامة واسعة : أهلا يا أستاذة حنين ، أخبارك ايه و والدك صحته عاملة ايه ؟

طمأنته حنين وتبادلا الحوار عدة دقائق ليسود الصمت عدة لحظات حتى قطعه هو : نتكلم بقى في الشغل يا أستاذة.

أومأت بموافقة : اه اتفضل طبعا.

ابتسم وهو يراقبها ثم انتبه : شوفي ، أنا معايا مبلغ كده وكنت بفكر أعمله شهادة ولا وديعة أو مش عارف انتِ تنصحيني بايه ؟

كانت هذه هي الطريقة التي استطاع بها أمجد رؤية حنين والاستمتاع برفقتها ، اقترحت عليه عدة أفكار ثم تركها على وعد بالتفكير في مقترحاتها والعودة ثانية ومع أنه سبق وأخذ قراره لكنه يريد رؤيتها مرة واثنين وثلاثة وربما أكثر ، ابتسم لأفكاره وهو يتحرك بسيارته للعودة لعيادته .

سرحت حنين بعد انصرافه وابتسمت ودون أي مقدمات تخيلت نفسها بالرداء الأبيض وترقص على أنغام أغنية كلمات وهو يشاركها تلك الرقصة .

انتبهت على صديقتها دعاء تضربها برفق في ذراعها وتهتف بمرح: اللي واخد بالك !

ابتسمت حنين بخجل: لا أبدا يا دعاء مفيش حاجة.

جلست صديقتها على طرف مكتبها وسألتها: مين اللي كان هنا ده ؟

عقدت حاجبيها بعملية وتشاغلت بترتيب بعض الأوراق أمامها . ده عميل بيفكر يعمل شهادة .

تمتمت باستنكار واضح : عميل ؟ كل ده وكل الرغي ده وتقوليلي عميل ؟! لا طبعا ، انتِ عايزة تفهميني انك ما تعرفيهوش يعني وأول مرة تشوفيه ويقعد معاكِ فوق الربع ساعة ؟!

رفعت حنين نظرها لصديقتها وفكرت للحظات فيما ستخبر صديقتها ؟ لكنها ابتسمت وردت : ده دكتور في المستشفى اللي بابا كان بيتعالج فيها وعرف ان بابا مدير هنا وجه ياخد نصيحتنا وزي ما قلتلك عايز يعمل شهادة.

ابتسمت دعاء بحماس واضح : دي حجة مش أكثر وبعدين ما طلعش لباباكِ فوق ليه ؟ وبعدين ما عملش الشهادة ليه ؟

تمتمت حنين بحيرة: هو بس محتاج يفكر مش أكتر وياخد قراره ويجي .

وافقت دعاء بسرعة : أيوة يجي تاني ، هو عمل كده حجة يجي بيها تاني هنا ويقعد معاكِ تاني .

ابتسمت حنين بتوتر واضح : تفتكري بجد ؟

أكدت دعاء بابتسامة واسعة : طبعا كان باين أوي من نظراته امال أنا ليه جيت سألتك عنه ؟! ماحسيتش أصلا انه مجرد عميل .

قاطعهما سمير زوج دعاء وهو يهتف برجاء : دعاء بجد هموت من الجوع هتاكلي ولا ايه ؟! الساندوتشات بردت يا بنتي يلا.

ابتسمت دعاء وهي تقف وقبل أن تتحرك أردفت : ما تيجي تاكلى معانا يا حنين ؟

ابتسمت وهي ترفض: لا شكرا يا قلبي أنا هطلع عند بابا وأشوف أخد أدويته ولا لا وآكل معاه ، بالهنا انتوا.

صعدت لوالدها بمكتبه وقصت عليه زيارة أمجد وسببها ليسمعها والدها بابتسامة عريضة .

تكررت زيارات أمجد عدة مرات و وافق على اقتراح حنين بعمل شهادة استثمار وبعد أن انتهى وقبل خروجه وقف مترددًا أمامها لتسأله هي : خير يا دكتور في حاجة حضرتك محتاجها ؟

أطال النظر إليها لتخجل هي وتتمتم : بتبصلي كده ليه ؟

اقترب من مكتبها واستند بكلتا يديه وقال دون مواراة : مفيش حجج تاني آجي بيها يا حنين هنا .

رفعت عينين حائرتين . حجج ؟ قصدك ايه ؟

تلفت حوله ثم ركز نظراته على عينيها : يعني عايز أشوفك وأتكلم معاكِ وعايز أقرب منك وعملت قصة الشهادة دي علشان بس أقرب ، بصراحة مش عارف أعمل ايه تاني ؟! ومش هينفع أجيلك كل شوية شغلك هنا فقوليلي انتِ أعمل ايه ؟

طال صمتها وإحراجها فقطع هو الصمت : لو مضايقك قوليلي وهبعد لو انتِ مهتمة تعرفيني أكتر يبقى هاتي رقم موبايلك أقدر أكلمك وأشوفك برا .

نظرت لعينيه ليشجعها بنظراته وبدون أن تنطق حرفًا أمسكت قلمها لتكتب رقم هاتفها على ورقة صغيرة أمامها وتعطيها إليه لتتسع ابتسامته وهو يضعها بجيبه بحماس : هكلمك ، هسيبك تكملي شغلك دلوقتي ، يلا باي .

ابتعد وهي تتابعه بعينيها لتنتبه على صوت سارة تضحك فعقدت حاجبيها وجلست مكانها بينما اقتربت سارة وجلست أمامها لتسخر منها : شكلك زي العيلة اللي عاملة عملة ، بس بتعرفي تختاري ، حلو وشيك بس مش أمور أوي ، عادي يعني .

غضبت حنين واعترضت : ده مش أمور ؟!

ضحكت رفيقتها لسهولة غضبها : اه شكله عادي جدا على فكرة .

دافعت حنين بضيق : الراجل مش بشكله أبدا على فكرة وبعدين ده دكتور وعنده عيادته وبعدين أنا شايفاه وسيم ورأيك ما يهمنيش.

ازدادت ضحكاتها وهي تقف : بالراحة شوية على نفسك بعدين ايه يعني دكتور ؟!

تركتها وما إن استدارت حتى اختفت ابتسامتها والغضب يملؤها؛ فلم صديقتها تقع في رجل وسيم أو أعلى مكانة دون أدنى جهد منها ؟!

***

كانت هايدي في بيتها برفقة والدتها تساعدها في تحضير المائدة : روحي يا هايدي شوفي معتز لو نايم صحيه.

طرقت باب غرفته ودخلت بهدوء لتجده يضع سماعاته فاقتربت منه ورفعتها لينتبه إليها: بتنادي من بدري يا هايدي ؟

نفت وهي تجلس على طرف مكتبه وتضع سماعته على أذنها : بتسمع ايه كده؟

استمعت للحظات ثم عبست : ذوقك غريب ، المهم قوم علشان ناكل يلا وبعدين صح فضيلي نفسك علشان عايزاك توصلني.

قاطعها بضيق : أوصلك فين يا هايدي ؟ مش فاضي أنا أصلا ، شوفي بابا.

ابتسمت بخبث : طيب هقوم أقول لحنين تعدي هي عليا علشان سيادتك مش فاضي توصلنا النادي.

التمعت عيناه بحماس : رايحين لوحدكم ؟

ضحكت و وقفت لتخرج من غرفته : مالكش فيه بقى.

أمسك ذراعها بسرعة : بطلي رخامة بقى وقولي رايحين لوحدكم ولا ؟

أجابته : لا طبعا مش لوحدنا حور جاية هي وصحباتها وسارة كمان هتقابلنا قدام النادي لانها رفضت نمر عليها .

أومأ بابتسامة واسعة : خلاص هوصلكم .

ضحكت هايدي ثم خرجت من الغرفة ويليها أخوها .

أمام منزل حنين أمسكت هايدي هاتفها : حنين انزلي بقى انتِ وحور .

أغلقت الهاتف والتفت لأخيها : نازلين أهم .

ساد الصمت للحظات حتى قطعته هايدي : هتروح فين بعدها ولا هتفضل في النادي ولا ايه ؟

أجابها بحيرة : مش عارف لسه بفكر أكلم فؤاد صاحبي يجي.

ردت باستنكار : بقى في حد في الزمن ده اسمه فؤاد ؟!

ابتسم وهو يجيبها : ما اسمهوش فؤاد اسمه حمزة محي الدين فؤاد بس طلعت عليه كده وكلنا بنقوله فؤش أصلا مش فؤاد كمان.

قاطعهما وصول حنين وأختها ليصافحهما والتفت معتز لحور بابتسامة : ازيك يا حور ما شوفتكيش النهارده في الجامعة يعني !

ابتسمت بمجاملة : عادي يعني مش شرط أصلا تشوفني كل يوم

عقدت حنين حاجبيها وأكملت : يومها النهارده كان كله سكاشن أصلا يا معتز وكانت راجعة تعيط من التعب .

عقدت حور حاجبيها بغضب بينما تمتم معتز بتعاطف : معلش هي أول سنة بس هتكون متعبة وبعد كده هتتعودي على نظامها ، ما تقلقيش يعني.

تمتمت حور بغضب : مش قلقانة أصلا .

غيرت هايدي مجرى الحديث : حنين هي سارة قالتلك هتيجي فين ؟ كمان دعاء وسمير هيجوا ولا قرروا ايه ؟

أخرجت حنين هاتفها وهي تجيبها: مش عارفة بصراحة يا هايدي خليني أكلمهم .

وصلوا أخيرا للنادي ليجدوا سارة بانتظارهم أمام البوابة فتهتف بغيظ : أخيرا وصلتوا؟ انتوا عيال رخمة أصلا .

دخلت برفقتهم واستقروا على طاولة وبعد قليل انضم إليهم سمير وزوجته لتقف حنين بفرحة : دودو قلبي ، كويس انكم جيتوا .

ابتسم سمير : قلت نغير جو الشغل شوية ، اوعوا بس تكونوا اتغديتوا ؟

ضحكت هايدي : يعني عادي ممكن نتغدى تاني أصلا.

مرت فترة في اختيار الطعام حتى أشارت هايدي لأخيها : معتز الواد ده تبعك ؟ عمال يلف حوالينا.

التفتت كل الأنظار اليه وابتسم معتز وهو يقف ويشير لصاحبه : تعال يا فؤش.

اقترب بخجل وتمتم : كلكم بصيتوا مرة واحدة كنت هطلع أجري أصلا.

ضحك الجميع وبدأ معتز في تعريفهم عليه وأخيرا تمتمت حور بامتعاض : بس ايه فؤش ده؟ بقى في دكتور اسمه فؤش ؟!

التفت فؤاد لصديقه بابتسامة : هو اللي طلع عليا أم الاسم ده ، أنا اسمي حمزة .

هتفت بتعجب : حمزة تبقى فؤش ؟! من أي اتجاه يعني ؟

تنهد فؤاد باستسلام : حمزة محي الدين فؤاد ، بس كان في الدفعة معانا كذا حمزة فسيادته قرر يسميني باسم جدي وطلعت عليا فؤش .

تدخل معتز معللًا : اسم مميز واهو الكل بقى عارفه بفؤش ، بذمتك في حد في الدفعة كلها اسمه فؤش ؟!

أضاف سمير بمزاح : ولا في المجرة كلها مش بس الدفعة.

تدخلت سارة وعلقت بمرح: أنا لو مكانك وحد سماني باسم مش لطيف كده هقطع علاقتي بيه أصلا .

التفت جميع الأنظار اليها بينما تمتم معتز بتهكم: الحمد لله طيب انك مش مكانه .

بينما علق فؤاد : الموضوع أبسط من كده وبعدين لو الاسم ضايقني كنت هقول لمعتز وهو كان هيحترم رغبتي لكن بالنسبة لي كان عادي .

أومأت برأسها دون اقتناع : امممم ، المهم استقريتوا هتاكلوا ايه ولا هنفضل ميتين من الجوع ؟!

مر الوقت عليهم في جو لطيف يملؤه المرح.

***

انتظرت حنين اتصال أمجد طوال اليوم وطوال خروجتها وقبل نومها أمسكت هاتفها تنتظر ، حتى يأست في النهاية فوضعته بجانبها وهي تحضن وسادتها وتتمتم : ليه يا ترى ما اتصلش ؟! معقول بيشتغلني مش أكتر ولا مشغول ولا ايه ؟

أغمضت عينيها لتنتبه بعد دقائق على رنين هاتفها فأمسكته بلهفة وتردد حين وجدته رقمًا غريبًا فوضعت يدها على قلبها تهدئ نبضاته ثم أجابت بهدوء مصطنع : ألو.

هتف الطرف الآخر بصوت هادئ : ياريت ما أكونش صحيتك.

ابتسمت وهي تسترخي على وسادتها وتمسك خصلاتها : لا أبدا لسه ما نمتش .

سمعت تنهيدة ارتياح منه : خفت تكوني نمت . كنت عايز أكلمك من بدري ؛ بس دخلت عملية واتأخرت فيها أوي .

سألت باهتمام صادق : طمني المريض أخباره ايه ؟

تعجب من سؤالها : بخير الحمد لله ، خلينا في المهم هشوفك بكرا؟

تنهدت بحيرة . عندي شغل .

اعترض بهدوء : أنا كمان عندي شغل بتكلم عن بعد الشغل.

وضحت حنين بتوتر : بمشي مع بابا.

اقترح ببساطة : استأذني منه عادي يعني.

فكرت لعدة لحظات قبل أن توافق وتغلق المكالمة .

في اليوم التالي اهتمت حنين بملابسها وارتدت بنطالًا قصيرًا و خلخالًا صغيرًا واهتمت بتصفيف شعرها بعناية و وضع بعض مساحيق التجميل لتهتف حور بإعجاب : واو يا حنين ، في ايه النهارده للاهتمام ده كله ؟

ابتسمت وهي تلقى نظرة أخيرة على نفسها في المرآة : مفيش عادي يعني ده اليونيفورم بتاع الشغل مش لابسة حاجة مميزة .

سخرت أختها : نعم ؟ لا طبعا مش بتلبسي البرمودا ده إلا في الخروجات المميزة كمان لابسة خلخال في رجلك وصندل كعب عالي وشعرك والميك اب وتقوليلي عادي ؟! قري واعترفي حالا .

ابتسمت حنين وهي تخرج من غرفتها : تغيير مش أكثر .

قبلت والدها قبل أن تجلس على مائدة الطعام لتنظر إليها والدتها بتمعن وتسألها : خير يا حنين وراكِ ايه النهارده ؟

رفعت عينيها لوالدتها بتوتر: عادي يا ماما مفيش ، أنا على طول بحط ميك اب مالكم بتبصولي كأني أول مرة أعملها ؟

وضحت والدتها بمغزى: بقالك فترة مش بتحطي، ده غير الكعب العالي مش بتلبسيه إلا لو في حاجة مهمة وشعرك كمان مفرود عكس طبيعتك .

تدخل والدها وهو يرتشف قهوته : قالتلكم عادي يبقى عادي بطلوا بقى زن عليها - التفت لابنته وأكمل- يلا ولا ايه يا حنون ؟

وقفت سريعًا واتسعت ابتسامتها : اه يلا يلا.

خرجا سويا لتهتف حور لوالدتها : أقطع دراعي ان ماكانش وراها إن بنتك دي .

ضمت والدتها حاجبيها بجدية : قومي أوصلك الجامعة قبل ما أروح شغلي يلا .

استقرت حنين بجانب والدها وبعد فترة من الصمت سألها بابتسامته المعهودة : مش هتقوليلي بقى سر الاهتمام بمنظرك النهارده ؟

قبل أن تجيبه بادرها هو : وما تكدبيش عليا لو سمحتِ، لو مش عايزة تقولي براحتك لكن ما تكدبيش عليا .

تمتمت حنين بخجل وهي تفرك يديها بتوتر : دكتور أمجد انت عارف انه جه البنك كذا مرة بحجة انه هيعمل شهادة

أومأ والدها بموافقة : أيوة وعملها خلاص صح ؟

وافقته وردت بتردد : أيوة بس امبارح قالي انها كانت حجة علشان يشوفني ويتكلم معايا ومش عارف يعمل ايه تاني فاقترح اننا نتقابل برا النهارده ونتكلم .

انتظرت بتوتر شديد رد فعل والدها الذي فكر كثيرًا قبل أن يجيبها بهدوء: انتِ في مشاعر ناحيته يا حنين ؟

لم تستطع رفع عينيها أو إجابته ليبتسم هو ؛ فانجذابها واضح له: خلي بالك يا حنين اللي بيحب بجد بيدخل البيت من بابه .

اعترضت هي بهدوء : بس يا بابا يدخل ازاي من غير ما تكون الأمور واضحة بينا ؟! أنا لسه مش عارفة مشاعري ناحيته وأعتقد هو كمان وعلشان كده أنا وافقت أقابله برا -أضافت بسرعة- ده طبعا بعد إذنك .

ساد الصمت لعدة دقائق ليوقف بعدها سيارته في مكانها المخصص ويلتفت لابنته بحنو : أنا كلي ثقة فيكِ يا حنين وفي عقلك و اختياراتك ولو انتِ عايزة تشوفيه وتحطي النقط على الحروف أنا ماعنديش أي مانع بس ده مش هيكون نظام ليك .

سألته ببراءة : قصدك ايه يا بابا ؟

أجابها بجدية : قصدي انه مش كل يوم والتاني يحيلك هنا أو يطلب يقابلك وانتِ توافقي ، عايز يشوفك تاني يتفضل البيت مفتوح .

وافقته ابنته وطوال اليوم وهي تتخيل لقاءها معه وتحلم بالحب الأسطوري الذي يدق بابها أخيرًا .

وقت انتهاء العمل استأذنت والدها قبل أن تخرج للقائه وركضت مسرعة للخارج تتلهف للقائه بينما هو ينتظرها على أحر من الجمر ويقف خارج سيارته غير مبالي بالشمس الحارقة ، أخيرًا ابتسم حين رآها مقبلة ، لكنه عبس حين اقتربت منه بسعادة ونظر إليها من أخمص قدميها إلى أعلى رأسها لدرجة وترتها للغاية فتمتمت متسائلة : خير في ايه ؟ بتبصلي بالطريقة دي ليه ؟

تلفت حوله ليتأكد أن لا أحد ينظر إليها ثم بهدوء أشار لسيارته : اتفضلي اركبي .

فتح باب سيارته لتركب هي بتعجب من حاله وحين استقر بجانبها حرك سيارته دون النطق بحرف واحد .

طال الصمت وهي تتساءل ما سر تغيره؟ ولم اختفت ابتسامته ؟ ولماذا هذا الصمت القاتل ؟! تململت في جلستها غير متحملة لهذا الصمت فهتفت بضيق : لو سمحت اقف ونزلني .

التفت إليها بحدة : افندم ؟

عقدت ذراعيها أمامها بإصرار : بقولك نزلني .

لم يجبها بل صمت حتى أوقف سيارته على جانب الطريق والتفت إليها بحنق : ايه أنزلك دي ؟! هو احنا اتكلمنا علشان أنزلك؟

هتفت بضيق : سيادتك ساكت بطريقة غريبة وبتبصلي بنظرات غريبة وبقيت مش فاهمة في ايه ؟ فطالما حضرتك ساكت يبقى نزلني أفضل .

انتظر حتى أنهت حديثها ثم رد بهدوء : أنا ساكت علشان أسيطر على أعصابي قبل ما أتكلم معاكِ .

نظرت إليه بدهشة كبيرة وهي تكرر جملته : تسيطر على أعصابك ؟! تقصد ايه ؟

وضح بغضب : أقصد منظرك يا حنين ، شعرك المفكوك ، لبسك ، مكياچك ، بنطلونك القصير والخلخال في رجلك والكعب العالي ، ايه ده كله؟!

ليه ده كله؟! انتِ في مكان شغل مش رايحة فرح حضرتك.

راقبته بدهشة عاجزة عن النطق أمامه فكيف يلومها على اهتمامها ؟ ولماذا لم يفسره على أنه لأجله هو فقط ؟!

بينما أكمل هو بضيق. سيادتك ساكتة ، أنا مش بحب كده يا حنين .

سألته بحيرة واضحة : مش بتحب ايه ؟ أنا مش فاهمة أي حاجة من كلامك ، انت بتلومني علشان مهتمة بشكلي شوية زيادة؟ ده بجد ولا بتهزر ؟

أجابها بغضب : سيادتك شايفاني بهزر ؟! شايفة تعبيرات وشي بتقول انه هزار ؟!

راقبته لعدة لحظات قبل أن تفتح باب سيارته وتنزل منها وسط دهشته، فنزل هو أيضًا بسرعة ليلحق بها ويمسك ذراعها يوقفها بعصبية : اقفي هنا.

التفت إليه بحدة : انت مش طبيعي على فكرة .

صاح بغضب : مش طبيعي علشان بغير على الإنسانة اللي بحبها وعايز أرتبط بيها ؟

اتسعت عيناها غير مصدقة ما سمعته؛ أذلك اعتراف بحبه؟!

حركت رأسها بحيرة غير مستوعبة فهتف هو بعتاب : بتلوميني ليه ؟ انتِ مش متخيلة النار اللي ولعت جوايا أول ما شوفتك جاية ولاحظت نظرات الرجالة حواليكِ ، كان نفسي أقتلهم كلهم ، أو أخبيكِ انتِ جوايا

وأقولهم محدش يرفع عينه فيها دي ملكي أنا وبس .

طال صمتها، فهي لم تستوعب بعد تصريحه الغريب بالحب ، راقبها هو وحين طال صمتها ترجاها : ممكن تركبي العربية خلينا نعرف نتكلم بدل ما اللي رايح واللي جاي بيتفرج علينا ؟ لو سمحتِ يا حنين .

عادت بصمت لسيارته وجلست صامتة تحاول تحليل اعترافه الغريب ، احترم هو صمتها لحين وقوفهما أمام مطعم راقٍ ليوقف سيارته مجددًا والتف إليها بحنق : تعالي ننزل نتغدى مع بعض مع اني والله هاين عليا أروحك البيت الأول تغيري هدومك وبعدها نيجي تاني .

لم ترد عليه بل نزلت بهدوء ودخلا إلى المطعم سويًا واختار طاولة هادئة نوعا ما بعيدة عن الأنظار : ها مش هتتكلمي يا حنين ؟

رفعت عينيها لتواجهه بهدوء: أتكلم أقول ايه ؟! أنا مش فاهمة أي حاجة .

ابتسم ومد يده ليمسك يدها لكنها سحبتها بسرعة فابتسم هو وتمتم : مش هلف وأدور كتير يا حنين في الكلام أنا أعجبت بيكِ من أول مرة شوفتك فيها في المستشفى وكنت بخلق الحجج كل شوية علشان أتكلم معاكِ مرة بعد مرة ، وبصراحة مابقيتش قادر أدور على حجج ولا عايز أصلا.

سألته بترقب : امال عايز ايه ؟

اقترب منها وهو يهمس بتملك : عايز يكون ليا حق أشوفك في أي وقت وأي مكان وأي زمان.

رفعت عينين هائمتين : وازاي هيكون ليك حق زي ده؟

لم يكن سؤالا عن جهل للإجابة ولكن رغبة منها في سماع المزيد فابتسم هو ليجيب سؤالها بسؤال : وازاي الراجل يكون له حق في واحدة ؟!

تمتمت هي بخجل : معرفش قولي انت ازاي ؟

اتسعت ابتسامته وهمس : أنا بحبك يا حنين فاسمحيلي أقرب منك أكتر .

دق قلبها لسماع كلماته وتذكرت أغنيتها المفضلة وخصوصا ذلك المقطع (وأعود لطاولتي لا شيء معي إلا كلمات) .

أتلك هي الكلمات التي تقصدها ؟! اعترافه بالحب وتمني الاقتراب ؟

قاطع أفكارها صوته الهادئ : اتكلمي معايا يا حنين ما تفضليش ساكتة كده لو سمحتِ.

ابتسمت وخفضت رأسها بخجل : عايزني أقول ايه ؟

أمسك يدها فوق الطاولة وحين حاولت سحبها شدد قبضته عليها وهو يهتف : قولي انك بتحبيني وقولي انك موافقة .

سألته وقلبها تتسارع دقاته : موافقة على ايه ؟

ضغط على يدها بتوضيح : موافقة تكوني ملكي أنا وبس .

(٢)

ساد الصمت لتتكلم العيون أبلغ لغة ، فهربت هي من حصار عينيه وسحبت يدها بخجل فغير هو الحديث وأمسك بالقائمة أمامه قائلًا: أنا واقع من الجوع ، تحبي تاكلي ايه يا حنين ؟

تغديا سويا ولم يحاول هو مجددًا الضغط عليها أو استعجال إجابتها ، وحين أوصلها لمنزلها قبل أن تنزل من سيارته أوقفها : مستني منك رد عليا .

سألته بحيرة : رد على ايه بالظبط ؟

ابتسم وهو يذكرها : انك تكوني ملكي .

ابتسمت بخجل قبل أن تهرب من عينيه وتنزل من سيارته وخلال لحظات تختفي في منزلها ليبتسم هو ويحرك سيارته فتخرج هي من مكانها وتنظر إليه لحين اختفائه .

***

في المنزل ظلت صابرين تتحرك بعصبية مجيئة وذهابًا الى أن هتف زوجها بنفاد صبر : خايلتيني معاكِ يا صابرين ما تقعدي بقى، بنتك مش صغيرة ولا عيلة هيتضحك عليها .

هتفت بغضب : أنا مش فاهمة ازاي تسمحلها تروح تقابل راجل غريب ؟!

اتسعت عيناه بدهشة : امال عايزاني أعمل ايه ؟ أمنعها وتخرج من ورايا ؟! بعدين البنت مش صغيرة ومش متهورة ولا طايشة و.......

قاطعته بغضب : بنتك هيمانة وبتحلم بالحب طول الوقت وبتحلم تغيش قصة حب أفلاطونية.

حرك رأسه برفض لمنطقها : ولو ، ده مش سبب لعدم ثقتك فيها ، احنا مربين بنتنا صح وأنا واثق فيها انها لا يمكن تخون ثقتي فيها أبدا .

أخيرا سمعت صابرين صوت غلق باب المنزل لتتحرك بسرعة وتتنفس بارتياح حين دخلت ابنتها ثم هتفت بغضب : سيادتك اتأخرتِ جدا .

تمتمت حنين بتوتر : أنا قلت لبابا قبل.......

قاطعتها والدتها بصرامة : ماليش دعوة بأبوكِ ، سيادتك اتأخرتِ .

اعتذرت حنين وطأطأت رأسها بخجل ثم انتبهت لسؤال والدتها : قالك ايه ؟

تعجبت حنين وتمتمت بحيرة : مين اللي قالي ايه؟

صاحت والدتها : أمجد هو في غيره ؟ مش ده اللي كنتِ معاه ؟

أومأت بموافقة فسألت والدتها مجددا : طيب قالك ايه ؟ كان عايز يقابلك ليه ؟

نظرت حنين بعتاب لوالدها فرفع كتفيه وابتسم مشجعا وهو يشير لها بالاقتراب فاقتربت منه وجلست بجانبه فربت على رأسها بحب : قوليلي قالك ايه بقى دكتور أمجد باشا وكان عايز يشوفك ليه ؟

تنهدت حنين وابتسمت : قالي انه عايز يتجوزني.

تدخلت والدتها وجلست أمامها : قولتي له ايه ؟ وافقتِ ؟ رفضتِ ؟ ايه ؟

نظرت حنين لوالدتها وحركت رأسها بنفي : ماقلتلش حاجة لسه يا ماما ، أنا ماأعرفهوش كفاية علشان أقدر أحكم .

عبست والدتها : اوعي تكوني فاكرة سيادتك انك كل يوم والتاني هتخرجي تقابليه لحد ما تقرري !

علقت بتوتر : هو ما طلبش يقابلني تاني بس قالي انه مستني ردي .

أومأت والدتها بتفكير : طيب وايه رأيك ؟ خلونا نسأل عنه يا عبدو ، نسأل جيرانه وزمايله في الشغل واللي حواليه .

وافقها زوجها : فعلا هنسأل عليه بس الأول نعرف حنين رأيها ايه ؟ مرتاحاله ؟ موافقة عليه ؟ قولي يا حنون حاسة بإيه ؟

شردت للحظات لتقاطعها والدتها : هو دكتور وحالته المادية كويسة ومتعين في المستشفى غير انه عنده عيادة ، ومن شكل عربيته تقدر تقول انه حالته المادية كويسة – نظرت لزوجها وابنتها- عريس لقطة ولا ايه ؟

علق عبدالقادر : كل ده فعلا منطقي بس المهم إحساسك انتِ يا حنين .

ابتسمت هي لتخيله زوجا لها وتمتمت بخجل : مش عارفة يا بابا ، لسه مش عارفة.

وقفت واعتذرت : أنا هدخل أغير هدومي بعد إذنكم .

تركتهما واختفت بغرفتها لتبدل ملابسها جلست على سريرها وأمسكت هاتفها لتتفاجأ برسالة منه : ((صورتك مش مفارقة خيالي ، بتنرفز وبضحك زي المجنون ، بتنرفز ان غيري شافك كده وبضحك ان ده كنتِ عاملاه علشاني ، هكون أسعد راجل في الدنيا لو وافقتِ تكوني ملكي))

ابتسمت وغرقت في أحلام يقظتها حتى قاطع أفكارها دخول أختها ثم جلوسها بجانبها : بقى كده تروحي تقابلي البوي فريند من غير ما تقوليلي ؟! ماشي يا ست حنين.

ابتسمت حنين وهي تعبث بهاتفها : ماكانش في حاجة لسه تتقال ، بعدين دي كانت مقابلة عادية.

هتفت حور بتهكم : نعم ؟ ايه عادية دي ؟ امال اللبس والميك اب وكل ده ايه ؟

اعتدلت حنين في جلستها وأمسكت يد أختها بحماس : تعرفي انه اتنرفز أول ما شافني .

عقدت حاجبيها بحيرة : ليه إن شاء الله ؟

ابتسمت وهي تتذكر غيرته وتمتمت: كان غيران ان حد غيره يشوفني جميلة كده ؛ بيغير عليا يا حور.

نظرت حور لأختها بضيق واعترضت : يغير بتاع ايه يا حنين؟ انتم لسه مافيش بينكم حاجة أصلا وبعدين ازاي اتنرفز عليكِ ؟ زعق وكده ولا ايه ؟

نفت بسرعة : لا لا طبعا زعق ايه ؟! بس اتضايق وفضل ساكت شوية ولما اتضايقت شرحلي بقى انه لاحظ نظرات الإعجاب حواليا وده ضايقه ، ما تتخيليش إحساسي كان ايه لما حسيت بغيرته دي .

حركت رأسها بعدم تصديق واستيعاب لمنطق أختها الحالمة: بس دي حاجة مش حلوة يا حنين بعدين انتِ ماكنتيش عاملة حاجة اوفر يعني ، ده انتِ كنتِ باليونيفورم بتاع الشغل أصلا امال لو لبستِ بقى بجد هيعمل ايه؟!

عقدت حنين حاجبيها بضيق : بت قومي ما تفصلينيش ، أنا حبيت إحساسه بالغيرة ما تحاوليش تضايقيني بقى .

انسحبت حور من غرفة أختها غير موافقة لأحلامها الوردية، بينما حنين أمسكت هاتفها تفكر في رد لرسالته فكتبت عشرات الرسائل لتمسحها مجددًا دون الاستقرار على رد معين ، فوجئت برسالة أخرى لتقرأها بلهفة

((يوم يمضي من عمري هو يوم أحتاجك فيه أكثر من اليوم الذي مضى.))

دق قلبها بعنف متساءلا أذلك هو الحب ؟

توجهت حنين في اليوم التالي لعملها ولاحظت نظرات الجميع إليها فتعجبت عن سببها وحين اقتربت من مكتبها لاحظت باقة ورد كبيرة فابتسمت ودق قلبها ، أمسكت البطاقة وابتسمت وهي تقرأها ((لم أجد أجمل وأرق من تلك الورود في محاولة إقناعك أن تكوني ملكا لي، فلربما عجزت روحي أن تلقاك.. وعجزت عيني أن تراك ولكن لم يعجز قلبي أن يشتاق اليك بكل نبضة . ولو أني زرعت وردة واحدة في كل مرة أفكر فيها بك، لكان لدي حديقة أمشي بها طوال حياتي دون أن تنتهي ؛ فبداخلي عقل لا يجيد إلا التفكير بك.. وقلب لا يتقن سوى اشتياقك ، اشتقت إليك يا حنين القلب))

انتبهت على صديقتها خلفها تهتف : يا سلام .

خبأت البطاقة في جيبها وابتسمت لصديقتها : ازيك يا دعاء

قاطعتهما سارة وهي تهتف بدلال : ده مين اللي باعت الورد ده يا حنين ؟ معقول عندك معجب سري ؟!

عبست حنين : ولا سري ولا حاجه يا سارة ما تشغليش بالك انتِ .

أصرت سارة : لا بجد مين باعت البوكيه ده ؟

استسلمت حنين أمام أصرارها وسردت: ده عميل بيشكرني علشان خلصتله شغلانة كان طالبها مش أكتر.

أومأت بعدم تصديق : امممم ، ماشي أروح أنا أ/ هشام بيشاور لي.

ابتعدت عنهما واقتربت دعاء بفضول : مين بقى المعجب السري ده واوعي تقوليلي عميل والكلام الفاضي ده ؟!

ابتسمت حنين ونظرت لصديقتها بحماس بينما اقترب منهما سمير زوج دعاء مردفًا بهدوء : جميل أوي الورد ده يا حنين ! ذوقه عالي اللي بعته.

أكدت زوجته بمرح : لسه بقولها مين هو ؟

ابتسم سمير لزوجته : ممكن يكون الدكتور إياه اللي جه كذا مرة ده .

التفتت دعاء لصديقتها وهتفت بحماس : هو يا حنين بجد ؟

أومأت حنين بحرج : هو فعلا، انتوا ايه رأيكم فيه ؟

حرك سمير كتفيه : ماأعرفهوش كشخصية بس شكله حد محترم .

أكملت زوجته : احنا هنحكم على شكله يا حنين لكن انتِ لازم تعرفيه كشخصية.

تمتمت حنين : ربنا يسهل إن شاء الله .

توجهت سارة لمكتب هشام الذي ابتسم : ايه يا سارة محتاجة حاجة ؟

ابتسمت وجلست أمام مكتبه وتمتمت بتذمر : لا مش محتاجة بس شوفت الورد اللي على مكتب حنين ؟

نظر سريعا لمكتب صديقتها ولاحظ الورود : مالهم يعني ؟ ما جايز يجي ورد من أي عميل ، ده وارد هنا .

عقدت حاجبيها بضيق : بس ده مش عميل ده معجب سري وهي بتداري عني .

تعجب هشام : وانتِ ايه اللي مضايقك ؟! كل واحد له حياة خاصة مش لازم يشاركها على الملأ.

وقفت بضيق : أنا صاحبتها ، المهم ورايا شغل .

تركته ليراقبها هو بعبوس فهو أول مَن يخفي حياته بأكملها عن كل رفاقه .

***

انتبهت حنين بعد فترة على وصول رسالة لهاتفها وابتسمت حين لمحت اسمه فقرأتها ((أحيانًا نعشق مكانًا ما، ليس لجماله ولكن لأنه جمعنا بمن نحب ، فأصبحت أعشق مكان عملي .

عندي عملية صعبة دلوقتي ادعيلي يا أجمل حنين أنجح فيها، هكلمك بعد ما أخرج))

ابتسمت وهي تدعو له بالتوفيق والنجاح بعمله .

حاصرها أمجد طوال الوقت برسائله أو اتصاله مرة بعد الأخرى وشغل أفكارها بل سيطر عليها تماما.

ليلًا دخل أمجد بيته فجلس على أقرب أريكة متهالكا لينتبه بعدها على صوت والدته ثناء تجلس بجانبه : أخبارك ايه يا حبيبي ؟

ابتسم وهو يرفع رأسه : بخير يا ست الكل ، هلكان شوية مش أكتر .

ربتت على كتفه وسألته فجأة عملت ايه مع البنت إياها ؟ هتخطبها امتى ولا ناوي على ايه ؟

ابتسم وهو يتذكرها : ناوي اه يا أمي بس تديني الموافقة ونروح نطلب ايديها.

عقدت حاجبيها بغضب . وهي سيادتها مش موافقة ولا ايه ؟ هتلاقي زيك فين ؟!

ابتسم وهو يقف ليدخل غرفته: خلتها تاخد وقتها وبعدها تيجي هنا وأنا أشكلها بمزاجي وعلى كيفي يا أمي ما تقلقيش عليا .

هم لدخول غرفته ولكن توقف فجأة عابسا : الدنيا هادية ليه امال أميرة فين ؟

توترت والدته : ما تشغلش بالك انت يا حبيبي وادخل ارتاح وغير هدومك.

هتف بضيق وبنبرة مهددة . أمي ، أميرة فين بقولك ؟

وقفت واقتربت منه : راحت مشوار كده مع صحباتها وزمانها جاية .

ركزت ثناء نظراتها على تعبيرات وجهه بتوتر وحاولت تهدئته : أمجد ادخل ارتاح وهي زمانها جاية ، صحباتها كلهم ...

قاطعها بغضب وصوت عالٍ : ماليش دعوة أنا بصحباتها ، هم يدوروا على حل شعرهم براحتهم لكن سيادتها لا ، بعدين راحت فين معاهم ها؟ وازاي تخرج من غير ما تقولي أصلا ؟

حاولت ثناء التفكير في سبب ما لخروج ابنتها ونطقت أول ما خطر ببالها فتكلمت بتوتر : وراهم مشروع و ناقصهم شوية حاجات بيشتروها انت عارف كليتهم بيطلبوا منهم أبحاث كتيرة.

أومأ برأسه وهتف متوعدا : هدخل أغير هدومي يا أمي وسيادتك تكلمي بنتك وتقوليلها في عشر دقائق تكون هنا وإلا قسما بالله.......

قاطعته بسرعة هكلمها ، هكلمها يا حبيبي ادخل بس انت ارتاح .

انسحبت بسرعة من أمامه لتمسك هاتفها وتتصل على ابنتها تطلب منها العودة بسرعة؛ فأخوها بالمنزل ينتظر عودتها .

خلال نصف ساعة كانت أميرة تدخل البيت برعب وهمست لوالدتها هو فين ؟ قلتيله ايه يا ماما ؟

همست والدتها بدورها قلتله انك مع صحباتك بتجيبوا.......

قاطعهما صوت أمجد الغاضب : حمدلله على السلامة يا هانم .

توترت أميرة وهمست برعب : الله يسلمك يا أمجد .

اقترب منها وهي تتراجع للخلف تختبئ خلف والدتها بينما هو ظل يقترب بهدوء مخيف ثم وقف على مسافة وأردف بغضب : مش شايف حاجة معاكِ يعني ! امال فين اللي نزلتِ تشتريه سيادتك ؟

توترت أميرة وتبادلت نظرات قلقة مع والدتها فانتفضت حين صاح أخوها مجددا : ما تبصيش لأمك وقوليلي هنا اشتريتِ ايه وفين اللي اشتريتيه ؟

زاد رعبها وحاولت والدتها التدخل ولكن أوقفها ابنها بإشارة من يده لتصمت بينما نظراته منصبة على أخته منتظرًا إجابتها دون جدوى ، طال صمتها فاقترب حتى وقف أمامها ليمسكها من ذراعها يجذبها بعنف : سيادتك كنتِ فين وبتعملي ايه ومع مين ؟ وازاي تخرجي بدون إذني أصلا ؟

همست بتوتر وبأنفاس متقطعة: أنا قلت لماما و......

قاطعها بغضب وهو يشدد قبضته على ذراعها : ماليش دعوة بأمك أنا ، من امتى سيادتك بتخرجي من غير إذني ؟

حين طال صمتها هوى على وجهها بصفعة قوية أوقعتها أرضا فصرخت والدتها و وقفت أمامه لتحول بينهما : انت اتجننت يا أمجد؟ أختك استأذنتني وأنا قلتلها تخرج مع أصحابها الدنيا ما اتهدتش .

هدر بغضب : أصحابها بنات ولا أولاد ؟ وتخرج تغور في أي داهية ؟ كفاية عليها أوي الجامعة بتروحها وإلا قسما بالله مش هخليها تشوف شكل الشارع .

صاحت والدته بغضب وهي تدفعه : ليه كل ده ؟

وضح هو بفحيح : علشان البنات كده مالهمش خروج ودخول وتحمد ربنا أوي ان أنا موافق انها تتعلم وتخلص جامعة أما بقى قصة خروج ودخول وأصحابي والليلة الجميلة دي ماعنديش لو مش عاجبها من بكرا هجوزها وأخلص منها خالص ومن القصة دي ، أعتقد كلامي واضح لاني مش هعيده تاني أصلا .

انسحب تاركا كلتيهما في حالة يرثى لها ، جلست ثناء بجانب ابنتها تضمها وتحاول تهدئتها بينما تتمتم من بين دموعها : حرام والله اللي بيعمله ده ، ليه التحكم ده ؟ أصحابي كلهم بيخرجوا براحتهم وأنا طول عمري محبوسة مش قادرة حتى أتنفس ، عارفة والله بدعي ليل نهار أتجوز وأخرج من تحت طوعه ، ياريت كان بابا موجود ماكانش سمحله أبدا يعمل فينا كده ، ويحبسنا بالشكل ده .

ربتت والدتها على رأسها بحب : بكرا يتجوز هو ويركز مع مراته ويحل عننا شوية وانتِ كمان يا مرمر بكرا ربنا يرزقك بابن الحلال اللي يدلعك ويعوضك عن كل ده .

تمتمت ابنتها بحيرة ورعب : ولو اتجوزت واحد زيه كده هعمل ايه ؟

نظرت لها والدتها بشفقة ، وظل سؤالها معلقا دون إجابة .

***

في صباح اليوم التالي، وصلت أميرة إلى الجامعة منكسة الرأس غير قادرة على مواجهة أحد من أصدقائها حتى أوقفها صديقها أحمد يناديها : أميرة ، ميرو .

حاولت تجاهله لكنه أوقفها : انتِ يا بنتي بكلمك مش بتردي عليا ، المهم طمنيني أخبارك ايه ؟

ابتسمت بتكلف : كويسة ، ورايا محاضرة.

أوقفها مجددا : في ايه ومالك مطفية كده ليه ؟!

انتظر إجابتها دون جدوى فتكهن هو : أمجد ضايقك تاني ؟ أنا مش عارف ازاي أمك سامحه له يتمادى ويضايقك كده ؟!

تمتمت باستسلام : وهي هتعمل ايه يعني ؟ هي مغلوبة على أمرها ، المهم أنا ورايا بجد محاضرة ومش عايزة أتأخر عليها ، أشوفك بعدين.

تابعها بعينيه إلى أن اختفت وتوجه هو الآخر لمحاضراته .

***

تجلس حنين كعادتها في غرفتها وتصدح أنغام أغنية كلمات وتسرح هي بخيالاتها لتحلق فوق السحاب وهي ترقص على أنغامها مع طبيبها الشاب ، وتبتسم لأفكارها وخيالاتها حتى قطع أفكارها وصول تلك الرسالة لتفتحها بسرعة ((أذكرك وأشتاق، وأسهر مع الأشواق فالبعد لا يطاق... لطفًا بي فقد أرهقني الحنين و لا شيء أتمناه في حياتي سوى قربك إلى ما لا نهاية. ربي لا تباعد بيني وبين شخص أنت تعلم أن سعادتي لا تكتمل إلا بقربه))

تنهدت بشوق إليه يغمرها وتمنت لو تراه أمامها فترتمي بين ذراعيه ، دق قلبها لذلك التخيل فما بالك لو تحياه حقيقة ؟

انتبهت على دخول والدتها فأطفأت بسرعة أغنيتها وجلست على سريرها وهي تراقب والدتها التي جلست أمامها بهدوء: ها هتعملي ايه يا حنين وقررت ايه بالنسبة لأمجد ؟

طأطأت حنين رأسها بخجل : مش عارفة يا ماما ، انت رأيك ايه ؟

تمتمت والدتها بتفكير : دكتور ، مستواه المادي كويس ، عنده عيادته وعربيته ، وضعه الاجتماعي مناسب - التفتت إليها- أعتقد انه مناسب جدا يا حنين.

عبست حنين؛ فوالدتها تفكر بعقلية بحتة فأين مشاعرها من تلك الحسبة؟! هل ما ذكرته والدتها يصلح كأساس حياة زوجية سعيدة ؟!

رفعت رأسها بترجي : طيب الحب فين يا ماما ؟

نفخت والدتها بضيق؛ فهي غير مقتنعة أبدًا أن الحب أساسي لحياة ناجحة يكفي فقط القبول والاختيار العقلاني فتمتمت بضيق: حب ايه بس يا حنين ؟ حبيبتي الحب ده ما يأكلش عيش حتى ، ما يفتحش بيت ، ما يصرفش عليك ، ما يدخلش عيالك مدارس لغات أو جامعات محترمة ، الحب ده آخر شيء ممكن الواحد يحطه في باله أو يعمل حسابه ، الحب بيخلي الواحدة تيجي على نفسها وكرامتها فوق ما تتخيلي ، بعدين أعتقد انك بالفعل معجبة بيه ومهتمة بيه وإلا ماكنتيش خرجتِ معاه واديتيله فرصة يتكلم معاكِ أصلا ؟! ولا أنا غلطانة؟

فكرت حنين في كلام والدتها وتمتمت بحيرة : أنا اه معجبة بيه مش هنكر يا ماما بس معرفش بحبه ولا لأ؟

علقت والدتها : يبقى كملي بعقلك اختيارك ، هل ده زوج مناسب ولا لأ؟ أنا شايفاه مناسب وباباكِ كمان وحتى انتِ نفسك عارفة كويس انه مناسب سيبي المشاعر تيجي لوحدها بعدين وهتيجي مع العشرة والاحترام المتبادل – وقفت وأضافت- خدي قرار علشان مش بحب المواضيع دي تطول .

تركتها والدتها واسترخت في جلستها وأعادت تشغيل أغنيتها وأمسكت هاتفها فتفاجأت برسالة جديدة وابتسمت تلقائيا ((لا تطل سكوتك وأنت تعلم أنك أكثر شخص أشتاق لكلامه.

لو قلتلك اني مفتقدك وواحشاني فوق ما تتخيلي وبفكر في أي حجة أشوفك بيها هتقولي ايه ؟ شوفيلي أي حجة بالله عليكِ))

حملقت في رسالته لعدة دقائق لتنتفض عندما رن هاتفها فدق قلبها بسرعة حينما رأت اسمه على شاشتها وبتردد أجابت : ألو .

تنهد بصوت مسموع : أخيرا رديتِ عليا ؟! حرام عليكِ اللي بتعمليه فيا ده .

استنكرت بهدوء : أنا عملت ايه ؟

ابتسم وهو يجيبها : جننتيني ، من ساعة ما شوفتك آخر مرة وأنا هتجنن خلاص يا حنين ، بالله عليكِ قوليلي امتى أقدر آجي أقابل باباكِ ؟ أرجوكِ وافقي تكوني مراتي وشريكة حياتي .

صمتت تستمتع لكلماته وحين طال صمتها سألها : حنين انتِ سامعاني ؟ ردي قولي أي حاجة ، أنا بحبك ومش قادر أستغنى عنك ومش قادر أتحمل بعدك عني أكتر من كده - انتظر ردها ولكنها لم تنطق حرفا فقلق - حنين ردي عليا بقى.

تساءلت بخجل : عايزني أقول ايه ؟

هتف يستحثها لتنطق : قولي انك موافقة وأنا بكرا هكون عندكِ بطلب ايديكِ

قاطعتها طرقات خفيفة على باب غرفتها ودخول أختها فهتفت حنين بسرعة : هكلمك بعدين باي.

أغلقت الهاتف بسرعة لتسألها أختها : ده هو ؟

أومأت برأسها فسألتها جور : وافقتِ عليه ؟

أجابتها بشرود : لسه بس مش عارفة اوافق ولا أعمل ايه ؟ مترددة وخايفة .

ابتسمت أختها وجلست بجانبها : انتِ مش معجبة بيه ؟! وأعتقد هو طالما بيحاول كل شوية معاكِ يبقي بيحبكِ ، فليه لا؟

تنهدت حنين بحيرة : مش عارفة يا جور ، أول مرة أكون محتارة بالشكل ده ، خايفة من الخطوة دي .

مازحتها جور : خايفة ليه ؟ اديكِ اهو أخيرا هترقصي معاه على أغنيتك كلمات .

ابتسمت حنين وهي تتخيل نفسها بالفعل ترقص معه وهو يحملها ويروي كلمات تشعرها بالدوار وتنسيها المرقص والخطوات ، يهمس كلمات تقلب تاريخها ،كلمات تشعرها أنها امرأة في لحظات ،فانقبض قلبها حين وصلت لذلك المقطع (أعود لطاولتي لا شيء معي إلا كلمات) أهي بالفعل ستعود خاوية اليدين ؟! لا تملك إلا كلماته ؟

***

استيقظ إيهاب من نومه علي يد والدته تهتف : يا إيهاب قوم بقى الساعة بقت ٦ يادوب تنزل تجيب فطار علشان أخواتك يفطروا قبل ما ينزلوا كلياتهم.

فتح عينيه بتعب وإرهاق : يا أمي خلي مازن ينزل يجيب فطار هو كده كده هيصحى وينزل أنا سيبيني أريح ساعتين قبل ما أنزل شغلي .

هتفت باعتراض : معلش يا حبيبي خليها عليك المرة دي، ده يا عيني مانمش غير نص ساعة بعد الفجر وهو بيذاكر وسهران فخليه يستريح نص ساعة كمان، قوم يا حبيبي ربنا ما يحرمنا منك هات لأخواتك فطار .

جلس على سريره بضيق : خلاص يا أمه صحيت اهو سيبي ابنك حبيبك نايم .

تمتمت بملاطفة له: يا حبيبي ولا الدنيا كلها تغلى عليك ولا ممكن أحبهم أكتر منك، بس انت نمت كفاية عنه يا حبيبي، ولا انت مش بتقدر تعبه في المذاكرة ولا سهره؟ - وأسبلت أهدابها بحزن زائف - ولا تلاقيك شايل

منه علشان هيبقى دكتور وانت سيبت جامعتك عشاننا !

اتسعت عيناه من صدمته في تفكير والدته وهتف بوجع : أنا يا أمي أشيل منه ولا أغير؟! ربنا يسامحك.

ابتعد عنها ودخل ليغسل وجهه ثم سحب محفظته وترك البيت لإحضار طلباتها وقلبه يتمزق من اتهام والدته؛ فهو أبدًا لم يفكر بتلك الطريقة بل اعتبر نفسه والدًا لكليهما وحاول قدر استطاعته توفير كل مطالبهما مهما صعبت عليه ، لقد تخلى عن جامعته وأحلامه وطموحه لأجلهما .

وقف أمام المخبز ينتظر دوره وهو يتذكر ذلك اليوم حين رجع من جامعته؛ ليجد جارته تنتظره لترمي بوجهه أصعب خبر سمعه بحياته، إن والده تعرض لحادث وهو بالمشفى فتوجه سريعًا إليه فوجد الجميع في حالة يرثى لها، وقد أخبرهم الطبيب أن حالته وإصابته ميئوس منها ، تذكر حين طلب والده رؤيته هو تحديدًا فدخل بقدمين تكاد تحملانه ليقف أمامه وهو يصارع الموت ويمسك يده برعب ويستمع لصوت والده المتقطع وهو يهمس : إيهاب يا ابني كان نفسي أكون جنبك وأشوفك بتتخرج من الجامعة اللي بتحبها وأشوفك بتحقق كل أحلامك بس الظاهر ان ده آخر عمري ودي نهايتي

حاول إيهاب منعه بغصة بحلقه: إن شاء الله هتقوم بالسلامة وهترجع وسطنا تاني .

أومأ والده برفض وضغط علي يده : أخواتك وأمك أمانة في رقبتك انت مكاني يا إيهاب ، أنا ربيتك راجل يا ابني الظاهر ان كان قلبي حاسس انك هتشيل مكاني ، خليك مكاني واوعى تحرمهم من حاجة ، عارف ان الحمل هيكون تقيل بس انت قده ، انت قده يا إيهاب .

انتبه من ذكرياته لصوت امرأة خلفه : يا ابني اتحرك خلينا نشتري العيش ونروح نشوف أشغالنا .

مسح دمعة شاردة تفاجأ بها وتحرك يأخذ خبزه الطازج ويمضي في طريقه ثم دخل بيته فوضع ما يحمله على الطاولة وهو ينادي والدته : الفطار يا أمه اهو ، عايزة حاجة تاني مني ؟

طلت والدته برأسها : ما تكمل جميلك يا إيهاب وتفضيه في أطباق أنا بكوي قميص مازن هيتأخر .

ارتفعت أنفاسه بضيق وخنقة ودون أن ينطق بحرف، و شرع في تحضير الفطور لأخواته دون اعتراض .

بعد أن انتهى فتح الشرفة وخرج يستنشق بعض الهواء كي لا يختنق بالداخل ثم عاد خرج شقيقه وشقيقته ليلتفوا جميعهم حول المائدة فهتفت هبة : هوبا ما تيجي تفطر معانا .

التف إليها بهدوء: بالهنا انت يا حبيبتي .

حركت والدته يديها أمام الأطباق تمنعهم من البدء: ولا واحد فيكم يأكل لقمة قبل أخوكم – ورفعت صوتها تناديه – إيهاب يا حبيبي تعال افطر معانا مش هنفطر من غيرك.

ابتسم لها ابتسامة هزيلة وهو يرد: كلت رغيف حاف أول ما طلع من الفرن ما انتِ عارفاني بحبه سخن، ودلوقتي شبعت بالهنا عليكم كلوا انتم.

رفعت والدته يديها من أمام الطعام وهي تتمتم: بالهنا يا حبيبي.

ليشرعوا بتناول الطعام وهو يتساءل كيف لها أن تصدق شبعه المزعوم؟ وماذا لو كان مدللها مازن من عزف عن الأكل ؟ أكانت ستتركه هكذا دون الضغط عليه ؟ أم ستجبره جبرًا على الأكل؟

راقب ثلاثتهم وراقب ضحكاتهم وحديثهم وكذلك والدته وعطفها واهتمامها وحبها لأخواته، نعم هي تحبه لكن دائما ما كان يشعر أن هناك فجوة بهذا الحب، هناك خلل؛ فهي تهتم بأدق تفاصيلهم وتسأل عن راحتهم، وتسعى لإرضائهم، ورغم حبها له إلا أنها لا تستأثره بهكذا تفاصيل ولا اهتمام، ورغم مبادرتها دائمًا لوضعه بمقام صاحب السلطة بالبيت، إلا أنه يشعر أنها سلطة مقنعة ظاهرها هو وباطنها هي.

لاحظ اقتراب أخيه متنحنحًا فخرج من أفكاره مبتسمًا له: خير يا مازن ، محتاج حاجة ؟

ابتسم بحرج : كنت عايز آخد فلوس ، في بحث مطلوب مننا ومحتاج أجيب شوية حاجات .

تنهد بإرهاق : عايز قد ايه؟

تردد وهو يخبره : عايز خمسمياية كده .

اتسعت عينا إيهاب وهمّ أن يعترض ولكن لاحظ نظرات والدته من الخلف تراقب رد فعله فتراجع وأخرج محفظته وأخرج ما بها : ينفع ٣٠٠ دلوقتي وبكرا أجيبلك الباقي ؟

ابتسم مازن وهو يسحب المال من يد أخيه : ينفعوا يا كبير، سلام .

راقبه وهو يجمع متعلقاته ولاحظ أخته تقف بصمت فناداها: مش عايزة حاجة انتِ يا قمر؟

ابتسمت بتعاطف : لا كفاية عليك مازن دلوقتي.

أخرج آخر خمسين جنيهًا يمتلكها و وضعها بيد أخته : خليهم معاكِ .

ابتسمت بفرحة وشكرته وخرجت مع أخيها بينما اقتربت والدته مربتة على كتفه بسعادة: والله ما عارفة العيال دي من غيرك كانوا هيعيشوا ازاي؟ ولا هيصرفوا منين؟ بس الحمد لله اهو ربنا رازقك برزقهم.

شرد بعد كلماتها بثقل الحمل على كاهله، بينما هي تابعت عندما لم تجد ردًا منه: طب يا حبيبي وبعد ما خلصت اللي معاك هتجيب غدا منين؟

تنفس بهم وزفره على مهل: هجيب وأنا راجع انتِ عارفة اني شغال باليومية ما تقلقيش .

انصرفت لتنظف الطاولة والتفتت إليه : متأكد يا حبيبي مش هتفطر ؟

تمتم بداخله بخذلان: متأكد؟

سمعها تناديه . إيهاب ؟ أشيل الفطار ولا ايه ؟

أجابها وهو يغلق الشرفة : اه شيليه أنا نازل لشغلي لو احتجتي حاجة كلميني .

***

فتح أمجد عينيه مبتسمًا ثم نظر لوسادته الخالية وتخيل حنين تشاركه إياها فأمسك هاتفه وطلب رقمها لترد هي الأخرى بصوت ناعس فابتسم : يادوب فتحت عينيا حبيت أسمع صوتك قبل أي حاجة تانية .

ابتسمت بخجل بينما أضاف : امتى بجد أفتح عينيا تكوني معايا وجنبي وأبطل أشتاقلك في كل لحظة؟ حنين وافقي بقى أرجوكِ .

غرقت حنين في تخيلاتها وانتبهت لصوت والدتها فتمتمت بسرعة : سلام دلوقتي.

أغلقت الهاتف ووضعته بجانبها وفتحت والدتها باب غرفتها لتوقظها : انتِ صاحية اهو كويس ، قومي يلا يادوب تلحقي .

وقفت حنين بحماس وتحركت لتستعد لعملها وهي تعيد كلماته وتبتسم من آن لآخر ، أعلن هاتفها عن وصول رسالة ففتحتها بسرعة ((ننام ونحن نعاني الفراق.. ونستيقظ على ألحان الاشتياق، اشتقت اليك فعلمني ألا أشتاق))

ابتسمت وأخذت شهيقًا طويلًا زفرته على مهل وهي تعيد قراءة تلك الكلمات مرة تلو الأخرى .

جلست على مائدة الفطور وسألتها والدتها : قررتِ ايه يا حنين بالنسبة لأمجد ؟

نكست حنين رأسها تنظر لطبقها وتعبث بمحتوياته بحيرة : مش عارفة يا ماما ، انتوا شايفين ايه ؟

هم والدها ليجيبها ولكن سبقته زوجته بجدية : أنا شايفاه مناسب جدا وفيه كل مقومات الزوج الناجح ، أعتقد الخطوة الجاية تسأل عليه يا عبدو وتشوف سمعته ايه في منطقته وفي شغله ؟

أومأ عبد القادر : النهارده كنت رايح لدكتور علي أعمل الفحوصات اللي طلبها وممكن أسأل عليه ، وممكن آخر النهار أعدي على المنطقة اللي ساكن فيها .

سألته حور باهتمام : هتعرف عنوانه منين يا بابا ؟

ابتسم لصغيرته : من بياناته عندنا في البنك يا حور.

أومأت بتفهم ثم وقفت وهي تضع بعض اللقيمات في فمها وهتفت : أنا عندي سكشن بدري سلام نازلة.

هتفت صابرين باعتراض : اقعدي افطري زي الناس وانزلي معايا.

علقت حقيبتها على كتفها وهي تجيب: لا شبعت وبعدين هتأخر يا ماما والدكتور ده رخم ومش بيدخل حد بعده ، هاخد تاكسي سلام .

تركتهم وراقبتها حنين بهدوء ثم وقفت هي أيضًا : أنا نازلة أنا كمان .

عبست والدتها : مش هتستني باباك انت كمان ؟!

نظرت حنين لوالدها بتعجب : مش لسه بيقولك رايح المستشفى الأول ؟!

نقلت نظراتها بينهما ليؤكد والدها : أيوة هروح المستشفى الأول ، خدي تاكسي انتِ .

اقترحت والدتها : طيب تاخدي عربيتي ؟ أنا هروح مع باباكِ.

رفضت حنين : لا مالوش لزوم ، سلام

تركتهما ليلتفت عبدالقادر لزوجته : مالوش لزوم انتِ كمان تيجي معايا ، دي مجرد فحوصات مش أكتر .

رفضت بإصرار : ريح نفسك وريحني معاك لأني مش هغير رأيي ، هقوم أتصل أبلغهم اني هتأخر شوية ، يلا بينا .

تحركت برفقة زوجها ليقابلا طبيبه وبعد أن انتهى من فحوصاته نصحهما : ياريت لو تحاول تقلل شغلك شوية وتهتم أكتر بصحتك ، أو تلعب رياضة خفيفة ، يعني بلاش ضغوط الشغل دي .

عاتبت صابرين زوجها : والله قلتله حتى يسوي معاشه ويرتاح بقى بس رافض .

ابتسم الطبيب : مش لازم يعني معاش ، بس يقلل شغله ويقلل الضغط على أعصابه .

ابتسم عبد القادر : إن شاء الله ، المهم يا دكتور كان عندي سؤال شخصي كده لحضرتك .

تعجب لوهلة إلا أنه وافق بحيرة : اتفضل خير ؟

نظر عبدالقادر لزوجته التي شجعته ثم التف للطبيب : انت تعرف دكتور أمجد ؟

ضيق علي عينيه بتفكير : أمجد بتاع الجراحة العامة ولا الجلدية ؟ في اتنين .

هتفت صابرين بحماس : بتاع الجراحة العامة أيوة .

مط شفتيه بحيرة: رأيي فيه من حيث ايه ؟ شطارته كطبيب أعتقد انه كويس ، ماعملش مشاكل قبل كده .

وضح عبدالقادر : طيب وبالنسبة له هو كشخص ، أخلاقه ، معاملته مع أصحابه ، يعني هو كإنسان مش كدكتور ؟

عقد حاجبيه بحيرة : ليه مهتم بيه كإنسان ؟ أسئلتك غريبة.

تبادل هو وزوجته نظرات حيرة وقرر بعدها البوح بحقيقة الأمور لطبيبه : من الآخر يا دكتور هو متقدم لبنتي ، فقلت أسأل حضرتك .

ابتسم علي بتفهم : هو أنا ماأعرفهوش بشكل شخصي بس أسمع عنه انه شخص كويس ، مالهوش مشاكل ، محدش اشتكى منه ، محترم في الوسط بتاعه ، لو تحب أسأل عنه أكتر ماعنديش أي مانع ؟

أومأت صابرين بابتسامة فوافق زوجها بدوره : اه ياريت يكون جميل فوق رقبتي .

ابتسم علي وهو يرحب به : جميل ايه ماتقولش كده ، أنا يشرفني طلبك ده وان حضرتك تأتمني على حاجة زي دي، ربنا يسهل لبنت حضرتك ويوفقها يارب .

***

جلست هايدي برفقة صديقتها وتمتمت : عملتِ ايه مع امجد ؟ وافقتِ ؟

حركت رأسها بنفي : لا لسه ، انت ايه رأيك فيه ؟

عقدت صديقتها حاجبيها بتعجب : رأيي أنا يا حنين ؟! هو أنا اللي هتجوزه ولا انتِ ؟! انتِ متقبلاه زوج ولا لا يا حنين ؟!

فكرت حنين وشردت للحظات ثم تمتمت : مش عارفة، ساعات بحس اني مشتاقة اسمع صوته وأسمع كلامه ، بموت وأنا بقرأ رسايله ، قلبي بيدق لمجرد ما بشوف اسمه على موبايلي، بتسم لما بفكر فيه ، عايزة على طول أفضل أسمعه -نظرت لصديقتها بحيرة- هو كده أنا بحبه فعلا ؟! هو ده الحب ؟

ابتسمت هايدي : أعتقد يا حنين ، بصراحة ماجربتش أحب علشان أتكلم عن خبرة بس طالما هو إنسان كويس وانتِ متقبلاه وبتفرحي بوجوده يبقى ليه لا ؟

قاطعهما وصول دعاء تطلب من حنين بعض الأوراق وقبل أن تنصرف أمسكت هايدي يدها وسألتها : قوليلنا يا دودو بما انك بتحبي وكده ، ايه هو الحب ؟

اتسعت عينا دعاء بدهشة ونظرت لهما بدهشة واضحة ثم سخرت قائلة: وانتوا باصينلي كده عاملين زي البوبيهات الصغيرة اللي واقفة مستنية الأكل وبتهز ديولها ؟

عبست حنين بينما اعترضت هايدي : كمان عملتيلنا ديل يا دعاء ؟! متشكرين يا رجولة ، امشي شوفي وراكِ ايه يا ست دعاء

ضحكت دعاء و وضحت : مشغولة دلوقتي ممكن وقت استراحة الغداء مثلا نتكلم لكن مش دلوقتي .

تركتهما لتتبعها هايدي هي الأخرى؛ لتهتم بعملها بينما تابعتها سارة بغيظ لتنتفض حين سمعت صوته خلفها : بتعملي ايه ؟

انتفضت وهتفت بلوم : اخص عليك يا هشام خضيتني .

اقترب بابتسامة واسعة : هشام كده ؟

تراجعت سارة ونكست رأسها بخجل مصطنع : سوري بس اتخضيت فطلعت مني كده ، اعذرني .

ابتسم واقترب منها وهمس بأذنها : مشيها هشام طول ما احنا لوحدنا .

تمتمت سارة وهي مازالت على وضعها تنظر للأرض : بس ما ينفعش .

همس مجددًا : ليه ما ينفعش ؟ ده أنا حبيت اسمي لما سمعته منك . قولي هشام كده تاني .

رفعت عينيها ليشجعها هو بابتسامته : قولي.

همست بصوت يكاد يكون مسموع : هشام.

تلفت هشام حوله ليتأكد من خلو المكان : ايه رأيك لو بعد ما نخلص نتغدى مع بعض ؟

نظرت إليه لفترة ثم أومأت بموافقة واختفت من أمامه ليراقبها هو بابتسامة صياد يعتبرها صيدًا سهلًا.

***

في تلك الفيلا الفاخرة وقف إيهاب أمام الحائط وهو ينظر إليه مطولا فهتف خالد صديقه : إيهاب يا فنان وصلت لفين ؟

التف إيهاب بهدوء لصديقه وغمغم بتفكير : بفكر هبدأ منين الرسمة؟

ابتسم خالد وهو يربت على كتفه : امسك فرشتك واضربها في أي مكان وبعدها هتعرف تكمل.

ضحك إيهاب : أضربها في أي مكان ها ؟ وبعدها يجي عمك طلعت يلبس جردل البويا كله في وشي .

ضحك خالد هو الآخر : والله عندك حق ، أما هو حتة راجل تحفة ، ليل نهار يصرخ واتحركوا وانجزوا، يلا المهم أنا هجيب أي ساندوتشات آكلها أعمل حسابك ؟

أومأ إيهاب وهو يمسك فرشته وقد قرر البدء: اه اه هات معاك زي ما هتجيب.

بدأ في رسم ما طلبته منه صاحبة الفيلا وقد سرح بخياله يتذكر وقوفه كل يوم أمام تلك المدرسة ليلمح طيفًا من عشقها ولو للحظات قبل أن تختفي وسط صديقاتها أو تتحرك برفقة والدها ، تذكر كم كانت جميلة وهادئة كتلك الرسمة التي يرسمها الان! تذكر مراقبته لها يوما بعد يوم ، تذكر حزنه بعد أن انتهت من دراستها الثانوية وانتقلت إلى الجامعة فصعب عليه اللقاء وحرم من تلك اللحظات التي كانت تنعش روحه يوما بعد الآخر.

تذكر ذلك اليوم حين قرر إخبارها عن حبه لها ومتابعته لها سنة كاملة وتذكر سعادته حين عرف أنها تبادله مشاعره وأخبرته كم انتظرته ليفصح عما بقلبه طوال السنة الماضية!

انتبه على وصول صديقه بالطعام والتف جميع العمال يتناولون وجبتهم في جو صاخب نوعا ما .

***

مساء خرجت سارة من البنك وهي تتلفت حولها لتطمئن أن ليس هناك عين تراقبها ولاحظت وقوف هشام بسيارته بآخر الطريق فركضت تجاهه وركبت بسرعة وهي تهتف : اتحرك من هنا بسرعة .

ابتسم وهو يدير سيارته ويتحرك ثم التفت إليها : تحبي تاكلي فين يا جميل ؟

حركت كتفيها بحيرة : معرفش أي مكان ، بيتزا ، ماك ، كوك دور ، أي حاجة يعني شوف ايه اللي يناسبك ؟

أومأ بموافقة : أقرب حاجة هتقابلني هقف عندها .

ساد الصمت للحظات ليقطعه هشام بمد يده ليمسك يدها فسحبتها سارة بسرعة فهتف هو باعتراض : في ايه يا سارة ؟ بتسحبي ايدك ليه ؟

توترت وارتفعت نبضات قلبها : أنا مش متعودة ان حد يمسك ايدي .

ابتسم وهو يؤكد : وأنا كمان أكيد مش متعود بس ده ما يمنعش اني بتمنى تسمحيلي أقرب منك ، بلاش تصديني كده .

تمتمت بتوتر : خليني براحتي يا هشام ما تضغطش عليا لو سمحت .

عقد حاجبيه بضيق : براحتك أكيد ، كنت متخيل انك بتبادليني نفس مشاعري فاعذريني .

أكدت هي بسرعة : طبعا ببادلك بس استحملني شوية انا دي أول مرة أخرج فيها مع أي حد.

ازدادت تعقيدة حاجبيه وهو يهمس لنفسه : شكلك هتتعبيني وياكِ بس مش مشكلة هستحملك تستاهلي برضه .

وصلا وأوقف سيارته ثم فتح باب سيارته لها بحركة مسرحية لتضحك وهي تنزل من سيارته ويمد ذراعه لها وهو يسألها : هترفضي برضه ولا ايه ؟

دام ترددها لثوان ثم أمسكت ذراعه بابتسامة : لا مش هرفض.

دخلا سويا واختار طاولة هادئة نوعا ما وأجلسها ثم جلس أمامها ونظر لوجهها بابتسامة عريضة : أخيرا قعدنا لوحدنا بعيد عن كل العيون المتطفلة !

ابتسمت بخجل: هو هيفرق ايه بين هنا والبنك يعني ؟

أجابها بذهول : نعم ! ده فرق بين السما والأرض ، هنا براحتنا محدش هيتكلم أو حد هيشاور ويسأل ليه يا ترى أو على الأقل محدش هيقاطعنا .

هنا قاطعه النادل وهو يقف أمامه يسأله عن طلباته ، فما كان منهما إلا أن ضحكا لمقاطعته مع تعجب النادل عن سبب الضحك ، أمسك هشام قائمة الطعام وطلب منه الانتظار قليلا .

وصل الطعام بعد مدة قليلة وتناولاه في جو لطيف ثم بعد ان انتهيا نظرت سارة لهاتفها لتلاحظ اتصال والدتها فتوترت ونظرت لهشام أنا لازم أروح بقى ، ماما بدأت تقلق عليا .

حاول هشام إثناءها عن رأيها لكنه استسلم أمام إصرارها فأشار للنادل ليحضر له الفاتورة ودفعها وقد ترك بقشيشا كبيرًا لاحظته سارة وتمنته في هذه اللحظة زوجا لها فتنعم بأمواله .

ظلت معظم طريق عودته صامتة حتى أيقظها هشام من شرودها : هروح فين يا قمر من هنا ؟

انتبهت سارة ونظرت حولها لتشير له بالتوقف : اقف هنزل هنا .

عقد حاجبيه بحيرة : هنا فين بالظبط ؟ هنا مفيش أي حاجة يا سارة ، قولي مكانك فين بالظبط وهوصلك .

حاولت التوضيح بتوتر : أخاف حد يشوفني ويبلغ بابا ، هنا أضمن يا ريت ، اعذرني يا هشام .

أوقف سيارته والتفت إليها : هتوحشيني لبكرا.

عقدت حاجبيها بتهكم : يا سلام ، ده ايه بقى البكش ده ؟

اعترض باستنكار عابث: لا أبدا مش بكش ، ادخلي قلبي واسأليه وهيجاوبك .

تمتمت بحرج مصطنع : هيقولي ايه بالظبط ؟!

تنهد هشام واقترب منها وهمس بغزل : هيقولك انه بيتمنى يشوفك طول الوقت قصاده ومش عايزك تغيبي عن عينيه أبدا .

تجرأ ليمسك يدها وحين حاولت سحبها منعها ليرفعها لشفتيه ويقبلها وهمس بخفوت : صدقيني لما أقولك وحشتيني من دلوقتي أصلا .

ارتعشت بين يديه وسحبت يدها بهدوء وحاولت أن تبتسم؛ فهو بالفعل قد حرك مشاعرها بلمساته وبقبلته على يدها .

رن هاتفها مجددا لينظر كلاهما إليه فلاحظ أنها والدتها فابتسم بأسف : روحي علشان محدش يضايقك ، و هصبر نفسي اني بكرا هشوفك .

انسحبت من أمامه وراقبته حتى اختفى بسيارته لتركض للشارع الآخر وتشير لأقرب سيارة ربع نقل مخصصة لنقل الركاب وتصعد إليها لتصل لمنزلها في تلك الحارة .

شردت وتخيلت نفسها زوجة لهشام وابتسمت لأنها لن تضطر أبدا لركوب مثل تلك المواصلة مجددا ، متى ستنتهي تلك الحياة التي تعيشها وتبدأ حياة جديدة بها بريق من الأمل ؟!

انتهت دعاء من عملها وتوجهت لزوجها ثم جلست على طرف مكتبه فرفع عينيه وابتسم مردفًا : قلبي خلصتِ ؟

أومأت بموافقة : أيوة وانت ؟

نظر لشاشته وأجابها: اديني بس عشر دقايق أكون خلصت .

تمتمت بتردد : هو ينفع أطلب منك طلب ؟

استحوذت على كامل انتباهه حين لاحظ ترددها فرد بمودة : اؤمري وسمير ينفذ يا حبيبتي .

ابتسمت بحب : ربنا ما يحرمني منك يا حبيبي ، بس كنت عايزة أخرج مع حنين وهايدي ساعة كده ولا اتنين وبعدها أروح ، ايه رأيك ؟

تنفس بارتياح : بس كده ؟! يا شيخة وقعتِ قلبي أنا قلت في ايه ومالها خايفة ومترددة كده ليه ؟! روحي طبعا براحتك واتبسطي معاهم .

فرحت بموافقته وقفزت وهي تمسك يده بحماس : ربنا ما يحرمني منك يا حبيب قلبي - عبست فجأة وهي تكمل - بس انت هتعمل ايه وهتتغدى فين وازاي ؟

ابتسم وهو يصرفها من أمامه بمرح : روحي وما تشغليش بالك بيا ، هتصرف يعني مش هغلب في وجبة يا دودو ، روحي غيري جو مع زمايلك ، أنا كل اللي يهمني انك تتبسطي دي أكتر حاجة بتسعدني .

انسحبت من أمامه بابتسامة تنير وجهها فوجدت حنين وهايدي في انتظارها ثم تحركن سويا .

استقرت الفتيات في مطعم للبيتزا واستمتعن بوجباتهن وأثناء ذلك هتفت دعاء : ها يا بنات كنتم بتسألوا في ايه بقى وسط الشغل ؟

هتفت هايدي بحماس : بما اننا شايفينك انتِ وجوزك ما شاء الله يعني الحب ولع في الدرة فكنا عايزين نصايحك في الحب .

راقبتها دعاء لوهلة قبل أن تنفجر ضحكا : أنا وسمير الحب ولع في الدرة ؟ امال لو شوفتينا قبل ما نتجوز ؟ ده احنا هدينا خالص دلوقتي .

اقتربت حنين منها بابتسامة : عرفتِ ازاي انك بتحبيه ؟

تنهدت دعاء مطولا وتذكرت بداية حبها لزوجها وأردفت : الحب ده إحساس يا حنين بيغمرك غصب عنك ، بيسيطر عليكِ وبيحركك زي ما بيقرر ، مش بيستأذن أبدا ولا بيمهد بس فجأة بتلاقي نفسك غرقتِ وبس ، لما تحبي هتعرفي انك بتحبي ، هيظهر معاكِ ومع إحساسك .

تبادلت هي وصديقتها نظرات حيرة قبل أن تسأل حنين : أيوة يعني ازاي عرفتِ ان هو ده الشخص المناسب اللي هتقدري تكملي معاه حياتك؟

ابتسمت وفكرت قبل أن تجيبها : بصي أنا كنت معجبة بيه وهو كمان ومش هتكلم عن الاشتياق أو الفرحة لما بشوفه أو دقة قلبي أو عن الحب بشكل عام بس في حاجة معينة بتحصل بتخليك تعرفي ، بصي هحكيلك موقف كده ، في بداية شغلي في البنك كان سمير هو اللي مسئول عني وبيعلمني وشرحلي ازاي أخلص أوراق العملاء وازاي أفتح حساب أو أعمل شهادة أو طلب قرض والكلام ده اللي انتوا عرفتوه ، المهم في مرة ارتكبت غلطة شنيعة وجه رئيس الفرع يزعق، لان العميل اتجنن من الغلطة دي وطبعا أنا اللي عاملاها وتيقنت ساعتها اني هترفد ولسه هبدأ أعتذر لقيت سمير بيقف وبيعتذر ان الغلطة دي عملها سهوا منه وبيوعده انه مش هيكررها تاني وساعتها نظرتي له اتغيرت وعرفت ان هو ده اللي عايزة أعيش معاه ، الراجل اللي عنده استعداد يضحي بنفسه علشاني أو يتحمل علشاني – شردت في ذلك الموقف وعلى ثغرها ابتسامة ثم أكملت- أو يتجازى علشاني ، بقى عالي في نظري أوي ساعتها ودي كانت بداية اعترافنا بحبنا .

ابتسمت الفتاتان وأسندت حنين ذقنها على يدها وسألت بهيام : انتِ لسه بتحبيه وبيحبك للنهارده ؟ حبكم ما قلش ؟!

غمغمت دعاء : الحب مش بيقل بالجواز بالعكس بيزيد وبيقوى علشان يقدر يواجه ضغوط الحياة .

سألت هايدي : تلاقيكم مش بتتخانقوا أبدا .

نفت دعاء بهدوء : مفيش حياة ابدا تخلو من الخناق ، لا يمكن اتنين يتفقوا طول الوقت .

عبست هايدي : هو مفيش حياة بدون خناق ومشاكل ؟!

نفت دعاء بابتسامة : وبيقى شكلها ايه الحياة دي يا هايدي؟ أصل لو اختفى الخناق من الحياة الزوجية معنى كده انه مفيش حوار ولا تفاهم ولا نقاش، فدي مش حياة أصلا، فهمتِ؟

أومأت بفهم بينما سألت حنين : بحسكم مش بتتخانقوا أبدا، طول الوقت مبسوطين .

خفضت دعاء رأسها وتمتمت بحزن دفين : ما تحكميش بالظاهر يا حنين ، بعدين اه احنا بنحب بعض أيوة والحمد لله سعداء مع بعض بس في كتير بينغص عيشتنا وبيضايقنا ، الحياة مش طول الوقت مبسوطين أبدا ، في عندك سلايف بيضايقوك وحما بتضايقك وفي مشاكل في الشغل أو البيت أو حاجات مادية أو حتى حاجات مش في ايدك أصلا ويلوموكِ عليها.

ساد الصمت للحظات قطعته هايدي بفضول : هو انتوا ليه مافكرتوش تخلفوا تاني يا دعاء ؟ يعني رغد كبرت ما شاء الله اهو فليه الانتظار ؟!

ضربت حنين صديقتها في قدمها لتستنكر فعلتها بدهشة: ايه يا حنين ؟

أشارت برأسها لصديقتهما فنظرت هايدي ولاحظت حزن دعاء وشرودها ثم ابتسامتها الحزينة وهي تقول: ربنا مش رايد يا هايدي مش احنا ،دي حاجة مش في ايدينا ، دي أمنية حياتي أجيب لرغد أخ أو أخت بس ما باليد حيلة .

أمسكت حنين يدها وربتت عليها بأمل : بكرا ربنا هيرزقك إن شاء الله انتِ طيوبة يا دودو وتتحبي يا قلبي .

أكدت هايدي هي الأخرى بتشجيع: فعلا يا دودو انتِ أصلا أجمل وأحن أم في الدنيا وإن شاء الله ربنا هيرزقك وهتفرحي وهتخاوي رغود .

أنهت كلامها ثم وقفت تعلن انتهاء لحظات الحزن بمرح: أنا هجيب ايس كريم مين داخل معايا ؟

حاولت كلتاهما إسعاد صديقتهما وإخراجها من تلك الحالة التي سيطرت عليها فجأة لتحاول هي الأخرى مجاراتهما وقضاء وقت ممتع برفقتهما .

***

اتصل الطبيب بوالد حنين وأخبره بأن كل ما شمعه عن أمجد مشجع للغاية؛ فالكل يشهد بحسن أخلاقه وكرمه ومهارته .

دخل عبدالقادر لابنته وجلس أمامها ينظر إليها بصمت نظرات متفحصة فتوترت حنين حين طال صمته وسألته بتردد: خير يا بابا ؟

ابتسم والدها وطمأنها : خير يا قلب بابا ، كنت بس عايز أسألك وصلتِ لأي قرار ؟

عقدت حاجبيها بحيرة : قرار في ايه ؟

- بخصوص أمجد يا بنتي ، هتفضلي معلقة الموضوع كده لامتى ؟ خدي قرار يا اه وخليه يجي يا لا وتبلغيه لكن التعليق ده كده مش حلو .

رفعت حنين عينيها لوالدها وقد أخذت قرارها .

(٣)

انتظر عبدالقادر سماع جواب ابنته التي أمسكت ذراع والدها بحيرة : انت موافق عليه صح يا بابا ؟

ابتسم والدها وهو يربت على شعرها : اه يا قلبي موافق عليه ، هو سمعته كويسة وسط الكل فدلوقتي الرأي عندك انتِ .

كانت كلماته هادئة مريحة إلا أنها لم تكن كافية لتنهي توترها: أنا كمان شايفاه كويس بس أنا خايفة يرضه .

رفع عبدالقادر وجه ابنته لتواجهه : خايفة من ايه ؟

عبرت عما يختلج بصدرها من مخاوف : خايفة ما يكونش ده اختيار صح ، خايفة ما أكونش مبسوطة معاه ، خايفة ما يكونش ده الحب اللي بجد ، خايفة من حاجات كتيرة .

ابتسم والدها وتمتم بهدوء : الخوف طبيعي في خطوة كبيرة زي دي يا حنين بس الخوف هيوقف الإنسان مكانه مش هيخليه يخطي أي خطوة لقدام ، بعدين يا حبيبتي الخطوبة اتعملت ليه ؟ مش علشان توضح النقط دي وتشيل الخوف والشك ؟

ابتسمت أخيرا بتردد : انت شايف كده يا بابا ؟

أومأ بموافقة مبتسمًا فما كان منها إلا أن لفت ذراعيها حول رقبته وقبلت وجنته بفرحة ليضمها هو الآخر ويقبل رأسها وهو يدعو لها .

وقبل أن يخرج من غرفتها أوقفته بتساؤل: أقوله يجي امتى يا بابا ؟

ابتسم : شوفي هو عايز يجي امتى وبلغيني ، أنا عندي كام حنون ؟

تركها وهي أمسكت هاتفها بتردد وابتسامة وقبل أن تطلب رقمه رن هاتفها ليعلن عن رسالة جديدة منه ((سأنتظرك مهما طال الغياب، سأنتظرك بحجم الشوق إلى الاقتراب.

فلترح قلبي وتخبره متى اللقاء ؟))

فكرت بحماس وكتبت رسالتها ((تحب امتى ؟))

عند وصول الرسالة لأمجد انتفض واتسعت عيناه فهو ليس معتادًا أبدًا على رد لرسائله وقرأها وهو غير قادر على فهمها ، فماذا تقصد بسؤالها ؟! أهي موافقة على الارتباط به ؟ أستوافق أن تكون ملكًا له ؟

أخيرًا حسم أفكاره واتصل بها لترد هي بتوتر قابله بتساؤله الملهوف : قصدك ايه ؟

تمتمت بهدوء : يعني ايه قصدي ايه ؟

هتف بشك : انتِ موافقة تتجوزيني يا حنين ؟ ده بجد اللي فهمته ؟

ضحكت لحماسه وطريقته ولكن حاولت أن تتكلم بعملية : تحب ارتبلك ميعاد مع بابا امتى ؟

ضحك هو الآخر من عمليتها البحتة : النهارده ، دلوقتي لو ينفع ؟!

صاحت باعتراض : لا طبعا ما ينفعش النهارده خالص خالص.

تنهد بارتياح : خلاص بالراحة عليا يا ستي ، بكرا الساعة ٧ ايه رأيك ؟ مناسب ؟

أومأت برأسها، وعندما لم يجد منها ردًا أعاد سؤاله لتنتبه حين سمعت صوته: حنين بقولك الساعة ٧ مناسب ؟

ابتسمت بداخلها وتمتمت : هشوف بابا وأبعتلك رسالة باي .

أغلقت بسرعة وقلبها يقفز فرحًا وتوترًا من مكالمته .

توجهت للخارج لتجد والديها أمام التلفاز أمامهما طبق من التسالي وابتسامة رضا تزين وجهيهما وتمنت أن تحظى بمثل هذا الحب الذي يدوم العمر بأكمله ولكن أحقا هو حب ؟ والدتها عملية جدا ليست كوالدها ، نفضت رأسها فلا وقت الان لتحليل علاقة والديها ، انتبهت والدتها لوقوفها : خير يا حنين ؟ عايزة حاجة ؟

اقتربت بتوتر : أمجد عايز يجي بكرا الساعة ٧ .

ابتسم والدها : يا أهلا بيه ينور .

وقفت والدتها باعتراض : يا أهلا بيه ايه ؟! احنا مش مجهزين أي حاجة لاستقباله هو وعيلته والمفروض ....

قاطعها زوجها وهو يمسك يدها ليعيدها بجانبه : اهدي يا رينا ده مجرد تعارف في الأول ، اهدي ها؟

تنفست بصوت مسموع وهي تحاول تهدئة توترها ولكن سرعان ما وقفت مجددًا : قوم في حاجات كتيرة عايزة أشتريها ، قوم .

وقف زوجها باستسلام مبتسمًا ونظر لابنته بحزن مصطنع : أنا اللي جبته لنفسي ها

ضحكت حنين لوالدها بينما خرجت حور ولاحظت والدتها التي تجاوزتها مسرعة لغرفتها فهتفت بحيرة: مالها ماما ؟! بتجري كده ليه ؟

ربت والدها على رأسها وهو يمر بجانبها ثم لحق بزوجته لتلتفت حور لأختها بعدم فهم : مالهم ؟!

تركتها حنين ودخلت غرفتها فلحقتها أختها : يا بت في ايه ؟!

أجابتها وهي تمسك وسادتها بابتسامة : أمجد جاي بكرا يتكلم مع بابا .

ابتسمت حور وحركت رأسها بتفهم وهي تجلس بجانب أختها : أخيرا وافقتِ يعني ؟!

***

اتصل أمجد بوالدته يخبرها عن ميعاده مع والد حنين وطلب منها الاستعداد هي وأخته للذهاب معه .

أغلقت ثناء الهاتف وهي تنظر لابنتها وتخبرها عما دار بينهما فابتسمت أميرة وتنهدت: يااااه أخيرا أمجد هيتجوز ويسيب البيت !

ابتسمت والدتها وهي تذكرها : مش هيسيبه أوي خلي بالك ده شقته فوقينا يعني في الطالعة والنازلة هيعدي هنا .

عقدت حاجبيها بضيق : يعني ايه مش هنخلص منه أبدا؟

هتفت والدتها باعتراض : بعد الشر على أخوكِ يا أميرة اخص عليكِ.

تحركت من مكانها واقتربت من والدتها فأمسكت يديها لتوضح لها بأسف : ماما مش قصدي والله أنا بحب أمجد أنا بس كارهة تحكماته وعصبيته وغلاسته ، لكن هو الصراحة مش مخليني محتاجة أي حاجة وبيحبني ، أنا بحبه يا ماما بس ده ما يمنعش اني متضايقة منه وبتخنق منه .

ابتسمت والدتها بتفهم وسحبت يدها من يد ابنتها لتربت على رأسها بحب : بكرا ربنا يرزقك بابن الحلال اللي يدلعك يا قلبي ، ادعي بكده مش تدعي تخلصي من أخوكِ ، ده هو سندنا بعد ربنا .

أصرت أميرة على دعائها بأن تتخلص من سيطرة أخيها فهي تكره تحكماته للغاية .

في مدرسة الثانوية للبنات بعد انتهاء طابور الصباح دخلت صابرين غرفتها ولحقتها داليا صديقتها جلست

أمامها : ياااه الواحد تعب من الوقفة في الطابور ، ايه الإذاعة دي كلها ؟!

ابتسمت صابرين : دي كلها ماكملتش ربع ساعة يا دولي ، امال فين النشاط والرياضة؟!

ضحكت داليا : نشاط مين بقى ده الواحد بيتنفس بالعافية أصلا ، المهم طمنيني حنوثة القمر عاملة ايه ؟ لسه محتارة مع الدكتور إياه ؟

اتسعت ابتسامة صابرين ولمعت عيناها : وافقت والنهارده هيجي يطلب ايديها .

هتفت صديقتها بفرحة: بجد ؟! فرحتيني والله ، ربنا يتمملها على خير يا رب ويسعدها ، المهم قوليلي هو مز بقى وكده ولا ايه ؟

عقدت صابرين حاجبيها بدهشة وهي تردد : مز ؟! انتِ يا داليا بتقولي كده ؟!

ضحكت داليا بملء فمها : أيوة أقول ما أقولش ليه يعني؟! بعدين مش لازم نطمن على بنتنا ولا ايه ؟! قولي بقى شكله ايه ؟

ابتسمت صابرين : شكله حلو أيوة، هو مش طويل أوي بس جسمه متظبط كده ، هيعجبك لما تشوفيه - أمسكت يدها من فوق المكتب وربتت عليها بابتسامة - عقبال هايدي يا حبيبتي لما تفرحي بيها هي كمان .

ابتسمت داليا لصديقتها : إن شاء الله يا قلبي ، ربنا يسعدهم يارب ، المهم مش محتاجة أي حاجة بقى أجهزها معاكِ ولا ناقصك أي حاجة ؟

استمرت جلستهما ونقاشهما حتى توجهت داليا لمتابعة أعمالها .

***

في منتصف النهار استأذنت حنين والدها كي تنصرف مبكرًا من عملها لتستعد لاستقبال عريسها هي وصديقتها هايدي التي لا تفارقها .

اقتربت سارة منهما بغضب : رايحين فين كده إن شاء الله ؟

ابتسمت حنين : ورانا مشوار مهم كده يا سارة .

عقدت حاجبيها بضيق : ايه المهم أوي كده علشان تسيبوا الشغل وتمشوا ؟

أمسكت هايدي ذراع سارة واقتربت منها وهمست : حنين جايلها عريس وهتمشي بدري يادوب تروح كوافير وتستعد فهمتِ بقى ؟

صدمت لكن أومأت برأسها وحاولت أن تبتسم وهي تردد: مبروك يا حنين ، اوعي يكون الدكتور أبو دم تقيل ده ؟

عقدت حنين حاجبيها بضيق : اه هو وبعدين ما طلبتش رأيك فاحتفظي بيه لنفسك .

تراجعت سارة بسرعة : مش قصدي أنا بهزر يا حنون انتِ قفشتِ ولا ايه ؟! ده حتى النهارده المفروض تكوني فريش كده ومبسوطة مش قفوشة ، مبروك يا روحي .

ابتسمت حنين ابتسامة صفراء : الله يبارك فيكِ عقبالك .

اتسعت ابتسامة سارة وهي تنظر ناحية هشام وتتمتم : إن شاء الله .

انسحبت كلتاهما بينما اتجهت هي لهشام وجلست أمامه فتلفت حوله بقلق : مش هينفع كل شوية تقعدي قدامي كده ؛ الكل هيلاحظ ويتكلم .

رفعت كتفيها بلامبالاة : ما يهمنيش حد .

صاح فجأة بضيق : بس أنا يهمني .

عقدت حاجبيها بحيرة فتراجع هو بسرعة بابتسامة : سارة يا قلبي أنا يهمني محدش يتكلم عليكِ ويخاف عليكِ.

ابتسمت مجددًا وهي تقف : خلاص همشي.

أوقفها : كنتِ عايزة تقولي حاجة قبل ما تمشي ؟

عقدت حاجبيها بغضب حين تذكرت سبب مجيئها : أصل حنين في عريس جايلها النهارده وأخدت هايدي معاها وحتى ما طلبتش مني ولو من باب المجاملة أروح معاهم .

ابتسم لتفاهة اهتماماتها : عادي مش قضية يعني ، هي وهايدي ممكن يكونوا قريبين من بعض مش شرط يعني تقول لكل زمايلها .

اتسعت عيناه فجأة وهتف بتوتر : روحي دلوقتي شوفي وراكِ ايه هتكلم بعدين .

انسحبت من أمامه بحيرة وتوجهت لمكتبها بينما وقف هو لاستقبال مَن تقترب منه وابتسم بتوتر : هدير حبيبتي ، ازيك؟ خير ايه اللي جابك هنا ؟

عقدت حاجبيها باستغراب وهي تجلس أمامه : هو لازم يكون في سبب يعني علشان أعدي على جوزي في الشغل ؟!

تلفت هشام حوله وكل لحظة يزداد توتره : لا لا طبعا يا قلبي الحكاية وما فيها ان المدير رخم جدا ولو عرف انك مراتي وقاعدة كده هيزعق ويبهدلني ومش بعيد يجازيني ، ده راجل شراني ومفتري والكل بيتقي شره .

صاحت بضيق : طيب اقعد معاك حتى خمس دقايق أريح رجليا ولا أستريح من الحر !

وقف بتوتر: ليه هي عربيتك فين وزيد فين؟ سايباه عند مامتك ولا ايه ؟ (تلفت حوله مرة أخرى ووقف يحثها على الوقوف بتعجل) ولا أقولك يلا من هنا يا هدير

وقفت بالرغم عنها وإجابته بغضب : زيد أيوة عند ماما والعربية سيبتها وخرجت بتاكسي .

تحرك من خلف مكتبه : طيب تعالي أوصلك بسرعة قبل ما حد ياخد باله .

وضعت يديها على خصرها وهتفت بتهكم : يعني مديرك هيقلب الدنيا لو شافك قاعد معايا دقيقتين لكن تيجي توصلني في ساعة عادي ؟!

عقد حاجبيه بحيرة للحظات ثم أدرك نفسه : لا يا ناصحة أنا هطلب من حد من زمايلي يغطي عليا لحد ما أرجع علشان مش هاين عليا تمشي في الحر ده ، غلطان أنا ؟!

مطت شفتيها بضيق : لا مش غلطان بس ......

قاطعها : ما بسش بقى يا ديرو يلا خلي ربنا يسترها .

تحركت خلفه وهي غير مقتنعة بأسبابه وخوفه اللامبرر أبدًا .

***

بالجامعة، كانت جالسة بمفردها لتلاحظ ظلًا فوقها فرفعت رأسها وهي تضع يدها فوق عينيها لتحميها من ضوء الشمس : نعم ؟ و واقف كده ليه ؟

تراجع معتذرًا : سوري يا دكتورة .

دققت حور النظر ثم وقفت بابتسامة : حمزة ؟! سوري ما أخدتش بالي انه انت لان نور الشمس ضارب في عيني .

ابتسم وهو يقترب مجددًا : لا عادي ولا يهمك ، أنا لمحتك قاعدة لوحدك فقلت أسلم عليكِ في السريع كده .

ابتسمت وهي تشير لدفتر محاضراتها : كنت براجع المحاضرة اللي خرجت منها - أكملت بتهكم- ولله الحمد ما فهمتش منها حاجة أصلا .

ضحك على أسلوبها وأمسك الدفتر ، تمعن النظر به ثم أردف: كان درس رخم بس لو كنت بتحبي الكيمياء هتتقبليه ، لو تحبي أساعدك فيه ماعنديش مانع

ترددت حور : بس انت هتتعطل ؟

اتسعت ابتسامته وهو يشير على المقهى: لا مفيش تعطيل بس تعالي نقعد هناك علشان نعرف نسند على الترابيزة .

انتقلت معه وبعد أن استقرا سألها أولا : تشربي ايه الأول ؟

عقدت حاجبيها بضيق هو لاحظه : لا ولا حاجة خلينا نخلص بس الأول .

لاحظ هو ضيقها واستغربه ثم أمسك دفترها وأخرج قلمه وبدأ الشرح لها وهي تستمع بانتباه شديد وتركيز أكبر وتسأله من آن لآخر ليقر هو بذكائها .

رن هاتف حمزة ليخرجه ويعقد حاجبيه فهمست حور : لو وراك حاجة قوم عادي ؟

ابتسم لها وهو يريها هاتفه : ده معتز ، لحظة أرد عليه .

ثوان وأنهى المكالمة ثم وضع الهاتف أمامه وأمسك قلمه مجددًا : يلا نكمل ؟

أومأت بموافقة ولكن ماهي إلا عدة دقائق وقاطعهما وصول معتز الذي راقبهما أولا قبل أن يقترب ويهتف : فوش ، حور ، عاملين ايه كده ؟ مستخبيين ليه وهربانين هنا ؟

هم حمزة بالرد ولكن سبقته حور بضيق : احنا مش مستخبيين أصلا ولا هربانين أكيد ، يعني حمزة بيشرحلي نقطة مش فاهماها ولا أكتر ولا أقل .

لاحظ معتز ضيقها فتراجع سريعًا : أنا بهزر يا حور .

جمعت حور أغراضها بضيق : وأنا مش بحب الهزار بالشكل ده - التفت لحمزة وأكملت- متشكرة على وقتك يا حمزة وأتمنى ما أكونش عطلتك .

ابتسم بعملية : في أي وقت يا حور أنا موجود ما تترددديش .

ابتسمت مجددًا قبل أن تنسحب من أمامهما ليراقباها حتى اختفت فصاح حمزة بضيق : على طول هتفضل دبش كده في كلامك ؟!

اعترض معتز باستنكار : وأنا قلت ايه يعني ؟ بعدين ما الكافيتريا دي على طول هادية والكل عارف كده .

وضح حمزة : بس برضه يا معتز ، بعدين إنت شايف اننا بنشرح ولا بنتكلم ولا بنهزر فليه تضايقها كده ؟

استغرب معتز ضيق صديقه هو الآخر ، لربما تفهم ضيق حور ولكن صديقه ؟؟؟

انسحب حمزة بعدها متحججًا بصداع داهمه وترك صديقه في حيرة تامة .

***

استعد أمجد لزيارة حنين وعاد آخر النهار لبيته لتقابله والدته : اتأخرت يا أمجد !

وضع ما يحمله على الطاولة . لا يا ماما ما اتأخرتش ، المهم جهزتِ اللي طلبته منك ؟

أومأت بموافقة : أيوة يا حبيبي كله جاهز .

حرك رأسه بموافقة : تمام تمام ، أميرة فين ؟ جاهزة هي كمان ؟

خرجت أخته تريه فستانها فعقد حاجبيه بغضب : حضرتك الفستان ده ضيق ، مين اللي جابه أصلا وجيبتيه ازاي بالشكل ده ؟

اعترضت أميرة بغضب : أنا جبته النهارده علشانك مخصوص وبعدين مش ضيق ولا حاجة يا أمجد .

وضع يديه على خصره بصرامة. مش عاجبني وخلص الكلام على هنا اتفضلي غيريه وبسرعة .

ضربت الأرض بقدميها تعترض : مش هغيره ومش عايزة أروح خالص .

اقترب أمجد بتوعد منها ولكن وقفت ثناء بوجهه برجاء: ادخل يا أمجد خد دش وغير هدومك يا حبيبي وسيبلي أختك ، أنا هخليها تغير روح انت بس .

تركهما وهو ينظر لأخته نظرات حارقة بينما هما تابعتاه حتى اختفى وأغلق باب غرفته فهتفت أميرة بعناد : مش عايزة أروح معاه . مس هروح يا ماما .

أمسكت والدتها ذراعها وجذبتها وأدخلتها غرفتها وأغلقت الباب بتحذير : بت انتِ أنا مش حمل خناق دلوقتي وعكننة على المسا ، أخوكِ رايح يخطب وبعدين الفستان ابقى البسيه لنفسك مش له ، دي خطوبته وهو يختار اللبس ، يلا اتحركي.

صاحت باعتراض : يا ماما على طول بتيجي في صفه !

صاحت والدتها بتوضيح: علشان مش عايزة مشاكل انتِ عارفة انه في الآخر رأيه هيمشي سواء وافقتِ أو رفضتِ يبقى انجزي وتقتصر المشاكل لأنه في الآخر هتعملي اللي هو عايزه، يبقي لازمتها ايه الشحططة دي ؟!

تنهدت أميرة وجلست على سريرها بحزن : طيب يا ماما روحوا انتوا وسيبوني .

رفضت والدتها قطعًا فقالت بإقناع: يا قلبي ما ينفعش يروح من غير عيلته وبعدين لازم تتعرفي عليهم، يلا بينا بقى.

***

وقف إيهاب يتأمل لوحته الفنية التي رسمها على الحائط وقد شارف على الانتهاء وهو يحاول معرفة ما ينقصها ، انتبه من شروده على تصفيق خلفه فالتفت باستغراب ليجدها صاحبة الفيلا فوقف على جانب الحائط محرجًا بينما هتفت هي بإعجاب: براڤو عليك ، علشان كده بيسموك إيهاب الفنان ، الصراحة ما تخيلتش أبدا انك هتعرف تطلعها زي الرسمة اللي اديتهالك بس شكلك هتخطيها .

تمتم إيهاب بحرج : متشكر لحضرتك ولذوقك يا فندم .

اقتربت منه وهي ترمقه بنظرات إعجاب وتتأمله من رأسه حتى أخمص قدميه وقالت بمغزى: مش الرسمة بس اللي عاجباني .

توتر إيهاب وابتعد عنها وهو يهتف بعملية : لسه فاضلها شوية حاجات ماخلصتش .

اقتربت منه مجددًا بدلال: خلص على أقل من مهلك ، أصلا مش عايزاك تخلص بسرعة فاهم ؟

تعجب من طريقة كلامها ونظراتها وتعجب أكثر من عمرها فهي في سن والدته إن لم تكن أكبر منها ، انتقده

دخول معلمه الأسطى طلعت ليهتف بصوته العالي : ها ايه رأيك يا هانم ؟ مش قلتلك ده فنان؟

ابتسمت وهي تؤكد : طلع فعلا فنان يا طلعت ، وعاجبني .

عقد حاجبيه بحيرة؛ فهو لم يفهم مقصدها أهي تقصد رسمة إيهاب على حائطها أم إيهاب نفسه؟ نظر لإيهاب ليجده مطأطأ الرأس بينما تأكله السيدة بنظراتها فتدخل وصاح بصوت عال: اطلع يا إيهاب الحق زمايلك يلا اتحرك .

نطق إيهاب الشهادتين بعد إنقاذ معلمه وتحرك مسرعًا ليلحق بأصدقائه ليهتف خالد : كنت لسه هاجي أناديلك ، المعلم كان بيدور عليك والست صاحبة الفيلا برضه كانت بتدور عليك.

تمتم إيهاب بضيق : شوفت الاتنين .

لاحظ خالد ضيق صديقه ولم يرغب بالضغط عليه فهو سيتكلم إن اراد ، قاطعهما وصول طلعت ليرمق إيهاب بنظرات لم يفهمها، وركب سيارته وتحرك برجاله وبعد وصولهم للحارة وزع عليهم أجرتهم وانصرفوا ، قبل أن يتحرك إيهاب برفقة أصدقائه أوقفه طلعت لينظر لصديقه بحيرة ثم طلب منه ألا ينتظره على وعد أن يتقابلا بالمقهى فيما بعد .

وقف إيهاب أمام طلعت لينظر إليه بحيرة

توتر إيهاب من نظراته فهتف : خير يا أسطى في حاجة ؟

عقد طلعت حاجبيه بحيرة وضيق ودقق نظره في إيهاب : الست لبنى عجبتها الرسمة .

تعجب إيهاب؛ فهو يعلم هذا بالفعل : أيوه هي قالت كده ، وبعدين ؟

أطال النظر لصبيه وتمتم بغضب : وشكل مش بس اللوحة اللي عاجباها .

هنا عقد إيهاب حاجبيه وتراجع : قصدك ايه يا أسطى ؟

ألقى طلعت جملته دون مقدمات : قصدي انت فاهمه كويس يا إيهاب ولولا اني عارف أخلاقك وعارفك من زمان قسما بالله ....

قاطعه إيهاب بضيق : يا أسطى طلعت انت عارفني كويس وعارف اني ماليش في الحوارات دي نهائي ومش فاهم حضرتك متضايق ليه أو بتلمح لايه؟

صاح طلعت بغضب : الست دي مش عاجباني وتلميحاتها مش عاجباني و...

قاطعه إيهاب مجددا : زي ما سبق وقلت السكة دي مش تبعي والست دي كل اللي ليها رسمتها وبس ، تؤمرني بحاجة ؟

ركز طلعت نظراته على إيهاب يدرسه أو ربما يتأكد من صدق نواياه ، فهو بمثابة ابنه قبل أن يكون صبيه ثم حرك رأسه بنفي : لا يا ابني اتكل على الله .

تحرك إيهاب خطوة ليتراجع ويقف أمامه مجددًا فسأله الآخر : خير يا إيهاب ؟

تردد إيهاب ولكن أنهى تردده بسرعة : لو ينفع يعني تدبني ٢٠٠ جنيه زيادة وتخصمهم من يوميتي بعد كده ، مازن محتاج حاجات في جامعته ضروري .

رأف طلعت لحال إيهاب؛ فالحمل ثقيل للغاية وبدون تردد أخرج من جيبه ورقة نقدية بما طلبه إيهاب وربت على كتفه بحنان أبوي: في أي وقت تحتاج أي حاجة قولي ، أبوك الله يرحمه كان راجل سكرة وأهو خلف راجل يعتمد عليه ، ربنا يرزقك برزقهم يا إيهاب.

شكره إيهاب قبل أن يتوجه لبيته فرحًا فاستقبله مازن بلهفة : جبت باقي الفلوس ؟

ابتسم إيهاب : وعليكم السلام ، الحمد لله كويس .

تراجع مازن وهو يضع يده خلف رأسه بحرج : سوري يا هوبا بس ما تتخيلش أنا محتاج الباقي بسرعة ازاي

أخرج إيهاب الورقة من محفظته وأعطاها لأخيه : اتفضل يا سيدي .

شكره مازن وتوجه للخارج فأمسك إيهاب ذراعه باستغراب : رايح فين كده ؟

وضح مازن : هشتري باقي الحاجة أنا وزمايلي ، وهم مستنييني.

أومأ برأسه بتفهم : ما تتأخرش برا .

انسحب مازن بسرعة واختفى من أمام أخيه ليقابل أصدقاءه الذين استقبلوه بفرحة : أخيرا يا ابني ! هتخرج معانا مرة ، بس قلت لأخوك ايه ؟

ابتسم مازن : قلتله هنجيب حاجة المشروع .

هتف محمد صديقه المقرب : بس احنا خلاص اشترينا كل حاجة الصبح !

ابتسم مازن وهو يوضح ببساطة عارف بس إيهاب ما يعرفش ، بدل ما أقوله عايز ٣٠٠ للمشروع قلتله ٥٠٠ وبس كده.

صاح أصدقاؤه على ذكائه في خداع أخيه بينما عقد محمد حاجبيه بضيق : انت عارف أخوك بيشقى قد ايه بالفلوس دي ؟

أمسك مازن يد صديقه وسحبه بعيدا عن باقي أصدقائه يقولك ايه يا محمد انت عارف ان محدش فيهم يعرف حاجة عن بيتي وعن إيهاب فياريت ما تتكلمش وبعدين انت مش شايفني كل يوم والتاني بخرج معاهم دي مرة من نفسي يا أخي ، إيهاب نفسه لو عرف مش هيمانع.

تهكم صديقه : طالما مش هيمانع ليه كدبت عليه ؟!

عقد مازن حاجبيه بضيق والتزم الصمت فأكمل صديقه بعتاب : أقولك أنا ليه ؟ علشان سيادتك عارف وشايف قد ايه هو بيتعب علشان يجيب الفلوس دي فماكانش عندك عين تطلب منه فلوس تخرج تتسرمح بيها ، صح كده ؟

تراجع مازن بغضب : محمد فكك مني وبطل رغي بقى ما تصدعنيش وبعدين بكرا أتخرج وأبقى دكتور وكل مليم هو دفعه هردهوله.

ضحك محمد بسخرية : وعمره اللي ضاع عليكم هتردهوله ازاي ؟

رفع مازن يديه باستسلام : أنا استسلمت خلاص مش هكسب قصادك ، أنا رايح مع العيال جاي ولا لا ؟

تركه وانخرط وسط أصدقائه ولكن قليلا من تأنيب الضمير بدأ يساوره .

***

خرجت حنين من الكوافير برفقة هايدي التي هتفت بفرحة : قمر يا ناس ، أمجد هيتهبل لما يشوفك.

ابتسمت بخجل : عقبالك يا هايدي كنت بتمنى نتجوز أنا وانتِ في يوم واحد .

هتف معتز معترضًا بمزاح: خبطتين في الراس توجع ، كفاية مصيبة واحدة مش اتنين.

ضربته أخته في كتفه : يا أخي انت لسانك ده متبري منك ؟!

ضحك معتز و وقف أمام سيارته بينما ركبت حنين وهايدي التي لاحظت انتظار أخيها فنادت له : ما تنجز يا ابني تركب وتوصلنا ايه التناحة دي ؟!

عقد حاجبيه بحيرة : امال حور فين ؟ هي مش معاكم ؟

تنهدت هايدي بنفاد صبر وصاحت : يعني انت تعرف ان حور بتاعة كوافيرات ؟! ما تنجز يا معتز وبطل لكاعة بقى .

ركب معتز محبطًا؛ لقد تمنى رؤيتها ليعتذر عن حماقته معها بالجامعة.

رن هاتف حنين معلنًا عن وصول رسالة فابتسمت حين سمعت تلك النغمة فمعناها كلمات جديدة تنعش قلبها

((هل أخبرتك يومًا أن حياتي من دونك تنقصها حياة؟ يجذبني الشوق إليك بقيود من حديد كلما انتزعت قيدًا أعادته الذكرى من جديد.. أخبريني كيف أحيا وقلبك عن قلبي بعيد؟ كم يطيب لي عذابي ونفسي تطالب بالمزيد؟! فما الحب إلا ملك ونحن له كالعبيد.))

أعادت قراءتها العديد من المرات وتلك البسمة لا تفارق شفاها .

استقبل عبد القادر ابنته بفرحة وأمسك يدها ولفها حول نفسها وهو يتأملها : بنوتي الحلوة أجمل بنت في العالم كله .

ضحكت حنين وهي تضم والدها : وانت أجمل وأحن أب في الدنيا .

خرجت صابرين ونظرت لابنتها بتمعن ثم تكلمت بعملية : خلو حلو اينعم لون الروج غامق شوية بس حلو ، لو ينفع.....

قاطعتها هايدي بمرح : عديها بقى يا طنط النهارده يوم مميز وعايز لون مميز .

ابتسمت صابرين : ماشي هعديها يا هايدي عقبالك يا حبيبتي.

صفرت حور حين رأت أختها وقالت بدهشة : أول مرة أعرف انك حلوة كده يا بت يا حنين ؟! ايه يا بت كل ده ؟

صاحت صابرين بصرامة: ايه يا حور الأسلوب ده ؟ بعدين كان المفروض روحت مع أختك ولبست كده و.......

قاطعتها حور : لا لا لا لايمكن ماليش في القعدة المهببة دي عند الكوافيرات ، مالي كده ؟ قمر اربعتاشر.

ضحكت هايدي وأيدتها : وأحلى قمر اربعتاشر كمان .

انتظر الجميع وصول أمجد برفقة عائلته في توتر حتى رن هاتف حنين وكان أمجد يخبرها بوصوله فأخبرت والدها وخرج لاستقباله والترحيب به هو وزوجته واستقبال عائلته وبعد الاستقرار والترحاب سألت ثناء : امال عروستنا الحلوة فين ؟ ده أنا نفسي أشوفها من زمان من ساعة ما أمجد حكالي عنها ، مش صح يا أميرة ؟

كانت أميرة شاردة وانتبهت على اسمها فرددت: ها ؟ أكيد أكيد طبعا.

لاحظت ثناء شرود ابنتها وحاولت تغيير الموضوع انتظارًا لخروج عروس ابنها .

أخيرًا خرجت حنين بخجل فالتف أمجد إليها بابتسامة واسعة اختفت تدريجيا حينما رآها .

عقدت أميرة حاجبيها بتعجب حين رأت حنين وحملقت بها تدرس كل تفاصيلها ثم نظرت لأخيها باستهتار

وسخرية ليلاحظها أمجد فازدادت تعقيدة حاجبيه هو الآخر، أما ثناء فوقفت لاستقبال حنين بفرحة وقبلتها وهي تثني على جمالها ورقتها ، وقفت أميرة تباعًا ترحب بها ببرود نوعًا ما ، وقفت أمام أمجد بخجل تسلم عليه فلاحظت ضيقه ونظراته الغريبة وتعجبت ما سببها ؟

تكلمت ثناء وأمجد مع والدها و شردت حنين في سر نظرات أمجد الغاضبة حتى انتبهت لوالدها يهتف بفرحة : طيب ماعنديش مانع نقرأ الفاتحة .

قرأ الجميع الفاتحة بفرحة حتى انتهوا وبارك الكل لكليهما .

خرجت حنين لتحضر القهوة وتبعتها هايدي بسعادة: مبروك يا حنون ما تتخيليش أنا فرحانة قد ايه

ابتسمت حنين بشرود فأمسكت صديقتها يدها بتعجب: مالك مسهمة كده ليه ؟

عقدت حاجبيها بحيرة : لاحظتِ أمجد ازاي نظراته كلها غضب ؟! مش طبيعي أبدا .

هتفت هايدي باعتراض : يا بنتي هو متوتر مش أكتر زيك كده ، مش أول مرة بيخطب ؟! وبيخطب قمر ماكانش يحلم بها أصلا !

ابتسمت حنين واطمأنت قليلا : بجد انتِ شايفة كده يعني ؟

أومأت بتأكيد وهي تضع القهوة في الفناجين : أيوة المهم خدي القهوة جاهزة اهيه واطلعي يلا .

قبلتها حنين وهتفت بحماس : ربنا ما يحرمني منك وعقبال ما أنا أقف معاكِ وأطمنك يوم ما يجي عريسك .

ابتسمت هايدي : إن شاء الله بس أنا عريسي الأهبل ده اللي نايه عن بيتنا هخليه هو اللي قلقان وعايز حد يطمنه مش أنا .

ضحكت حنين وهي تحمل الصينية : هبقى أطمنه هو ماشي .

وضعت الصينية على الطاولة و وزعت الفناجين ثم جلست مكانها فبادرها والدها : حنين اتفقنا الفرح يكون على طول يعني بعد شهرين، والخطوبة الخميس الجاي إن شاء الله، أمجد جاهز ويادوب تنزلوا تشتروا العفش .

ابتسمت ابنته بتوتر : شهرين بس ؟

أجابت والدتها بجدية: انتِ عايزة أكتر من كده ليه ؟ شهرين كفاية يا حنين .

أومأت بتوتر وهي تفرك يدها وإحساس بالقلق يغمرها من نظرات أمجد لها .

سألت حور فجأة : إلا قولولي هتعملوا ايه في الخطوبة بقى ؟

سألها أمجد : قصدك ايه بالظبط ؟

وضحت حور : يعني هتعملوها فين مثلا ؟ هتعزموا مين ؟ هتعزموا ناس كتير ولا ؟ يعني ايه التفاصيل ؟

اتجهت كل الأنظار لأمجد تلقائيا فابتسم هو : براحتكم ، زي ما تحبوا .

ابتسم عبد القادر : أعتقد الأفضل الخطوبة تبقى على قدنا احنا والمقربين بس ونخلي الهيصة والقاعة وكل ده للفرح بما ان مفيش فاصل بينهم كتير ولا ايه رأيكم ؟

أكدت ثناء: اللي تشوفوه واللي عروستنا تحب تعمله.

ابتسمت حنين لحماتها المستقبلية: عادي بالنسبة لي المهم صحابي المقربين يكونوا موجودين وبس وممكن نسهر في النادي مثلا شوية .

وافقها أمجد : خلاص تمام نعمل حفلة بسيطة على قدنا ونبقى نسهر في أي مكان برا.

خرجت حنين إلى الشرفة برفقة أمجد ليتحدثا قليلًا بمفردهما وسألته هي بهدوء : في ايه ؟ نظراتك غريبة ليه ؟

فكر أمجد قبل أن يجيبها ثم سألها هو بشك : انتِ لبستِ هنا في البيت وعملتِ الميك اب ده هنا صح ؟

زادت حيرتها من سؤاله بل تضاعفت فسألته : وده يفرق معاك في ايه أصلا ؟

أصر بضيق : جاوبيني لو سمحتِ .

مطت شفتيها بحيرة : لا، أنا روحت الكوافير ويادوب راجعة قبل ما انت تيجي بحاجة بسيطة.

عقدت الصدمة لسانه لوهلة ثم هتف : عملتِ ميك اب وجيتِ هنا لبستِ ؟ صح ؟

صاحت بمنتهى الاستغراب: انت بتتكلم في ايه يا أمجد ؟ وايه الأسئلة الغريبة دي ؟ على العموم كنت واخدة معايا اللبس ولبست هناك وكان معايا هايدي وجينا مع بعض ، عندك أي أسئلة غريبة تانية ؟!

نظر إليها لبرهة قبل أن يتكلم بمنتهى الغضب مجاهدًا للسيطرة على أعصابه وإبقاء صوته منخفضًا قدر المستطاع وهو يهمس لها بلهجة قاتلة : انتِ عايزة تفهميني انك لبستِ الفستان الضيق والقصير ده في الكوافير؟ وجيتِ من هناك لهنا وكل الناس كانت بتتفرج عليكِ؟! ده اللي بتقوليه يا حنين ؟

تراجعت حنين خطوة للخلف حتى اصطدمت بالحائط خلفها وتمتمت بدهشة : فين المشكلة يا أمجد ؟ ده فستان عادي .

أمسك ذراعها لتتسع عيناها من الدهشة وصاح بها بغضب أهوج : إذا كان اليونيفورم بتاع الشغل لمجرد انه البنطلون كان برمودا ماعجبنيش متخيلة هقبل تلبسي فستان زي ده ؟! بأي عقل سيادتك بتفكري ؟

سحبت حنين ذراعها من يده بصدمة وهتفت : انت بتتكلم بجد ولا بتهرج ؟ ده بدل ما تباركلي اننا اتخطبنا وبدل ما تقولي قد ايه انت فرحان بالخطوة دي بتتخانق معايا ؟! ده بجد ولا أنا في كابوس ؟ الظاهر اني أخدت قرار غلط بالخطوبة دي !

همت حنين بالخروج من الشرفة ولكن أمسك ذراعها وغير لهجته تمامًا خوفًا من خسارتها : أنا بعشقك يا حنين ، انتِ لا يمكن تتخيلي بحبك قد ايه أو انتِ بالنسبة لي بقيتِ ايه ، وغصب عني، أقسم بالله غصب عني بغير عليكِ ، عايز أخبيكِ من الكون كله جوايا ، لو أطول أفتح صدري وأدخلك جواه كنت عملتها ، ده حب وعشق يا حنين مش أي حاجة تانية .

أغمضت عينيها تستمع لكلماته بقلبها لا عقلها وتتسارع دقاته وهو يقف خلفها يهمس بكلماته ويبثها حبه وعشقه وهي تبتسم رغمًا عنها .

أمسك ذراعها الآخر وحرك يديه فوق ذراعيها بابتسامة : اوعي تزعلي مني وقدري حبي وقدري غيرتي وحقك عليا لو كنت ضايقتك، خدي سكينة واضربيها في قلبي عاقبيه لكن اوعي ، اوعي تاني مرة تقولي ان ارتباطنا غلط وحبنا غلط ؛ ده أنا أموت من غيرك يا حنون قلبي .

التفت إليه وهي ترسم الغضب على ملامحها وتطبق يديها فوق صدرها : كان المفروض بدأت كده الأول مش بأسئلتك الغريبة دي .

ابتسم وهو يقترب بوجهه منها ويرفع ذقنها ليواجه عينيها : سامحي غبائي - مازحها - لسه غشيم وجديد في الحب اعذريني بقى .

ابتسمت وسألته بهمس : بجد أول مرة تحب ؟

أومأ برأسه : طبعا انتِ أول واحدة تدق قلبي وتدخل كمان وتقعد وتتربع وبدون استئذان ، ملكتيني وملكتِ قلبي وروحي .. ما تتخيليش قد ايه صعبة الليالي اللي بحاول أوصلك فيها وأوصل لطيفك وخيالك ، أوصل لشرايين قلبك، قد ايه متعبة ليالي البعد يا حنين! قد ايه صعبة اللحظات اللي بدور فيها على صدرك علشان يضم راسي !

قد ايه صعب انتظارك تنوري لياليا المظلمة وحياتي كلها

فخليك دايما جنبي وفي حضني ومعايا يا حنين .

رنت في أذنيها أغنيتها المفضلة « كلمات »، فقلبها ينبض لسماع تلك الكلمات ، عقلها يؤسر بتلك الكلمات ، حواسها تتخدر بالكلمات .

همس وهو يمسك يدها و يرفعها ليقبلها بحب : سامحتيني ؟

حبست أنفاسها حتى ابتعدت شفتاه عن يدها ثم أومأت برأسها غير قادرة على النطق بأي كلمة .

طرقات على باب الشرفة لتطل حور برأسها : العرسان الحلوين.

ابتسم أمجد : يا هلا بالدكتورة الصغيرة.

ابتسمت حور : يا هلا بالدكتور الكبير.

انصرف أمجد بعد الاتفاق على كل تفاصيل الخطوبة والفرح وبعد وصوله البيت وقفت أميرة وهنأت أخاها بتهكم : مبروك يا أخويا يا كبير.

تعجب أمجد من أسلوبها : الله يبارك فيك يا أميرة وعقبالك.

أومأت برأسها ثم تمتمت بمغزى : بس ايه رأيك في فستان عروستك ؟! يعني ما سمعتلكش صوت ولا نفس ولا كان عاجبك أوي ؟

عقد حاجبيه بغضب بينما تدخلت والدتها : ما تتلمي يا أميرة وبعدين دي عروسة لما تبقي عروسة ابقي البسي براحتك يا اختي

هتف أمجد بغضب : لا مش هتلبس براحتها غير لما تروح بيت جوزها ده أولا وثانيا حنين لسه ما بقتش مراتي ولا تحت طوعي ، سيادتك تتكلمي لما تبقى تحت طوعي مش في بيت أبوها ، أعتقد كده فهمتي ؟ وبعدين أنا كلمتها وقلتلها ان الفستان ماعجبنيش وهي اعتذرت .

علقت أخته بسخرية : آه اعتذرت ، قلتلي بقى .

هم أمجد بالرد عليها ولكن أوقفته والدته سريعًا : حبيبي اليوم كان طويل عليك ادخل ارتاح ولا روح كلم خطيبتك ، يلا يا حبيبي سيبك من الهبلة دي .

انسحب أمجد بينما هتفت أميرة بغضب . ياما نفسي تربيه حنين وتطلع على عينه القديم والجديد.

علقت والدتها برعب : يا خوفي لا هو اللي يربيها ويطلعه على عينيها البت شكلها دلوعة أبوها .

زاد غضب ابنتها : حضرتك صعبانة عليكِ حنين وأنا بنتك مش فارقة معاكِ ؟! ما تلمي ابنك شوية أحسن من كل ده ..

تمتمت والدتها وهي تنظر لغرفة ابنها مخافة أن يسمعهما : ما تتلمي يا بت بقى وخلي الليلة تعدي على خير .

استرخت حنين على فراشها الصغير تنظر إلى خاتمها الذي يزين أصبعها وتتذكر تلك اللحظات وهو يضع

في يديها قيدًا تحمله بعشق ، انتبهت على نغمتها المفضلة فأمسكت هاتفها بفرحة تقرأ كلماته ((أشتاق لك.. ليس هناك تاريخ ولا شهر ولا حتى يوم معين. أشتاق لك دومًا وكلما اشتقت إليك ساء حالي كثيرًا ، بعد أن أحببتك تغير كل شيء في الكون، توقفت الأرض عن الدوران، تكسرت عقارب الأزمان، أصبح النهر مالحًا وغدا البحر عذبًا، صار القمر شمسًا، والشمس أقمارًا، تغير طعم قهوتي، عدت لزمن ولادتي غيرت موضوع قلبي، صار في اليمين بعد أن كان باليسار، رأيت الليل كالأنوار، ذبت في مياه الأمطار وأطلقت سراح كل الأسرار بعد أن أحببتك، أرجو أن يحميني قلبك من كل الأخطار))

وضعت هاتفها جانبا واستمعت لكلمات أغنيها المفضلة وهي تتمنى وتحلم بذلك اليوم الذي سترقص فيه على أنغامها بين ذراعي حبيبها .

***

انتشر خبر خطوبة حنين وامجد في البنك وبارك الكل لحنين وقررت دعاء هي وزوجها الاحتفال بصديقتهما فطلبت دعاء من زوجها شراء قالب كيك كبير لتقطيعها مساء بعد انتهاء مواعيد العمل وتم مفاجأة حنين التي فرحت بأصدقائها ، قضى الجميع وقتًا لطيفًا وانصرف بعدها كل إلى بيته .

لحق هشام بسارة وركبت معه ليوصلها إلى بيتها وبعد أن تحرك بها هتفت سارة بغيظ : يا بختها.

سألها هشام بحيرة . مين دي ؟

أجابته بحنق . حنين هو في غيرها طبعا؟!

أوقف سيارته على جانب الطريق في مكان هادئ والتف إليها بتعجب يا بختها في ايه ؟ انتِ جميلة زيها ويمكن أجمل كمان منها.

ابتسمت وتكست رأسها بخجل مصطنع : بجد انت شايفني أجمل منها؟

ابتسم وهو يقترب منها ويمسك يدها يقبلها وعينيه تحاوط عينيها : طبعا أجمل ألف مرة ، معقول عندك شك في ده ؟

اقترب أكثر بعد أن فك حزام الأمان و وضع يده على رقبتها ليهمس : سارة انتِ ماتتخيليش مكانتك بقت في قلبي قد ايه ؟ يا ترى انتِ حاسة بيا ؟

أمسك يدها ليضعها على قلبه : شايفة قلبي بيدق ازاي تحت ايدك ؟ حاسة بيه يا سارة؟

أومأت برأسها وقلبها يكاد يخرج من بين أضلعه بينما جذبها إليه لتقترب أكثر منه : أنا بحبك يا سارة ، بحبك فوق ما تتخيلي .

همست وهي تكاد تملك صوتا : وأنا كمان بحبك يا هشام.

اقترب هشام أكثر من شفتيها ونظر لعينيها ليحاول توقع رد فعلها وحين رأى مدى استسلامها اقترب ليقبلها برقة وخفة وهي تضيع بين يديه ، ابتعد فوجدها مغمضة العينين حالمة وفي عالم آخر فاستمر في تقبيلها دون أدنى مقاومة منها حتى رن هاتفه ليرى اسم زوجته فانتفض مبتعدًا عنها ففتحت عينيها وتكلمت بصوت مبحوح : في حاجة مهمة ؟

ابتسم بتوتر وهو يغلق هاتفه ويضعه بجيبه : لا مفيش في العالم أهم منك .

أمسك يدها لتسأله باهتمام : انت بجد بتحبني يا هشام ؟! اوعى تكون بتضحك عليا ؟!

ابتسم وجذبها و وضع يديها فوق صدره : خلي قلبي يقولك الحقيقة ، احكمي بإحساسك انتِ.

ثم قبلها مجددًا قبل أن يبتعد عنها ويدير سيارته ليتحرك ؛ فلقد تأخر الوقت وزوجته ستقيم الدنيا فوق

رأسه .

أوصلها لنفس المكان وراقبته حتى ابتعد ثم توجهت لبيتها وهي تكاد تطير وتحلم بزواجها منه وبعد أن دخلت منزلها قابلتها والدتها التي صاحت بها: ما لسه بدري يا هانم ؟ كنتِ باتي برا يا حبيلتها !

نفخت سارة بضيق : النهارده كان في حفلة علشان بنت المدير حنين انتِ عارفاها ، اتخطبت وجابوا تورتة وعملولها هيصة كده بعد ما خلصنا الشغل وده اللي أخرني .

خرج والدها إسماعيل وصاح بضيق : ما جيبتيش معاكِ حتة تورتة ؟ ولا كلتِ لوحدك ونسيتِ أبوكِ وأمك ؟!

زاد غضب سارة وهتفت بضيق : يعني عايزني أقولهم ادوني حتة لأبويا ولأمي؟!

تهكمت والدتها: بنتك راسمة الدور انها بنت مليونير بقى عايزها تقولهم هاتوا حتة؟ دي كانت ماتت بحسرتها .

هتفت سارة بتهكم : البركة فيكم مهنيييني صح ؟

اقترب إسماعيل منها ما تشوفيلي يا بت معاكِ ٢٠٠ جنيه أخلص بيهم مصلحة كده .

التفت لوالدها بحدة : مصلحة ايه يا أبا؟! هي مصالحك دي ما بتخلصش أبدا؟ وبعدين مش بشوف من ورا مصالحك دي غير مصايب.

صاح والدها بغضب : هاتي يا بت ال ٢٠٠ جنيييه بدل ما أقعدك في البيت ، مش مكفيكِ أني سمحتلك تشتغلي بمزاجك ؟! انجزي وطلعي اللي معاكِ .

أخرجت على مضض ما طلبه والدها وهي تدعو أن ترتاح من والدها وطلباته التي لا تنتهي أبدا وفكرت تلقائيا في فارسها المنقذ هشام.....

***

اشترى أمجد فستان الخطوبة لحنين وأرسله إليها فابتسمت حنين عند استلامه وجلست بحماس لتفتح العلبة وحولها والدتها وحور وصديقتها المقربة هايدي ، هتفت حور بحماس : ما تفتحي بقى يا رخمة خلينا نشوف الفستان .

ابتسمت حنين وبدأت في فتح العلبة لتتفاجأ أولًا بلونه الأخضر التفاحي وأنه مطرز بخيوط ذهبية وأكمام طويلة ومجسم من الأعلى ويتسع من وسطها للأسفل ، عقدت حور حاجبيها وهتفت باستغراب : غريب الفستان ده.

علقت هايدي لتحاول إسعاد صديقتها : بس لونه جميل ونازل على كلوش واسع هيكون حلو عليكِ يا حنون وبعدين هيبان أكتر مع اللبس ، قومي البسيه.

أمسكت والدتها الفستان وفردته أمامها بهدوء: شكله حلو وخامته جميلة وناعمة والشيفون والدانتيل حلوين ، قومي فعلا قيسيه يا حنين هيظهر أكتر عليكِ .

وقفت حنين بصمت وأخذت الفستان لغرفتها لقياسه ، ارتدته ونظرت لانعكاسها بالمرآة ، كانت جميلة وجمالها انعكس على الفستان ولكن لم يزدها الفستان أي جمال ، نظرت لانعكاسها بإحباط، انتبهت على طرقات خفيفة ففتحت الباب لتدخل صديقتها وتهتف بابتسامة : واو جميلة أوي يا حنون - أمسكت يدها وجذبتها للخارج- تعالي وشوفي رأيهم .

ابتسمت والدتها : بسم الله ما شاء الله يا حنين زي القمر يا قلبي .

نظرت لأختها التي ابتسمت بتكلف : فعلا انتِ جميلة يا حنون.

عقدت حنين حاجبيها بحيرة : سيبك مني المهم الفستان ، الفستان شكله ايه ؟

تمتمت حور بمجاملة: حلو ، اه حلو .

لاحظت هايدي إحباط صديقتها لتهتف بفرحة : جميل يا روحي وهينطق عليك - غمزت لصديقتها وهي تكمل- بعدين يكفي ان حبيب القلب عاجبه ولا ايه ؟ هو صاحب أهم رأي وهو عاجبه .

أبتسمت حنين ابتسامة صغيرة وعلقت أختها بضيق : اه طبعا لازم يعجبه طالما برقبة وكم وطويل ومقفل بالشكل ده.

عارضتها والدتها: وهو لازم يكون الفستان عريان علشان يعجب ولا ايه ؟؟

وضحت حور بضيق : لا طبعا مش ده قصدي أبدا، بس هو بيفرض عليها ذوقه ، كان ممكن ينزلوا مع بعض ويختاروه أو يقولها مثلا هو حابب ايه وهي تختاره مع زمايلها لكن هو نزل وحطها قدام الأمر الواقع.

صاحت والدتها بعنف : حور ! انتِ ما تعرفيهوش فما تحكميش عليه وبعدين واحد حابب يهادي خطيبته وجابلها فستان وعايز يشوفها فيه فين التحكم أو فرض الرأي ؟!

أيدتها هايدي : فعلا يا حور دي حركة حلوة منه ليه أخدتيها بالمحمل ده ؟

تقابلت نظرات حور وحنين التي فهمت تماما ما ترمي إليه أختها أو لربما لديها نفس الإحساس، إلا أن حلمًا ورديًا يراودها بأن ما حصل تعبير عن غيرة المحب، التي لطالما سمعت عنها وقرأت عنها فابتسمت وتمتمت : هي فعلا حركة جميلة منه وذوقه حلو يا حور وعاجبني .

ابتسمت حور لأختها : طالما عاجبك يا حنين يبقى ألف مبروك ليك يا روحي ويارب يسعدك.

دخلت حنين غرفتها لتبدل ثيابها وأمسكت صابرين يد ابنتها حور مؤنبة إياها : انتِ ايه يا شيخة؟ لسانك ده متبري منك ؟ لازم تكرهيها في الفستان ؟

هتفت باعتراض : يا ماما لازم تعرف تقول لا لو ماعجبهاش حاجة مش لازم تمشي وراه وفي كل كلمة تقوله آمين وبعدين ده فستان خطوبتها المفروض هي تختاره بمزاجها مش هو .

استنكرت هايدي : حور طالما هو عاجبها وطالما هي بتحب أمجد فليه تعارضه ؟ بعدين ده فستان لا أكتر ولا أقل .

زدت بتوضيح: ماهي بتبدأ بالحاجات البسيطة دي وبعدها تتعود ما تقولش لا أصلا.

صاحت والدتها بضيق: بت انتِ حطي لسانك في بوقك وبطلي هبل طالما الشخص كويس فكل الأمور دي بسيطة ومش حيوية أصلا ، ايه المشكلة انه يلبسها على مزاجه ؟! حقه ولا لأ؟

حركت حور رأسها بدهشة من منطق والدتها : يا ماما أنا عمري ما شوفت بابا بيفرض رأيه عليكِ أبدا فازاي بتقولي كده ؟!

- احنا بنتناقش والرأي اللي بنقتنع بيه بيمشي بغض النظر ده رأي مين فينا وبعدين مش كل الناس زي بعضها كل راجل وله شخصيته المختلفة وله متطلباته مش كله زي بعضه ، كفاية كلام في الموضوع ده واقفليه وبطلي رغي واوعي تتكلمي مع حنين في الهبل اللي بتقوليه ده.

انسحبت حور تغلق باب النقاش بينما حنين بداخل غرفتها رن هاتفها فابتسمت لرؤية اسمه : أمجد ازيك؟

هتف بحماس : حنين حبيبة قلبي الجميلة ، واحشاني يا قلبي ويومي من غيرك فاضي مالوش معنى ولا طعم ولا شكل ، صوتك بقى إدماني الجديد يا حنين ، زي قيثارة عشق مالهاش بديل ، زي أيقونة بتعزف على قلبي أجمل ألحان ، واحشاني فوق ما ممكن عقلك يصورلك يا حنين .

ابتسمت لكلماته التي تغرق هيامًا بها وتمتمت بحرج : وانت كمان واحشني .

سألها فجأة : الفستان وصلك ؟ طمنيني ؟

ابتسمت وهي تهمس . اه وصلني وقيسته .

عقد حاجبيه منتظرا باقي إجابتها ولكن ساد الصمت فسألها بلهفة : عجبك ؟ قولي يا بنتي ؟

ترددت في إخباره أنه ليس ذوقها ولا ما تحب، وليته سألها عن ألوانها المفضلة قبلها واختار حسب ما تحب، غير أنها وجدت نفسها تقول بمجاملة : طبعا عجبني ، لونه جديد وحلو وبعدين كفاية انه هديتك انت ليا.

اتسعت ابتسامته بفخر : روح قلبي ربنا ما يحرمني منك أبدا .

أغلقت هاتفها و وضعته جانبا وهي تحاول جاهدة إقناع نفسها أن ذلك الفستان يزيدها جمالا عكس ما تشعر به .

وصلتها رسالة أخرى لتقرأها مبتسمة وتغلق ذلك الضجيج برأسها ((يا حبيبتي يا كل آمالي وأحلامي، هل تسمعين صوت قلبي حينما تهمسين؟ فكيف لو تتكلمين؟ هل سيظل قلبي في محله ولا يحلق في سماء العشق طيرًا؟ لا يا حبيبتي لا تصمتي وتحدثي حتى الصباح، تكلمي حتى يذوب الصمت.))

***

في يوم الخطوبة ترجت أميرة أخاها ليوافق على ارتدائها لذلك الفستان الذي سبق واشترته وبعد محاولات وافق أخيرا؛ فهو طويل وبأكمام طويلة وسيتغاضى عن ضيقه .

ارتدى ملابسه واستعد وأخرج علبة الخاتم وأطال النظر إليه وهو يهتف لنفسه بثقة : بالخاتم ده يا حنين هتكوني ملكي وبتاعتي لوحدي ومحدش أبدا هيشاركني فيك ، يااااه أخيرا يا حنين هتبقي في بيتي! بس لسه للأسف دي خطوبة بس ، أرسل إليها رسالة عشق ((حبيبتي يا صاحبة الوجه الملائكي، إنني أشتاق للمس وجهكِ وتأمل حلاوة عينيك ورؤية مبسمك الذي يشفي قلبي العليل، فأين أنتِ كي آتي إليكِ وأضع خاتمي بأصبعك ويكون منارة حب تضيء ليالينا المظلمة؟))

قاطعه دخول والدته تستحثه للخروج .

ارتدت حنين فستانها وأكملت زينتها وسط صديقاتها في جو مليء بالمرح والزغاريد والرقص ، دخلت صابرين وهتفت بابتسامة: حنين جاهزة يا حبيبتي ؟ أمجد على وصول .

ابتسمت حنين وهي تومئ برأسها وتسأل: ايه رأيك ؟

ابتسمت والدتها بسعادة : زي القمر يا بنتي .

تركتها وخرجت لضيوفها بينما تمتمت سارة بغيرة: بس أول مرة أشوفك لابسة الاستايل ده يا حنين ، مش ذوقك خالص.

هتفت هايدي بفرحة : المهم انها حلوة فيه .

تمتمت بلامبالاة : اه حلوة ، هي حلوة فعلا - هتفت فجأة باستيعاب- اوعي يكون ده ذوق أمجد ؟!

تدخلت حور ووقفت أمام أختها بجدية : ذوق أمجد ، ذوقي ، ذوق عباس ذوق القرد الأبيض المهم ان حنونة قمر فيه وبس .

تراجعت سارة وابتسمت بتصنع: طبعا حنين جميلة في أي شكل وأي منظر .

ابتسمت حنين لأختها بامتنان وربتت على كتفها فهمست حور وهي تغمز لها: وراكِ رحالة لا تقلقي

حين سمعت نغمة هاتفها ابتسمت وأمسكت هاتفها بلهفة لتأخذه صديقتها بتعجب : وقت موبايلات ده ؟ خطيبك على وصول؟

ابتسمت وهي تجيبها : ماهي الرسالة دي من خطيبي ، هاتي بقى .

قرأتها مبتسمة بينما لاحظت أن صديقتها تقرأها معها وتردد بمزاح : أين أنتِ يا صاحبة الوجه الملائكي ؟

أخفت هاتفها عابسة : بطلي رخامة يا بت انتِ .

تنهدت مبتسمة وهي تعلق : كلمات ليست كالكلمات صح يا حنون ؟

ابتسمت حنين وهي تفكر في صاحب تلك الكلمات وتردد مثل صديقتها بشرود: كلمات ليست كالكلمات .

وصل أمجد أخيرا وانبهر بجمالها الأخاذ واستقبله الكل بفرحة ومر الوقت وأخيرا ألبسها الخاتم وهي أيضا وضعت في يده خاتمه وسط مباركات وزغاريد الكل .

منع أمجد خطيبته من المشاركة مع البنات في الرقص أو حتى الوقوف بجانبهم وطلب منها الجلوس برفقته طوال الوقت .

دخل معتز وصديقه حمزة (فوش) وصاح معتز وهو يقترب من حنين بصوت عال : حنون مبروك يا قمراية البنات.

توترت حنين وبتلقائية اتجهت أنظارها لخطيبها لتلاحظ تصاعد النيران من وجهه و وقوفه لاستقبال معتز وصديقه .

(٤)

وقف أمجد لاستقبال معتز وصديقه بينما توترت حنين جدًا؛ خوفًا من رد فعله أو إحراج معتز فوقفت أيضًا.

هتف معتز بابتسامة : مبروك يا عريس ، انت واخد أجمل بنوتة في الدنيا دي كلها .

ابتسم أمجد بتكلف واضح وضغط على يد معتز : الله يبارك فيك ومش محتاج حد يقولي عن الإنسانة اللي اخترتها زوجة.

تعجب معتز من ضيق أمجد الواضح ولكن لم يعره انتباهًا والتف لحنين بابتسامة واسعة : حنون القمر مبروك .

ردت حنين بابتسامة واسعة : الله يبارك فيك يا معتز وعقبالك يارب .

رفع يديه بمزاح : يارب بس الجميلات بيروحوا أعمل ايه أنا ؟

لاحظ حمزة ضيق أمجد فتدخل وبارك لكليهما ثم أمسك ذراع صديقه وجذبه بعيدا عنهما ليهتف بضيق : بتشدني ليه يا بارد؟

هتف حمزة بتهكم : علشان ما تتضربش من العريس وتبوظ الليلة .

عقد حاجبيه بدهشة وردد : أتضرب ؟ أتضرب ليه إن شاء الله ؟ بعدين حنين دي قد أختي الكبيرة أصلا وعمري ما هبصلها غير انها زي هايدي .

وضح صديقه : أيوة انت بتعتبرها كده خلو لكن عريسها لسه ما يعرفكش فلازم تكون حريص في الأول شوية لحد مايتعود عليكم ويعرفكم مش كده لان شكله غيور حبتين.

اقتربت حور منهما ورحبت بهما فسألها معتز : هو أمجد يا حور من النوع الغيور ؟

اتجهت أنظارها تلقائيا لأختها بضيق وتمتمت : للأسف أيوة غيور وبشكل كبير كمان .

نظر حمزة لصديقه نظرة ذات مغزى وحال لسانه يخبره (مش قلتلك ؟!)

عقد معتز حاجبيه بحيرة وركز أنظاره على أمجد متعجبا منه وتساءل أمن الممكن بالفعل يمنعه من رؤية حنين أو التحدث معها؟!

بعد أن ابتعد معتز وصديقه همس أمجد بلهجة حادة وهو يحاول جاهدًا السيطرة على ارتفاع صوته : ايه ده ؟ يطلع مين ده اللي ناقص ياخدك بالحضن ؟! ها؟

غضبت حنين وهتفت : يطلع معتز أخو هايدي وبعدين صغير عننا .

تهكم بغضب : صغير ؟ كل الشحط ده صغير ؟! صغير من أي اتجاه ها؟ ياريت بلاش الهزار بالشكل ده مع أي حد مهما يكون ، لا تقوليلي قريبي ولا زميلي ولا كل الحوارات دي نتاكل معايا .

اعترضت حنين بضيق وهي تحاول المحافظة على ابتسامتها أمام العيون المتطفلة : معتز ده زي أخويا بالظبط ، هو وهايدي أخوات وغير كده أصغر مني أصلا في السن .

التفت أمجد بحدة لحنين وبلهجة قاطعة لا تحمل النقاش : قلت تعاملك معاه بحدود مش هكرر كلامي تاني يا حنين ، هايدي أختك ماشي لكن هو لا أعتقد كلامي واضح ؟

حاولت حنين التماسك قليلا وهي تحافظ على ابتسامتها ثم وقفت وابتعدت وحين حاول نداءها تجاهلته ، لحقتها والدتها بسرعة وأغلقت باب غرفتها بإحكام وهي تهمس بغضب : دخلتِ ليه كده ؟ في ايه ؟

هتفت حنين بحدة : سيادته غيران من معتز ، متخيلة ؟!

عقدت والدتها حاجبيها بحيرة وتمتمت بتعجب : وفيها ايه ؟ حقه .

اتسعت عينا حنين بدهشة وصاحت باستنكار : حقه يا ماما! معتز زي أخويا.

اقتربت والدتها وحاولت تهدئتها : زي بس مش أخوكِ ، ولو هو غيران فده حقه وطبيعي جدا الراجل بيغير على مراته وانتِ لازم تحتوي وتقدري غيرته دي .

عقدت حنين يديها أمام صدرها بغضب طفولي وابتعدت عن والدتها و وقفت في شرفتها تنظر للخارج ، اقتربت صابرين منها بهدوء وربتت على كتفها بإقناع: حبيبتي ضروري جدا تفهمي جوزك وتفهمي دماغه وتقدري رغباته وتعرفي تمتصي غضبه وتحتويه ، ما ينفعش وقت ما يقول حاجة مش على هواكِ تغضبي وتسيبي المكان كله كده وتحطيه في موقف محرج ، يلا اطلعي ما تشمتيش الناس فينا ، زمايلي قراشانات كلهم برا ، يلا يا حنون .

بعدما ابتعدت حنين عن أمجد توتر للغاية وتلفت حوله فاقتربت والدته منه وجلست بجانبه مبتسمة وتكلمت من بين أسنانها : خطيبتك فين ؟! طفشتها ؟! اهدا شوية على البت ها؟ مش الكل هيتحمل غيرتك الزيادة دي .

عقد حاجبيه بضيق : أنا ماسك نفسي فوق ما تتخيلي ، فين غيرتي دي ؟! أنا لسه ما غيرتش أصلا يا أمي ، ده ناقص أصحابها ياخدوها بالحضن.

التفت إليه بهدوء : هي هتحتاج وقت تتعود على طباعك فما تطفشهاش من أولها يا أمجد.

تنفس بغضب : طيب شوفيها فين علشان شكلي وحش أوي كده.

وقفت والدته ثم لمحت حنين تقترب برفقة والدتها ورحبت بها لتعاود حنين الجلوس بجانبه مجددًا بصمت حتى ابتعدت والدتها ووالدته فهتف بضيق : بقى ده منظر تسيبيني وتدخلي كده ؟

التفت إليه باختصار : مش عايزة أتكلم دلوقتي يا أمجد .

التزم كلاهما الصمت إلى أن انتهت الليلة وانصرف أمجد برفقة عائلته ليترك حنين في حالة صدمة كلية من إهماله لها ؛ فهو لم يحاول ولو قليلا مصالحتها !

يومان وحنين تنتظر اتصال أمجد بضيق وغضب حتى هاتفها أخيرًا ليطلب منها الخروج برفقته لشراء أثاث المنزل ، انتظرها أمام البنك لتركب معه بغضب فالتف إليها بعد أن تحرك بسيارته : مالك؟!

تعجبت من سؤاله بينما أكمل هو ببساطة : حد ضايقك في الشغل ولا ايه ؟

هتفت بغضب : أنت اللي مضايقني .

تعجب وهتف باستنكار : أنا ؟! أنا بقالي يومين ما شوفتكيش أصلا ومشغول في المستشفى والعيادة والعمليات ومش عارف حتى أتنفس وما صدقت وقت فاضي جيتلك فيه ، زعلانة مني ليه بقى ؟!

استمعت لتبريره بهدوء وتذكرت نصيحة والدتها؛ فواجبها احتواؤه وتفهمه وتفهم متطلباته ورغباته ، انتبهت من شرودها على صوته يعاتبها : حنين قلبي ، واحشاني يا قمر وتخيلت اني واحشك بس الظاهر اني غلطان وانتِ مش بتحبيني زي ما بحبك !

تمتمت وهي تنظر للأرض بحنق : أكيد بحبك وأكيد واحشني بس ......

قاطعها وهو يمسك يدها ويقبلها بابتسامة: من غير بس بقى علشان خاطري ، اليوم اللي بيمر من غير ما أشوفك أو أكلمك بيكون مأساة وبتحمله بالعافية، حنين قلبي ما تبعديش عني أبدًا .

همست حنين بخجل : انت بتبعدني عنك بتصرفاتك وعصبيتك دي .

ضغط على يدها بحب وعينيه متعلقة بعينيها : حنين يا قلبي أنا بعشقك فوق ما تتخيلي ، فوق ما تتصوري ، أنا بحبك حب محدش حبه لحد قبل كده ، وبموت لما تبعدي أو تغيبي عن عيني ولو أطول أحبسك جوا قلبي مش هتردد لحظة ، أنا عايزك كلك ملكي ومراتي وحبي ودنيتي ، عايز أدخلك مملكتي وتكوني ملكة على عرش قلبي ، انت وبس يا قلبي .

ابتسمت من لهجته وغرقت بكلامه المعسول فبادلها ابتسامتها وحاول طوال خروجتهما إرضاءها بكل الطرق .

وصلت حنين بيتها وهي تشعر بالغرابة والحيرة ، أهو بالفعل يعشقها أم يتملكها ؟!

سؤالها ظل معلقًا فهي لا تدري أبدًا كيف يكون الحب ولكن بداخلها هي لا تشعر بالراحة والاطمئنان بل بالرعب من تلك الخطوة

أضاء هاتفها معلنا عن وصول رسالة لتمسكه بفتور وتقرأ كلماته ((وإنني لأشتكي ظلم الحياة وأنت بعيدة عني، يا حبيبة قلبي ولا أشتاق لشيء بالحياة كاشتياقي لرؤياك. إن لك في قلبي يا حبيبتي حبًا لا يساويه شيء، وإنني لأشتاق إليك يا حبيبتي كما تشتاق الزهرة لندى الصباح في الأيام المشرقة. إن شوقي لك يا حبيبتي كغمامة سوداء محملة بالأمطار وما إن تخطرين ببالي حتى تنهال الذكريات كما ينهال المطر في يوم عاصف، فكم أشتاق لك يا حبيبتي ولهمساتك الدافئة التي تعج بحكايات الصبا! كم أشتاق لأحلامنا معًا ! حبيبتي التي أهديتها عيوني يومًا، عودي وأعيدي لي نظري فأنا منذ تلك اللحظة ولا أرى أمامي سواكِ حتى عندما أغمضهما.))

***

انتهى إيهاب من يوم عمل متعب كثيرًا وبعد أن جلس مع عائلته قليلًا توجه للخارج لتوقفه والدته : على فين يا إيهاب ؟ خارج ولا ايه ؟

ابتسم وهو يومئ برأسه نافيا : لا لا طالع على السطوح شوية، هقعد في الهوا.

قلبت شفتيها وهي تتمتم : ياما نفسي أعرف ايه اللي بيعجبك في قعدة السطوح دي ؟!

استأذنها وصعد للأعلى ينظر لمكانه المفضل؛ فبالرغم من بساطته الشديدة إلا إنه يعشق هدوء هذا المكان ، تذكر أول مرة صعد هذا السطح هربا من العالم بأكمله ، يوم تركه لجامعته .

في ذلك اليوم عاد من جامعته سعيدا بتفوقه في بحث ما ويدخل حارته ليتفاجأ بوالدته في مدخل إحدى البنايات تمسح سلم البناية ولاحظ بعض العيون المتطفلة تراقبها حين تميل أو تنحني على الأرض لعملها ، غضب من ذلك المنظر وتوجه لوالدته يوقفها بغضب : انتِ بتعملي ايه هنا يا أمه ؟

سحبت ذراعها بغضب مماثل : هكون بهبب ايه ؟ هنصرف منين ؟ هأكل أخواتك منين ؟ مش كل ما بجيبلك شغل تقولي كليتي ودراستي ؟ خليك يا سيدي في دراستك وسيبني أنا أعرف أجيب قرشين أصرف على أخواتك .

أمسك ذراعها مجددًا ودون أن ينطق بحرف جذبها باتجاه البيت ومهما حاولت الاعتراض إلا إنه لم يتوقف سوى أمام بيته ثم هتف بجدية: اتفضلي يا أمه على فوق ومش هتمسحي سلالم عماير تاني يا أمي .

سألته بتردد : وهنصرف منين ؟

تنفس بوجع قبل أن يجيبها : هسيب الكلية يا أمه وهشتغل أنا زي ما انتِ عايزة .

ابتسمت بسعادة وربتت على كتفه : كنت عارفة انك راجل وقدها .

ابتسم بوجع : اطلعي على بيتك يلا .

صعد كلاهما في صمت تام وهو توجه لغرفته ليضع كل أغراض رسمه ودراسته في صندوق ويأخذها للخارج فوقفته والدته : واخد الحاجة دي فين يا إيهاب ؟

أجابها بقلب مثقل و وجع : هرميها مابقالهاش عازة .

ربتت على كتفه بتشجيع : كان نفسي تكمل كليتك بس مش بأيدي يا ابني وعلى عيني وغصب عني.

ابتسم رغمًا عنه : عارف يا أمه ، عارف .

بعد أن خطى عدة خطوات للخارج نظر أمامه لصندوق المهملات ولم يطاوعه قلبه أبدا على إلقاء أدواته ، ضمها وتشبث بها وهو يتنفس بتوتر ثم عاد لبيته وهو بحيرة تامة وأخيرا صعد إلى سطح البناية ليضع صندوقه ويتلفت حوله ليرى مدى بشاعة ذلك السطح وكمية القاذورات التي تملؤه ، في ذلك اليوم قرر أن ينظف ذلك السطح ويجعله مقرًا لأدواته ولهروبه من الدنيا .

عمل في البداية في ورشة للسيارات ولكن لمدة يومين فقط قبل أن يترك عمله لتصيح والدته بغضب : سيبت الشغل بعد يومين يا إيهاب ؟ حرام عليك .

صاح بوالدته : بيمد ايده عليا ، احمدي ربنا اني ماقطعتش ايده يا أمه و سيبتله بس الشغل.

ضربت والدته وجهها وهي تتمتم بحزن : شكلنا هنشحت ومش هنلاقي لقمة ناكلها على ايدك يا إيهاب ، أي معلم بيضرب صبيه ويزعق فيه فانت ......

قاطعها بغضب وهو يصيح : وأنا مش صبي يا أمي أنا كنت......

قاطعته بقوة وهي تضع يدها على كتفه: كنت يا إيهاب كنت يا حبيبي ، دلوقتي انت صبي للمعلم بتاعك ولازم تتعلم تقبل اللي يقولوه واللي يعملوه وإلا عمرك ما هتشتغل.

أبعد يدها عنه بغضب : يبقى مش هشتغل يا أمه ، مش هقبل بإهانة حد ليا مهما يكون الحد ده .

تراجعت وهتفت بتردد : حتي لو هنموت من الجوع؟!

أكد بلهجة أخافتها : حتى لو هنموت من الجوع.

تركها تندب حظها بينما خرج هو دون وجهة معينة ودون هدف ، يجوب الشوارع كارها حظه الذي أجبره على ترك أحلامه وحياته .

تنقل من وظيفة لأخرى حتى استقر مع الأسطى طلعت – صديق والده – الذي عامله باحترام .

تذكر تلك الشقة حين لاحظ بشاعة ألوانها التي يستخدمها صبي الأسطى طلعت ومجاهدته للوصول لذلك اللون الذي يطلبه صاحب الشقة وزوجته إلى أن ملت الزوجة وصمتت ، اقترب إيهاب بتردد وهو يهمس للأسطى : تسمحلي يا أسطى أجرب أنا اللون اللي بيقولوه ؟

التف طلعت إليه بترقب : بتفهم في الألوان ؟

ابتسم إيهاب بحماس : فوق ما تتخيل يا أسطى .

صاح طلعت : تعال هنا يا سيد وخلي إيهاب يجرب يطلع اللون اللي الهانم عايزاه .

انتبهت المرأة واقتربت بتوضيح : أنا كل اللي عايزاه حد بيفهم في درجات الألوان وبيميز بينهم.

اقترب إيهاب بثقة : أنا بفهم في الألوان وتقريبا كده فاهم الدرجة اللي حضرتك عايزاها ، اديني لحظة واحدة بس .

دمج إيهاب عدة ألوان بينما يراقبه الجميع حتى وقف وهو يمسك الفرشاة ويخط على الحائط لتهتف المرأة بسعادة: هي دي الدرجة اللي أقصدها .

ابتسمت بحماس لزوجها واقتربت من إيهاب لتخبره تحديدًا عن طلبها وتشرح له توقعاتها وتصوراتها وهو يستمع إليها بانتباه حتى انتهت .

اقترب الأسطى طلعت : ها يا إيهاب ؟ فهمت الهانم عايزة ايه بالظبط ؟

ابتسم وهو يومئ برأسه : فهمت يا أسطى ولو تسمحلي أعمل بنفسي الشغل اللي هي طالباه؟!

ترقب الجميع إجابة طلعت الذي ابتسم : اعمل بس سيد هيكون معاك طول الوقت وفوق راسك.

اقترب سيد بغضب وراقب ابتعاد طلعت وقبل أن ينطق قاطعه إيهاب بهدوء : بتمنى ما تزعلش مني مش قصدي آخد مكانك أبدا ، كل الحكاية ان الألوان ودمجها دي لعبتي وعشقي وحلمي اللي اتاخد مني ، أنا دخلت المجال ده غصب عني مش بمزاجي أبدا ومش عاير آخد مكان حد بس عاير أي حاجة تربطني بالألوان والرسم مش أكتر .

راقبه سيد مطولا وتذكر ما سمعه عنه فتراجع بهدوء: ارسم يا إيهاب وأنا هساعدك ، مش زعلان منك المهم ان الشقة تعجب الزبون في الآخر .

ابتسم إيهاب وشرع في عمله ليقر الجميع باحترافه في التعامل مع الألوان وكانت هذه هي البداية.

عاد لواقعه ونظر حوله فجلس على تلك الأريكة المريحة وهو يبتسم برضى؛ فلقد نجح في تحويل ذلك المكان إلى جنته الصغيرة ، فهو نظفه تماما وزرع بعض الشجيرات البسيطة والورد ، كما وضع بعض قطع الأثاث القديم وحول سورها لعدة لوحات فنية؛ فتحول السطح المقفر إلى مكانه المفضل ، فتح صندوقه وأخرج دفتره وأمسك قلمه ليغرق في رسوماته .

***

تجلس على مقعد منفردة تخط بعض الخطوط على كراستها فتلوح ابتسامة بشوش على محياها على غير العادة؛ اقترب منها أحمد صديقها مبتسمًا: خير ؟! نادرا أما بشوفك مبسوطة !

رفعت رأسها عن كراستها وطالعته فاتسعت ابتسامتها : لا عادي بس مبسوطة ان أمجد هيتجوز خلاص .

تعجب ولاحظت هي تعجبه فأضافت : لما يتجوز هيسيب البيت وينشغل ببيته وبمراته شوية ويحل عننا.

أومأ بتفهم: ده ممكن فعلا، بس....

قاطعته وهي تعقد حاجبيها بضيق : ما بسش يا أحمد أنا مستنية جوازه ده بفارغ الصبر علشان أخلص منه ومن تحكماته.

اقترب منها وهمس بتفهم : أنا فاهم ده كويس بس مش عايزك ترسمي آمال كبيرة وتتضايقي بعد كده لو ماحصلتش ، اللي فهمته ان أخوك هيتجوز في نفس البيت فوقكم يعني مش هيبعد .

صاحت بيأس : يعني ايه ؟ مش هعرف أخلص منه أبدا ؟!

تنفس بصوت مسموع : اتكلمي مع أخوك وحاولي تتفاهمي معاه وتوصلي معاه لحل بدل ما تتمني تخلصي منه .

نفت بيأس : انت متخيل اني ما اتكلمتش معاه ألف مرة قبل كده ؟ أو ماما ؟ أنا تعبت خلاص من سيطرته دي وبدعي ربنا ليل نهار واحد فينا يخرج من حياة التاني .

همس أحمد بتردد : بكرا تتخرجي وتتجوزي وساعتها.....

قاطعته برعب : ولنفترض اللي اتجوزته كان زيه بنفس غيرته المجنونة دي ؟! عارف ساعتها ممكن أقتل نفسي.

هتف برفض : بعد الشر عليكِ ، مش هيكون غيوز كده أبدا ، هيغير عليكِ أيوة بس هيغير بحب مش بتملك.

تقابلت نظراتهما مطولًا لتهمس هي : مين قالك انه هيغير بحب مش بتملك؟

ابتسم : لانه أكيد هيحبك .

هتفت فجأة بتهرب : عندي محاضرة واتأخرت.

انسحبت من أمامه وهي تركض ولم تتوقف سوى في المدرج الخاص بها لتستقر في مكانها وعقلها يعيد كلمات صديقها المفضل.

***

انتهت حور من محاضرتها ثم تحركت بإرهاق حتى أوقفها معتز مازحًا :ايه يا حور؟ ! لا اجمدي كده وشدي حيلك ده انتِ يادوب في أول خطوة لسه التقيل جاي

ابتسمت رغم تعبها : لا قدها ما تقلقش يا معتز ، بس مرهقة شوية من تحضيرات فرح حنين مش أكتر.

سار بجانبها وهو يتمتم بصدق :ربنا يتممها على خير وعقبالك

ابتسمت دون أن تضيف حرفا ليقطع صمتهما وصول حمزة : ازيكم عاملين ايه كده؟

رد كلاهما : الحمد لله.

سأل حمزة باهتمام : أختك أخبارها ايه؟ وتجهيزات فرحها عاملة ايه ؟ لو محتاجة أي مساعدة في أي وقت بلغيني بجد.

تعجبت حور من اهتمامه وكذلك معتز الذي بادره بهدوء: فعلا كنت لسه بقولها ربنا يتممها على خير ، بجد يا حور احنا موجودين في أي وقت تحتاجوا أي مساعدة ما تترددیش أبدا، بلغي بس هايدي وهي هتبلغني.

ابتسمت حور وهي تهم أن تغادر : أكيد بإذن الله ، ميرسي جدا لاهتمامكم ، هبلغ حنين بكلامكم وربنا يسهلها ، يلا أسيبكم بقى ، باي .

انسحبت بسرعة ليتابعها الاثنان حتى اختفت فالتف معتز لصديقه : وراك سكاشن ولا خلصت؟

هز رأسه بنفي : لا خلصت وانت ؟

نفى هو الآخر ثم اقترح : ما تيجي نتغدى برا مش طالبة معايا أروح دلوقتي ؟

وافق حمزة بتردد ثم انطلق برفقة صديقه .

***

راقبت سارة هشام بحيرة؛ فهي تحس في بعض الأوقات أنه يحبها حد الجنون ولكن أوقات أخرى يساورها الشك وتشعر بمدى بعدهما وتتعجب من تصرفاته من آن لآخر واختفائه دون مبرر وتوتره في بعض الأوقات ، هشام يشكل علامة استفهام كبيرة أمامها، اقترب منها دون أن تشعر به ليهتف فجأة : سارة.

انتفضت برعب : اخص عليك يا هشام خضيتني.

ضحك ثم اعتذر : سوري يا بيبي المهم تيجي نتغدى في أي مكان ولا ايه ؟

عقدت حاجبيها بضيق حين تذكرت والدتها ولومها المستمر ووالدها وطلباته التي لا تنتهي ، لاحظ هشام شرودها فهتف : وصلتِ لحد فين كده ؟

انتبهت وابتسمت : لا أبدا بس بفكر في حنين لسه لحد دلوقتي ما جيبتش فستان لفرحها ، ومحتارة أجيب منين أصلا ومش عاجبني حاجة.

اقترب منها وهو يتلفت حوله : بس كده؟ عارف اتيليه تحفة هيعجبك ، تعالي بصي عليه يمكن حاجة تعجبك؟

ترددت قبل أن توافق فالمهم هو مزيد من الوقت برفقته ولعلها تخرج بفستان يدفع هو ثمنه ، فمن أين لها بثمنه وأهلها يستحوذون على راتبها تقريبا كاملًا ؟! استقرت بجانبه في سيارته ليتحرك بسرعة مبتعدًا عن البنك قبل أن يمد يده ليمسك يدها ويقبلها : وحشتيني يا قلبي .

طأطأت رأسها بخجل مصطنع وهمست : وانت كمان.

ضحك ومازحها : وأنا كمان ايه؟ مش سامعك أصلا.

أضافت وهي تحاول السيطرة على مشاعرها : انت كمان واحشني يا هشام.

لم يترك يدها طوال الطريق حتى أوقف سيارته أمام اتيليه في مكان هادئ ، أغلق محركها والتف إليها يهمس : وصلنا يا قمر.

ابتسمت دون أن تنطق فاقترب هو منها ورفع رأسها لتواجهه وهمس بلهفة: واحشاني يا سارة ، صبريني شوية على بعدك عني.

همست بحيرة : أصبرك ازاي ؟ تقصد ايه ؟

اقترب من شفاهها أكثر ونظر لعينيها : تصبريني كده يا سارة.

لامس شفتيها برقة تحولت لرغبة واضحة ويديه تعبث في جسدها فأمسكت يده وحاولت أن تبعده برفق إلا إنه لم يستجب إليها فحاولت بشدة أكبر حتى ابتعد غاضبا : في ايه ؟ انتِ مش بتحبيني ؟ مش واحشك زي ما واحشاني ؟

هتفت بضيق : واحشني بس مش كده يا هشام .

هتف باستنكار : امال ازاي سيادتك ؟ ها ؟ ازاي أقول لحبيبتي انها واحشاني ؟ بالكلام ؟ هل مجرد الكلام كفاية ؟! انتِ عايزة كلام وبس ؟

تمنت لو تصرخ أنها ترغب بأكثر من الكلام ولكن ليس بأسلوبه هذا بل هي ترغب بالارتباط به ، طال صمتها فهتف هو بإصرار: ردي عليا عايزة كلام وبس ؟

هتفت برجاء : مش كلام بس يا هشام مش كده ، أنا مش متعودة أبدا حد يلمسني كده.

اقترب بسرعة واضعا يده على وجنتها برفق : عارف وده اللي مجنني ، اني أول حد ألمسك ، أنا عايز ده ومبسوط بيه بس صدقيني غصب عني ، كل ده من حبي ، لو هقدر أسيطر على مشاعري يبقى ده مش حب أبدا ، الحب خارج عن السيطرة وما بيخضعش لقيود أبدا ، الحب ما بيعرفش صح وغلط وحرام وحلال وكل القيود دي ، الحب بيعرف انه عايز حبيبه في حضنه وبس والكون كله يولع بعد كده ، فهمتي يا قلبي ؟

أومأت بابتسامة وأراحت رأسها على كتفه ليضمها : بحبك وبعشقك وبموت فيكِ كمان .

نزل برفقتها وهو يضع يده حولها يضمها وساعدها في اختيار فستان تلو الآخر وقد صعقت من أسعارهم ولكن دون أن تظهر ذلك ، أخيرا أعجبها فستان للغاية ولكن استوقفها سعره فتمتمت بخجل لهشام بقولك

خليها تحجزه وبكرا أشتريه لاني مش معايا فلوس دلوقتي تكفي ولا معايا الفيزا بتاعتي.

ابتسم وهو ينظر لبطاقة السعر : ما تشغليش بالك بسعره يا قلبي المهم يعجبك واعتبريه عربون محبة يا ستي .

ابتسمت لتحقيق أمنيتها لكنها أخفت ابتسامتها بسرعة : لا لا مش هينفع أنا بكرا هاجي آخده.

وضع يده حولها وهو يقبل يدها : وأنا قلت هناخده فاقفلي الحوار وما تناقشيش كتير ، يلا.

خرجا سويا لتتفاجأ بالظلام الدامس فتهتفت بخوف . الوقت اتأخر جدا ، بابا.....

قاطعها هشام بهمس: قوليله كنتِ مع أصحابك بتختاري الفستان علشان فرح حنين ، عادي يعني.

حاولت أن تبتسم وبعد أن استقرا سويا في سيارته تأخر في تشغيلها والتف إليها مادا يده فتمتمت بحيرة وهي تضع يدها بيده : ايه يا حبيبي

اقترب منها يقبل يدها ويطلب المزيد وبعد تردد للحظات غرقت هي في قبلاته ولمساته فلقد دفع مبلغا ضخما في فستانها وتركه يقبلها أقل ما يمكنها فعله لتقدير هديته .

***

أخيرًا جاء يوم الزفاف وحنين تقف أمام فستانها مبتسمة وهي تهتف بداخلها : أخيرا هلبس الفستان الأبيض، هرقص على أنغام أغنيتي المفضلة كلمات وحبيبي هيسمعني أحلى كلمات، أخيرا النهارده هكون في حضنه وهشبع منه، النهارده هكون مراته، النهارده هيكون ليلة عمري ومش هيبطل حب وغشق فيا وهيقولي كل كلام الحب اللي في الدنيا ، النهارده هشبع حب وحنية وضحك ولعب ، النهارده هكون مرات الدكتور أمجد.

وصلتها رسالة فتحتها بسرعه ((الشمعة تحترق مرّة واحدة لكي يرى الناس، أمّا أنا فأحترق ألف مرّة لكي أراكِ أنت.))

ابتسمت وهي تتخيله يحملها ويدور بها حين يراها كما رأت آلاف العشاق من قبل .

انتبهت على حور تهتف : بابا بيقولك يلا علشان ما نتأخرش على الكوافير ، ها يلا ولا ايه ؟

أومأت بموافقة وساعدتها أختها في جمع احتياجاتها وتحركتا سويا برفقة والدهما لمركز التجميل .

وقف أمجد أمام مرآته وهو يرتدي ملابسه ويستعد مبتسمًا ويهنئ نفسه على الفوز بحبيبته فاليوم ستكون ملكًا له للأبد ، اليوم ستصبح زوجته وستدخل بيته ولن تخرج منه أبدًا ، قاطعت أفكاره طرقات على بابه يتبعها دخول والدته مبتسمة : جهزت يا حبيبي؟ بسم الله ما شاء الله ، أجمل عريس في الدنيا ربنا يحفظهولي .

ابتسم لوالدته وقبل يدها : ربنا ما يحرمني منك يا ست الكل.

ربتت على كتفه بحب ثم اقتربت منه بجدية : أمجد حبيبي ، حنين النهارده هتبقى مراتك وهتدخل بيتك حافظ عليها حبيبي وبلاش غيرتك العمياء دي ، بالراحة عليها و واحدة واحدة وسيطر على عصبيتك يا ابني، البنت شكلها بنت ناس ومش حمل بهدلة أبدا فخدها بالراحة كده، ماشي يا حبيبي؟!

ابتسم لوالدته قبل أن يطمئنها : ما تشغليش بالك يا ست الكل ، حنين هتدخل قلبي وبيتي وهي بتحبني وهتتطبع بطباعي بس شوية وقت وهتلاقيها تمام ، هي بس تفهمني وتفهم دماغي وكله هيبقى تمام.

حاولت تناء التبسم لابنها لكن بداخلها قلقًا ينمو فتلك الفتاة لن تتقبل أبدا طباع ابنها وعصبيته وغيرته القاتلة ، ولأول مرة يراودها الشك أهي أخطأت بإخفاء طبيعة ابنها عن خطيبته وأهلها أم ذلك هو واجبها كأم ؟

لم يرشدها عقلها لإجابة، وخوف داخلها قد شق طريقه لقلبها ورفعت عينيها للسماء تدعو أن تمر تلك الليلة

بسلام ويسعد ابنها باختياره وحياته .

***

أخرجت سارة فستانها لتدخل والدتها وتشهق حين رأته فهتفت : بت يا سارة منين الفستان ده يا زفتة ؟ انطقي يا بت ؟

عقدت حاجبيها بضيق : يهمك في ايه منين الفستان ها ؟ يفرق معاكِ ايه أصلا ؟

اقتربت والدتها لتمسك بشعرها بعنف وهي تصيح : نعم يا اختي ؟! بت الفستان غالي يا بت ومش شغل كام شهر هيجيبلك فستان زيه ، انطقي لقسما بالله أجيب أبوكِ وهو يفوقك .

أمسكت سارة بيد والدتها لتحاول تخليص شعرها وصاحت هي الأخرى بحنق : مأجراه مش شارياه ، انتِ عايزاني أروح أقل من حد فيهم ولا ايه ؟

تركت شعرها لتتمتم بضيق : مأجراه؟! يعني فلوس ورميتيها علل الأرض ، انتِ فاكرة آخرة كدبك ده ايه ؟

ابتعدت سارة و وقفت أمام مرآتها الصغيرة : واحد هيحبني منهم ويوصل لدرجة ما يقدرش يتخلى عني وساعتها لما يعرف مش هيهتم اني فقيرة .

ضحكت والدتها بتهكم : احلمي ، بس ياريت ما تفوقيش على كابوس ، مش عارفة أنا الغني ده يحبك على ايه ولا يحب فيكِ ايه أصلا ؟ على العموم روحي فرح صاحبتك بس ما تتأخريش يمكن تلاقي عريس الغفلة.

خرجت وضحكاتها تصدح في الغرفة وأغلقت سارة الباب خلفها بعنف وهي تكره كل لحظة تقضيها في هذا البيت وتكره عائلتها وتكره تلك الظروف التي وضعتها وسط عائلة فقيرة .

فكرت في هشام وتمنت لو يبادر بطلب مقابلة والدها أو يطلب يدها أو يخطي أي خطوة جدية نحوها .

ارتدى هشام حلته تحت أنظار زوجته التي هتفت للمرة الألف بغضب: أنا مش عارفة فيها ايه يعني لما أروح معاك لفرح بنت مديرك ؟! فيها ايه لما تعرفني على زمايلك في الشغل ؟

التف هشام إليها واقترب منها يمسك ذراعيها وينظر لعينيها بحب وترجي : هدير يا حبي ، يا روحي يا عمري يا حياتي كلها ، صدقيني قلتلك ألف مرة أن كل زمايلي اتفقوا يروحوا من غير مراتاتهم فانا ازاي هاخدك معايا ؟ هستعرض بيكي مثلا يعني ولا ايه ؟ ولا اقولهم مراتي احلى واحدة وجيبتها افرجكم عليها ؟ مش منطق يعني وبعدين انا هقعد مع زمايلي واكيد مش هقعدك وسطنا هتقعدي مع مين ؟ فأرجوكِ يا هدير افهمي وقدري .

نظرت للأرض بحزن ليرفع هو رأسها ويقبلها : علشان خاطري ما تزعليش مني وصدقيني كان نفسي أحط ايدي في ايدك وآخدك معايا وأقول للكون كله انك مراتي وحبيبتي بس مش هيكون منظر ان محدش معاه مراته وانا الوحيد اللي جايب مراتي ، انتِ عارفة اني لا يمكن أزعلك أبدا بمزاجي .

تقابلت نظراتهما ليبتسم هو مشجعا إياها لمبادلته ابتسامته: ابتسمي بقى علشان خاطري.

ابتسمت بتردد ليهتف هو : أخيرا القمر هينور اهو ، بموت فيكِ يا ديرو ، فوق ما تتخيلي.

ضمها لقلبه لتبتسم هي وتختفي ابتسامتها بمجرد أن وضعت رأسها بكتفه؛ فقلبها ينبؤها بكذب زوجها وإحساس بالضياع يغمرها .

أبعدها عن كتفه لتبتسم مجددًا في وجهه : ممكن ما تتأخرش؟

قبل رأسها : هحاول يا قلبي أول ما ألاقي حد بدأ يمشي همشي أنا كمان طبعا ، يلا باي .

تركها وهو يتنهد بارتياح؛ فلقد أتعبه إقناعها وبمجرد أن أغلق باب شقته خلع من يده خاتم زواجه وابتسم

وهو يضعه في جيبه ويخرج هاتفه يضغط عدة أرقام ثم هتف بابتسامة: أيوة يا حبي جاهزة ولا ايه ؟ قدامي نصاية بالكتير وأكون عندك .

أغلق الهاتف وتحرك بسيارته متجها لسارة متخيلًا إياها في ذلك الفستان الرائع الذي سبق واشتراه لها وتمتم : مع انه غالي بس تستاهليه يا سارة ، امتى هتيجي الليلة اللي هتكوني في حضني وآخد منك كل اللي عايزه ؟ طولتِ أوي معايا وتعبتيني ،

***

راقبت هايدي صديقتها وهي تضع اللمسات الأخيرة وابتسمت؛ فهي جميلة حقًا واليوم ازداد جمالها وتخيلت نفسها بذلك الفستان الأبيض وبجانبها فارس أحلامها ، انتبهت لنداء حنين فهتفت بسرعة : قلتِ ايه يا حنين معلش سرحت شوية؟

ابتسمت حنين بحب : اللي واخد بالك .

اقتربت هايدي مبتسمة : مفيش يا اختي ما انتِ عارفة البير وغطاه ، بس حلمت بالفستان الأبيض مش أكتر.

هتفت حنين وهي تمسك يد صديقتها : عقبالك يا قلبي ، عقبالك بجد .

ربتت هايدي على يدها : إن شاء الله بس خلينا نخلص منك الأول ، المهم قولي مبسوطة ؟

اتسعت ابتسامتها : طايرة مش بس مبسوطة ، النهارده هكون انا وأمجد مع بعض وهعيش كل أحلامي وهبدأ حياتي معاه .

أكملت صديقتها بفرحة: وهتقضي ليلة العمر اللي الكل بيحكي ويتحاكى بيها ، بس أمانة عليكِ يا حنون تقولي لصاحبتك هل عندهم حق يسموها ليلة العمر ؟ وهل الحب والرومانسية اللي بنشوفها في الأفلام والمسلسلات دي موجودة ولا مجرد بروباجاندا بيعملوها بيعلقونا بالحب وخلاص؟!

ضحكت حنين : أنا هنتحر لو طلع مجرد كلام أفلام وروايات .

صمتتا سويًا لتبتسم هايدي وهي تنظر لصديقتها من خلال المرآة أمامها : ربنا يسعدك يا حنون وإن شاء الله تعيشي الحب اللي بتستنيه

ابتسمت حنين وهي تردد : إن شاء الله يا قمر .

قاطعهما وصول حور وهي تمسك فستانها بغضب : أنا ألبس فستان ؟! ربنا يسامحك يا حنين بوصيفات الشرف والليلة دي ، أنا كان مالي أنا ومال وصيفات الشرف ها؟!

ضحكت الفتاتان على منظرها لتشاركهما الضحك هي الأخرى وهي تقترب من أختها وتضمها بحب .

دخلت صابرين وابتسمت لابنتها : مبروك ياعمري ربنا يسعدك يارب ، أمجد وصل خلاص يدخل ولا ايه؟

أومأت بخجل ودخل أمجد ليراها جميلة بل فائقة الجمال وتخيل كمية العيون التي ستراها وستنعم بذلك الجمال ، ضم قبضة يده

لاحظت والدته ضيقه فاقتربت وهمست بتحذير: اوعى تنطق بحرف وروح امسك ايدها وبارك لها وعدي الليلة على خير بدل ما تتطربق فوق دماغك .

نظر لوالدته باستنكار للحظات ثم عاود النظر لحبيبته ليرى مدى براءتها ونقائها وجاهد للسيطرة على أعصابه واقترب منها مقبلًا رأسها وهمس بأذنها : لو أعرف انك هتكوني بالجمال ده كنت لبستك نقاب .

ابتسمت حنين بخجل وبهدوء وضعت ذراعها في ذراعه وتحركت معه ليتوجها لالتقاط بعض الصور ،

أحست حنين بالضيق فهي لا تفهمه أو تفهم تصرفاته ، لمَ تحس بالبرود في تصرفاته أو بالضيق أو بمحاولته لتجاهلها؟ هي لا تفهم ما تحس به ولكن بداخلها هنالك شيء ما خاطئ.

انتبهت على صوته يهمس : ممكن تبتسمي علشان الصورة تطلع حلوة.

انتبهت للمصور يقف امامها مبتسمًا وهو يمسك كاميرته ويهتف : قربي يا عروسة على عريسك وابتسمي يا قمر.

تضايق أمجد ولاحظ المصور ضيقه ونظراته فحاول أن يتكلم بمهنية معهما .

تعجبت حنين من تصرفات أمجد؛ فهو يمسك يدها ويقبلها كما يطلب منه المصور دون أي إحساس أو مشاعر ، لقد تخيلت آلاف السيناريوهات لتلك اللحظات دون ذلك البرود الذي يسيطر على الجو حولها ، إنها مجرد صور بلا إحساس أو مشاعر فأين الحب واللهفة ؟!

هدأت نفسها؛ فلربما أمجد يسيطر على مشاعره لحين أن يصبحا بمفردهما ، نعم هو يسيطر على مشاعره ويحتفظ بها ويغلق عليها فوضعه كطبيب يفرض عليه تصرفات معينة .

دخلا القاعة سويًا واستقرا بمكانهما والكل يهنئ ويبارك ، همست حنين : أمجد مش هنرقص مع بعض ؟

نظر إليها عاقدًا حاجبيه بضيق : نرقص ؟

صححت بسرعة : مش قصدي رقص رقص أقصد نرقص سلو ، رقصه رومانسية مع بعض ؟!

ابتسم بعملية : لينا بيت نرقص فيه مش قدام الناس يا حنين.

عقدت حاجبيها بحنق؛ فأول حلم من أحلامها قد تحطم فهتفت باستنكار : بس أي عروسة بترقص مع عريسها رقصة سلو !

تنهد وهو يحاول الحفاظ على هدوئه : وأنا مش هرقص مع مراتي قدام الناس دي كلها وكل واحد يتمنى نفسه مكاني أو يتخيلك معاه ، انسي يا حنين وأرجوكِ حاولي تقدري غيرتي كراجل شرقي ، أنا مش زي العيال السيس بتوع اليومين دول .

صمتت حنين تمامًا؛ فهي تعلم أنه حين يصدر قرارًا لا يتراجع أبدًا ، حاولت إقناع نفسها أنها ستعيش ليلتها وسترقص في بيتها، فقط كل ما عليها أن تؤجل أحلامها قليلًا فلم يحن الأوان بعد لتعيشها .

توجه معتز برفقة صديقه ناحية حنين ليوقفه حمزه محذرًا : خلي بالك وانت بتسلم على حنين ، عريسها غيور فسلم بحذر .

ابتسم معتز : ماشي ماشي بس حنون دي أختي زيها زي هايدي بالظبط وهو لازم يفهم ده كويس.

أومأ حمزة بتفهم : أيوة يفهم بس مع الوقت مش مرة واحدة ، يلا نبارك ونبعد .

بالفعل سلما بحذر وابتعدا ولاحظت حنين تحفظهما مما ضايقها وأحست أنها ستخسر أصدقاءها مع الوقت .

وقفت أميرة تراقب أخاها؛ محاولة تخيل شكل حياته مع زوجته وتساءلت أستتحمل حنين غضب أخيها وتقلباته وعنفه أم ستستطيع تطويعه وترويضه لأجلها ؟!

فزعت حين سمعت صوته خلفها يهمس : عقبالك يا قمر.

التفت بحدة وهي تتلفت حولها برعب : أحمد ؟ ايه اللي جابك ؟ أمجد ممكن يشوفك.

همس مبتسما : وفيها ايه يعني ؟ قوليله زميلك في الكلية و......

قاطعته برعب : انت متخيل أمجد هيقبل كلامي ده ؟! انت جديد عليك يعني أمجد وتصرفاته ؟ ده مش بعيد يمسح بيا وبيك بلاط القاعة دلوقتي .

صاح باستنكار : مش للدرجة دي يا ميرو ، اهدي.

قاطعته برجاء: أرجوك يا أحمد أرجوك امشي بلاش أمجد يشوفك معايا ، أرجوك

تراجع خطوة مبتسما باعتذار : حاضر همشي يا ميرو بس كان لازم أشوفك النهارده بالفستان اللي وريتهولي على الموبايل كان تحفة وعليك بقى يجنن أكتر ، عقبالك يا قمر

انسحب ليترك قلبها ينبض بعنف ورعب ونظرت لأخيها لتجده منتبها مع زوجته أو ربما يتشاجر معها من ملامحه الجامدة وحمدت ربها بانشغاله .

اقترب عبدالقادر من ابنته وضمها بحب : روح قلبي هيسيبني ويتجوز ، ما تتخيليش أنا فرحان وزعلان قد ايه ؟!

ابتسمت حنين لوالدها وقبلت وجنته لتلاحظ نظرات زوجها لتستنكرها أمن المعقول أن يغير من والدها أيضًا ؟!

انتبهت لوالدها : ما تيجي نرقص أنا وانتِ مع بعض رقصة هادية كده ؟

أمسك يدها ليقف حين أمسك أمجد يدها الأخرى يمنعها بهدوء : معلش يا عمي مش حابب انها ترقص سلو قدام الناس ، في نفوس مريضة كتير وأنا بصراحة بخاف من الحسد والعيون.

تعجب عبدالقادر واتسعت عيناه من الدهشة وتمتم باستنكار تام : نعم ! بتخاف من العيون ؟ عيون ايه وحسد ايه؟ سيبها على ربنا .

حاول التحرك بابنته ولكن زاد تمسك أمجد بيد زوجته : عمي أرجوك .

صاح عبدالقادر بغضب : ترجوني ايه ؟ انت هتمنعني من بنتي ولا ايه ؟ لا فوق لنفسك كده انت لسه ما أخدتهاش و......

قاطعه وصول زوجته تهمس : في ايه يا عبدو وصوتك عالي ليه ؟ الناس بتتفرج علينا.

هتف بغضب : سيادته لسه ما اتجوزهاش وهيمشي كلامه عليا.

أمسكت صابرين يد زوجها بقلق : تعالى معايا لحظة.

عارض بغضب : لا مش هاجي هو.....

قاطعته مجددًا : علشان خاطري تعالى برا نتكلم بلاش نفرج الناس علينا ، تعالى لحظة بس .

سحبته بهدوء لخارج القاعة لتجلس حنين بحزن ويجلس بجانبها أمجد يهمس بحنق : أنا مش فاهم رقص ايه وكلام فاضي ايه انتِ وأبوكِ؟! يعني مش كفاية قاعدين فرجة للناس كمان عايزين تفرجوهم أكتر وأكتر.

هتفت باستنكار : فرجة ؟ انت بتسمي جوازنا فرجة ؟

صحح بهدوء : ماقلتش جوازنا ما تقوليش على لساني كلام ما قلتهوش ، بقول قعدتنا هنا ، فيها ايه لو اتجوزنا في مكان هادي وطلعنا على بيتنا واحتفلنا وسط عيلتنا بس أنا وانتِ ؟!

هتفت بغضب : ده فرحي وليلة عمري اللي بتتكلم عنها دي .

نظر إليها للحظات وأحس بغضبها فتراجع؛ فهي لم تدخل بعد بيته فأمسك يدها وهمس بعتاب مزيف حنون ، دي ليلة عمرنا وأنا كنت عايز أقضيها أنا وانتِ وبس ، نفرح أنا وانتِ وبس ، نعيشها أنا وانتِ وبس ،

غلطان علشان أناني في تفكيري مع حبيبتي ؟

عقدت حاجبيها بحيرة فهي لم تعد تفهمه مطلقًا ففضلت الصمت .

بالخارج وقف والدها بغضب: يعني ايه يمنعني من بنتي ها؟ ده لسه ما اتنيلش اتجوزها امال لما يتجوزها هيعمل فينا ايه ؟!

حاولت زوجته تهدئته : حبيبي دي مراته وهو بيغير حبتين ، حقه .

نظر إليها بحدة : حقه ؟ حقة يمنعها مني ؟

أسرعت تنفي : ما منعهاش يا عبدو خليك حقاني هو بس رفض انها ترقص وده حقه وانت جواك عارف ده كويس ، هو راجل وغيور على أهل بيته هتعيب ده عليه ؟!

تراجع بغضب : مش هعيب عليه بس دي ليلة فرحها وليلة عمرها وكنت......

قاطعته بتفهم : سيبها تفرح مع جوزها بطريقتهم بلاش نتدخل في حياتهم من أولها ، خلينا نسيبهم ينظموا حياتهم بالطريقة اللي يشوفوها صح مش اللي نشوفها صح .

تنفس بغضب لتربت هي على كتفه بإقناع: عارفة انها بنوتك الصغيرة بس بنوتك كبرت واتجوزت وبقت مسئولة من راجل تاني غيرك فسيبها تشق طريقها.

عارضها بهدوء : تشق طريقها براحتها بس...

قاطعته مجددا : من غير بس يا عبدو ، هي وجوزها يتصافوا مع بعض ويتكلموا مع بعض ويوصلوا لطريقة يمشوا بيها طريقهم مع بعض بدون تدخل منا.

أومأ بهدوء وهو بداخله يشعر أنه خذل ابنته .

***

(٥)

وصلت حنين لبيتها الجديد برفقة زوجها وهي تطمئن نفسها أنها ستعيش أحلامها ؛ فالآن ستبدأ حياتها الفعلية برفقة حبيبها ولكن هل هو حبيبها ؟ هل ما تشعر به تجاهه هو الحب ؟ هل دقات قلبها لكلمات الغزل التي يغدقها بها هي علامات الحب حقًا ؟ حسنًا ماذا لو سمعت ذات الكلمات من غيره؟ هل سيدق قلبها بنفس الوتيرة ؟ لا تعلم ولكنها تشعر تجاهه بشيء ما وتدعو الله أن تعيش معه كل ما تمنت .

انسحب جميع المدعوين وبعد أن أغلق أمجد الباب هتفت والدته : يلا يا أميرة احنا كمان يا قلبي ننزل شقتنا تحت ونسيب العرسان .

ابتسمت حنين بحياء بينما اقترب أمجد من أخته وحاول جاهدًا التماسك أو تجاهل ما رآه من وقوفها برفقة شخص ما ، نظر لزوجته ونظراتها الخجولة ثم نظر لأخته المبتسمة وفكر أنها تبتسم وتضحك بداخلها؛ فلقد تمكنت من خداعه ، نعم ذلك هو سر ابتسامتها ، لقد فقد سيطرته عليها ولربما تعتقد أنها بزواجه أصبحت حرة تفعل ما يحلو لها ، حينما وصلت أفكاره لهذه النقطة لم يبال بمن حوله أو يهتم بأن الليلة هي ليلة زفافه ، بل لابد من أن يفرض سيطرته من جديد ويوضح للجميع أن الوضع لن يختلف أبدا بزواجه ،اقترب من أخته و وقف أمامها بجدية: لحظة يا أمي ، مين يا أميرة اللي كلمك في القاعة ده ؟!

تعجبت ثناء وحنين بينما وقع قلب أميرة وارتفعت نبضاته فكرر هو سؤاله : مين يا أميرة ده اللي وقف واتكلم معاكِ ؟

تعجبت حنين من اتهامه المباشر فاقتربت بابتسامة: حبيبي أكيد حد من زمايلها عادي يعني.

صاح بغضب في زوجته : مفيش حاجة اسمها زمايل وكلام فاضي من ده ، احنا ماعندناش الكلام ده.

عقدت حاجبيها بحيرة وصدمة : كلام ايه ؟ مش طالبة في جامعة ؟ عادي جدا .

قاطعها أمجد بغضب: اسكتي خالص انتِ يا حنين دلوقتي وما تتدخليش في اللي ما يخصكيش ، ماعنديش حاجة اسمها زمايل والليلة دي كلها .

تراجعت حنين مصدومة من أفكاره ومعاملته لأخته ورعبها منها و وقفت تراقب بصمت ودهشة.

انتفضت أميرة حين صاح مجددًا بغضب : ما تنطقي تنطقي مين ده ؟

حركت ثناء رأسها برعب؛ فلقد تمنت أو تخيلت أن زواجه سيريحها ولو قليلا من تحكماته وفرض سيطرته على أخته ، لابد لها من تلطيف الجو فما يفعله ابنها الآن سيضره هو قبل أخته بالتأكيد ، فهي تلاحظ نظرات زوجته المصدومة في زوجها .

اقتربت بسرعة تقف بينهما بتوتر: واحد كان عايز يتعرف عليها وهي صدته خلاص ما تكبرش الموضوع .

أبعد والدته بغضب : أنا بسألها هي مش انتِ يا أمي.

أمسك ذراعها يعنفها : انطقي يا أميرة مين ده؟ وكان بيقولك ايه و وقفتِ معاه ليه ؟

تحجرت الدموع بعيني أميرة وهي تلعن حظها بأخيها ، تذكرت فرحتها وأحلامها بزواجه وتخلصها من سيطرته، تذكرت تحذير أحمد وتألمت بصمت فمن يخلصها من سجنها القهري؟ اشتد ضغطه على ذراعها فصاحت بألم : دراعي يا أمجد.

تجاهل ألمها وصاح بقسوة: خليه يتكسر لحد ما تنطقي وتقولي مين ده؟

نظرت لوالدتها التي أشارت برأسها أن تريح أخاها فتمتمت بسرعة : زي ما ماما قالت واحد جه يتعرف وقلتله مش بتعرف ومشيته من قدامي بس كده. صدقني يا أمجد بس كده.

ترك ذراعها ودفعها عنه بعنف : مع اني مش مصدقك بس هعديها يا أميرة الليلة دي وياويلك مني لو اتأكدت انك بتكذبي عليا.

لم تتحمل حنين سماع المزيد من تهديداته فتوجهت لغرفتها غاضبة ومصدومة مما تراه وتسمعه من هذا العصبي ، تساءلت للمرة الألف أهي أخطأت في اختيارها لأمجد زوجًا لها ؟!

ظلت حنين بمفردها في غرفتها منتظرة عودة أمجد ، متسائلة كيف ستتعامل معه ؟ أستغضب وتثور أم تهدأ وتفكر بعقلها ؟ لربما لديه مبرر للقسوة على أخته ! وربما أخلاق أخته تجبره على تلك المعاملة ، في النهاية هي لا تعلم شيئًا عن أميرة مطلقًا ، اطمأنت لهذا التفسير ؛ فأمجد لن يتعامل بتلك القسوة إلا إذا كان هنالك مبرر قوي لمثل ذلك التصرف .

راقبت ثناء دخول حنين وابتعادها فأمسكت ذراع ابنها تعنفه : وقته ده ؟ في حد عاقل يعمل كدا قدام عروسته في ليلة فرحها ؟ انت ايه يا أمجد ؟ لا وقته ولا مكانه ولا في أي شيء أصلا يستاهل كل ده. عملت ايه أختك ؟ وقفت اتكلمت مع واحد دقيقة ؟!

وضع أمجد يده في شعره يعبث فيه بغضب ويمررها خلاله عدة مرات ثم صاح بعصبية: يا أمي بنتك بتكدب ، الواد كان واقف قريب منها وبيكلمها ، دول يعرفوا بعض مش سؤال عابر لا.

صاحت بغضب : ولنفترض يعرفها فين المشكلة ؟ أجرمت ؟ ولا ..

قاطعها وهو يمسك ذراع والدته يحذرها : قسمًا بالله أقتلهالك مش تقولي أجرمت وكلام فاضي من ده - نظر لأخته محذرا - أسمع بس يا أميرة ان ليك علاقة ولا بتكلمي أي حد وشوفي هعمل فيك ايه ؟!

طأطأت اميرة رأسها بخوف وتركت دموعها تغرق وجهها فمتى ستتخلص منه ؟ متى ستصبح حرة طليقة ؟ أم كُتب عليها السجن مدى الحياة ؟

مسحت دموعها ولملمت فستانها ونظرت لأخيها بوجع : الواحدة بتفرح ان ليها أخ تتسند عليه بس أنا للأسف أخويا لعنة من ربنا وبدعي ليل نهار ربنا يخلصني منك حتى لو خلاصي ده بموتي ، ربنا يخلصني منك .

اقترب أمجد بغضب وكاد يرفع يده ليصفعها إلا أن والدته وقفت امامه مجددًا وهي تبعد ابنتها : غوري بقى انزلي تحت وانت اتفضل ادخل لمراتك بدل ما تلاقيها كلمت أبوها يجي ياخدها بجنانك ده .

ابتعدت أميرة وهي تمسح دموعها المنهمرة وتراجع أمجد عاقدًا حاجبيه بضيق من كلام والدته التي اقتربت منه : استهدي بالله وادخل لمراتك بدل ما تسيبهالك وتمشي يا أمجد .

في الداخل هدأت حنين نوعًا ما عند وصولها لذلك التفسير وابتسمت ؛ فهي لن تسمح بتعكير صفو ليلة العمر فهذه هي ليلتها الوحيدة ولن تضيعها بالغضب على شيء لا يخصها ، لديها الكثير والكثير من الوقت للتعرف على أميرة وطباعها وفهم سر قسوة أمجد ولكن ليلة العمر فهي الليلة فقط .

نظرت تجاه جهازها المحمول وأسرعت بفتحه وتوصيله بالسماعات واختارت أغنيتها المفضلة وانتظرت عودته لتشغيلها، ابتسمت بفرحة وارتفعت نبضات قلبها عندما سمعت خطواته تقترب وأخيرًا دخل أمجد الغرفة مبتسمًا وأغلق الباب خلفه : أخيرا بقينا لوحدنا ، حسيت ان عمر اللحظة دي ما هتيجي أبدًا .

نظرت إليه مطولًا وتعجبت كيف تغير بمثل تلك السرعة؟! فمن يراه منذ قليل بكل هذا الغضب والقسوة لا يصدق أنه يقف الآن مبتسمًا ويقترب منها ، تراجعت دون وعي للخلف ليهتف مستنكرًا : انتِ بتبعدي ليه كده ؟

عقدت حاجبيها بتعجب ووجدت نفسها تسأله عما حدث: انت ازاي تعامل أختك بالشكل ده ؟! بعدين فيها ايه لو وقفت كلمت حد أو كان عندها زميل في جامعتها ؟ يعني ازاي دكتور زيك يكون رجعي بالشكل ده ؟

سيطر الغضب عليه وهم بالصراخ في وجهها ولكن تذكر نصيحة والدته؛ فحنين من الممكن أن تتركه الليلة

وتذهب لوالدها الذي سيساعدها بالفعل فهو أخطأ بكسب عداوته من البداية .

ابتسم بإرهاق محاولا التماسك واللعب عليها بكلامه المعسول وحبه فاقترب وأمسك يدها : حنين انتِ ماعندكيش أدنى فكرة قد ايه صعب انك تقومي بدور الأب والأخ ، أكيد صعب عليا أزعل أختي الوحيدة بس بخاف عليها أكيد وبحبها ومش عايز حد يضايقها ولا يضحك عليها ، أنا من شوية كنت أب وبعد ما دخلتِ صالحتها وكنت أخ ، لازم القسوة مع الحنية يا حبيبتي ، غصب عني، أكيد مش عايز أقسى عليها أبدا بس ساعات بيكون غصب عني ، بعدين الولد كان واقف قريب منها أوي وحاسسها بتكدب عليا ، تخيلي لو جرالها حاجة أنا هعمل ايه ؟! مش لازم تكون عينيا وسط راسي وأعرف هي بتكلم مين وبتصاحب مين؟ ولا أسيبها وأتفاجئ لا قدر الله بحاجة تضيعنا ؟! انتِ قولي ايه الصح يا حنين ؟ هي مش صريحة أبدا معايا ، انتِ يا حنين قبل ما تيجي تقابليني مش استأذنتِ والدك ووالدتك ولا جيتِ من وراهم ؟ لما كلمتك قلتيلهم ولا خبيتِ ؟ ردي عليا ساكتة ليه ؟

تمتمت بحيرة : قلتلهم طبعا .

صاح بغضب : طيب هي عمرها ما قالتلي أي حاجة ، مهما أحاول أقرب برضه بتخبي عليا ، مش عارف ازاي أتعامل معاها ، ياريت كان أبويا موجود كنت هبقى الاخ الحنين بس للأسف ودي مسؤلية كبيرة .

اقتربت حنين من زوجها فاجر همها أن توقظ ذكريات أليمة في ليلتها : أمجد أنا مش قصدي ألومك بس الكلام يكون بالراحة مش كده.

نظر إليها بطاعة: حاضر يا حنين ، هتكلم بالراحة ، دلوقتي ممكن نقفل الكلام عن أميرة ولا هنقضي ليلتنا كلها نتكلم عن أساليب التربية ؟ انتِ شايفة ده وقت مناسب لكده ؟

تنهدت بتعب وتقابلت نظراتهما ، فعقلها يرفض كل تبريراته بينما قلبها يرق ويحن بسرعة ، اقترب أكثر منها بلهفة: خلينا نعيش الليلة دي بقى .

نظرت إليه مطولا وتمتمت بتردد : لو قلتلك اني عايزة أنام وتعبانة هتقولي ايه ؟

تنهد هو الآخر متعبا ولكن أمسك يدها يقبلها : هقولك ان ليلة العمر ليلة واحدة وبس ما بتتكررش تاني يا حنين فلو انتِ مستعدة تضيعيها علشان حاجة تافهة أنا مش مستعد, أنا عايز مراتي وحبيبتي في حضني .

همت بالاعتراض لكنها تراجعت؛ فهي أيضًا تتمنى أن تعيش هذه الليلة كأحلامها ، اخترقتها نظراته بينما هو يقبل يدها بهدوء فابتسمت بخجل ونظرت ناحية الكمبيوتر لتسمعه يهمس : أخيرا بقيتِ بجد ملكي !

حاولت الابتعاد وهي تتمتم : خلينا نشغل مزيكا هادية أو أغنية.

قاطعها بعدم اهتمام : سيبك من المزيكا والأغاني دماغنا صدعت الليلة من كتر المزيكا والأغاني يا حنين ، دلوقتي وقتنا أنا وانتِ.

ابتعدت بخجل : بس برضه عايزة أسمع مزيكا.

حاول الابتسام : حنين مش وقته أبدا دلوقتي .

هتفت باستنكار : امال وقت ايه ؟ قلتلي نرقص لما نروح مش ده كان كلامك ؟!

نظر لعينيها مباشرة : بعد يوم متعب زي كده وبعد كل الليلة دي عايزة ترقصي ؟ أنا مش فاهم ايه حكاية الرقص معاكِ ؟! حنين في حاجات أهم من الرقص ، دلوقتي ياريت سيادتك تغيري هدومك أو لو حابة نغير مع بعض .....

قاطعته بسرعة بغضب وخجل: لا هغير هدومي لوحدي

ابتسم ببساطة وهو يبتعد : براحتك قدامك عشر دقائق هطلع أغير هدومي وآخد شاور سريع وهاجي ومش هسيبك بعدها لحظة واحدة.

تركها مجددا لتظل لعدة دقائق تنظر لأثره وهي تحرك رأسها برفض غير مصدقة أبدا أن هذه هي ليلة العمر ؟!

نفضت أفكارها وانتعشت بسرعة وأبدلت ثيابها بأخرى مريحة وهي تتساءل أستستمر صدماتها مرة تلو الأخرى أم سيفاجئها زوجها بليلة رومانسية يظل صداها العمر بأكمله ؟

طرقات خفيفة نبهتها بدخوله وبادرها بسؤاله : جعانة ولا حاجة ؟

حركت رأسها تنفي وزاد توترها باقترابه منها يمسك يدها بابتسامة: النهارده يا حنين بقيت مراتي وملكي ومش هسمح أبدا لأي حد يبعدنا عن بعض تاني .

ابتسمت وهي تتعلق بنظراته فاقترب أكثر منها ليقبلها لكنها أبعدت وجهها وهمست برجاء: خلينا نشغل أي مزيكا يا أمجد أو ....

قاطعها بضيق : يوووه يا حنين بقى ، مش عايز يا ستي أسمع مزيكا دلوقتي ، قربي مني .

نظرت لعينيه بدهشة أحقًا يأمرها بالاقتراب منه ؟!

تعجب هو من نظراتها وهتف باستنكار بتبصيلي كده ليه ؟! قربي يا حنين مني أنا جوزك.

ابتعدت خطوة للخلف وهي تتمتم أنا تعبانة يا أمجد وعايزة أرتاح شوية بعد ....

قاطعها وهو يمسك يدها يمنعها من الابتعاد بجمود: تقولك قربي تقوليلي تعبانة ؟! أنا مش قادر أفهم تصرفاتك الصراحة .

هتفت بضيق : ولا أنا قادرة أفهم تصرفاتك ؟ انت عايز ايه بالظبط ؟

جذبها من يدها لتقترب رغمًا عنها منه و وضع يديه حول خصرها يضمها بشغف : عايز مراتي تبقى مراتي بجد مش على الورق بس فلما أقولك قربي يا حنين تقربي بدون نقاش .

حاولت الابتعاد أو منعه ولكن هيهات فلقد حملها و وضعها فوق سريره .

حاولت حنين التفاهم معه لكنه منعها تماما من النطق بحرف واحد ، حاولت التجاوب لقبلاته أو لمساته التي صدمتها؛ فأين ما كانت تتخيله طوال تلك السنوات ؟ أين تلك الهمسات والابتسامات والخجل ؟ أين رعشة قلبها ومشاعرها من قبلاته ولمساته ؟ لمَ تحس بذلك النفور داخلها ؟ لمَ تود الصراخ بأعلى صوتها لتمنعه وتبعده عن جسدها ؟!

حاولت بالفعل الابتعاد بصوت مختنق : أمجد أرجوك لو سمحت ، أمجد ؟

أبعد أمجد وجهه قليلا عنها ونظر لعينيها بلهاث : في ايه يا حنين ؟ مالك ؟

حركت رأسها دون أن تدري ماذا تقول ؟ فعاد لتقبيلها ثانية ولكن أبعدته بتوسل. أمجد مش كده

نظر إليها باستغراب وتهكم : امال ازاي سيادتك ؟ انتِ هتعلميني أعمل ايه ؟

هتفت برجاء : مش هعلمك بس مش كده .

صاح بغضب : تعرفي منين انتِ كده ولا مش كده ؟!

صاحت هي الأخرى بقوة : معرفش بس اللي عارفاه اني مش مرتاحة ، مش حاسة اني مبسوطة .

أمسك وجهها بيده لتواجهه بقسوة: الليلة الأولى ما بتكونش للانبساط يا حنين بتكون لحاجات تانية ،

بتكون تكملة عقد الجواز ، بتكون إثبات انك بقيتِ مراتي ، بتكون آخر خطوة في الجواز لكن محدش قال أبدا انها للمتعة.

حركت رأسها ترفض ما تسمعه : امال سموها ليلة العمر ليه؟

ضحك باستخفاف وهو يجيبها : لأنها ليلة مش بتتنسي ، ليلة حياتك كلها بتتغير فيها وبتتحولي من البنوتة الكيوت دي لزوجة ، ليلة اسمك وجسمك وكل ما فيكِ بتسلميه لراجل تاني ، كل حاجة في حياتك بتختلف والكلام ده ما بيحصلش غير مرة وحتى لو الواحدة اتجوزت تاني هي المرة الأولى وبس فدلوقتي بطلي رغي وكلام واعتراض واهدي وخليني أتمم جوازنا علشان تبقي مراتي بجد ، عايزة تقولي أي حاجة؟ لاني مش هسمحلك تتكلمي وتقاطعيني تاني .

التمعت دموعها لكنه لم يبال أبدا؛ فكل اهتمامه الآن بإتمام ذلك الزواج وجعلها امرأته .

استباح جسدها واستمتع به وأغمضت هي عينيها تتركه يغتصبها ، نعم يغتصبها فهذا هو ما تحسه الآن ، تألمت ، توجعت ، تذكرت كل محاولات والدتها لإخبارها أن ما تعيشه وهم فلا وجود لذلك الحب وتلك الرومانسية ، تذكرت حور أختها وهي تصيح بوجهها أن تخرج من عالمها الوردي فما تعيشه خيالًا ، الآن فقط تيقنت من صدق كلامهما ، الآن فقط تمنت لو لم تقرأ يوما رواية رومانسية أو شاهدت فيلمًا رومانسيًا ، الآن فقط تمنت لو كانت مثل أمها أو أختها .

أنت بوجع لتسمعه يلهث ويهمس برغبة : اتحملي معلش هي أول مرة بس بتكون صعبة.

انهمرت دموعها وهي تتيقن من حقيقة أنها تزوجته وستعيش هذه الدقائق بشكل مستمر يوميا ، سيستبيحها كلما رغب بها ، ستعيش ذلك الألم مرارًا وتكرارًا .

صرخت تتوجع وتفاجأت بيده على فمها وصياحه الغاضب : هششش صوتك ما يعلاش كده تاني ، انتِ عايزة تفضحيني؟ اتحملي واسكتي .

أومأت برأسها بانكسار ليرفع يده عن فمها وأبعدت وجهها عن نظراته ، هو يستكثر عليها صوتها وتعبيرها عن وجعها ، حاولت أن تفصل تفكيرها عن واقعها وتغرق في أحلامها الوردية ، حاولت أن تتذكر آلاف الروايات وآلاف المشاهد التي تمنت أن تعيشها برفقة حبيبها ، حاولت وحاولت دون جدوى حتى انتبهت لزوجها يبتعد وهو يبتسم بظفر: مبروك يا أجمل عروسة.

راقبته وهي مسلوبة الإرداة ومخدرة المشاعر فلقد انتهى من استباحتها ، راقبته يبتعد عنها سعيدًا ، لململت مشاعرها وثيابها وأسرعت لتدخل الحمام وتقف أمام مرآتها لتنهمر دموعها وهي تلعن غباءها وأفكارها وكل حياتها .

أتلك هي ليلة العمر ؟ أي عمر ؟ عمرها الضائع ؟

ظلت لفترة تنظر لانعاكسها غير قادرة على الحركة أو التفكير ، أخيرا مسحت دموعها وهمست لنفسها بحزن: يمكن زي ماهو قال أول مرة بس صعبة وبعدها هتكون ألطف ، يمكن هو متوتر زي ما مامتها قالت ان العريس بيكون في دماغه مهمة عايز يأديها وبس ، يمكن بعد كده الامور تتعدل ، ابتسمت بألم لنفسها وأكدت : أيوة بالظبط كل حاجة هتتعدل مع الوقت وأمجد هيرجع حبيبي تاني .

خرجت من غرفتها لتجده غارقا في النوم مبتسما ، راقبته مطولا وإحساس بالكره ينمو داخلها ، إحساس بالرفض والألم والوجع ، حاولت أن تنام بجانبه لكنها شعرت بالوحدة الممزوجة بالنفور وعدم الاطمئنان وأنه شخص غريب عليها لم تعرفه، انهمرت دموعها مجددا وهي تراقبه وعادت تلعن حظها وتفكيرها وأحلامها الوردية التي تبخرت حتى سقطت في نوم مرهق .

استيقظت على صوته يوقظها بفظاظة : قومي يا حنين خلينا نفطر أنا جعان .

فتحت عينيها بحيرة للحظات ثم انتفضت حين رأته فضحك هو : أنا أمجد ايه ؟ قومي يلا خلينا نفطر ، أمي جابت الفطار .

أومأت برأسها فخرج وهو يهتف : حصليني بسرعة وإلا هفطر من غيرك أنا واقع من الجوع .

اعتدلت وهي تتنفس بإحباط وملل فحياتها مستمرة لم تنتهي بعد ، لقد أحست أنها ستموت بالأمس ولكن لقد أشرق نهار يوم جديد ولربما تسعد في هذا اليوم وتعيش مالم تعشه بالأمس .

استعدت وخرجت لتجده ينتظرها بالفعل

جلست أمامه بفتور ليبدأ هو حديثه بتعجب : كلي يلا مستنية ايه ؟!

اتصلت والدتها فحاولت الابتعاد لتتحدث بأريحية معها ولكن أمسك أمجد يدها وابتسم بسماجة: ما تقوميش من جنبي .

منعها من الحركة فاضطرت لمحادثة والدتها أمامه وزدت على كل أسئلة والدتها بشكل فاتر وهي تجيب بالحمد لله فقط .

أغلقت والدتها الهاتف متعجبة من أسلوب ابنتها لكنها طمأنت نفسها بأنها عروس خجول ليس أكثر.

***

استيقظ إيهاب من نومه وتلفت حوله متعجبا أين هو؟ ولم يرى السماء فوقه ؟! أغمض عينيه مجددا ليعاود فتحهما وينظر حوله ثم جلس بتعجب ، لقد قضى ليلته فوق سطح بيته .

وقف بتكاسل رغمًا عنه ونزل لبيته بالأسفل ليهرب من أسئلة والدته الغير منتهية ثم خرج من بيته لعمله عله يخفف مما يشعر به الآن من وجع وذل وقهر .

وقف بصمت أمام ذلك الحائط ينظر إليه مطولا ثم بدأ في رسمه الصامت .

همس سيد صديقه : هو إيهاب ماله ساكت كده ليه النهارده؟

تمتم خالد وهو يراقب صديقه بحيرة: مش عارف ماله؟ حتى امبارح اتصلت بيه كتير بس ماردش عليا ، سيبه براحته وهو شوية وهيتكلم .

***

استيقظت دعاء من نومها بنشاط؛ فهي تعشق يوم عطلتها ، نظرت لزوجها بجوارها وقررت تركه ينعم بمزيد من النوم والراحة ، انسحبت بهدوء وخرجت تطمئن على ابنتها النائمة ثم بدأت تباشر أعمالها المتراكمة طوال الأسبوع ، بعد فترة أمسكت هاتفها تقلب في صور فرح صديقتها مبتسمة بحنين ليقترب زوجها بابتسامة هادئة ويجلس بجانبها ثم وضع ذراعه حولها بمزاح: دي يادوب امبارح كان فرحها يا قلبي بكرا ترجع وتشوفيها تاني .

ابتسمت لزوجها : تصدق وحشتني يا سمير ؟ ما تيجي نزورها؟

ابتسم زوجها : نزورها ماشي بس حتى يعدي أسبوع محدش بيزور عرسان قبل أسبوع يا قلبي ، اتفقنا ؟

أومأت برأسها فأكمل هو : تيجي نتغدى برا أنا وانتِ النهارده ؟

تعجبت ونظرت إليه بحيرة : اشمعنى ؟

حرك كتفيه بلا مبالاة : عادي يعني ، تغيير مش أكتر .

اقتربت منه : سمير حبيبي أنا بحب حياتي زي ماهي معاك انت مش محتاج تحاول كل شوية تعمل حاجة

علشان تفرحني.

أمسك يدها وهو يؤكد بحب : أنا ده اللي محتاجه بالظبط اني كل شوية أفرحك ، أنا عايزك فرحانة ومبسوطة على طول ولو أطول ....

قاطعته بحب : أنا مبسوطة على طول يا حبيبي طول ما أنا معاك انت وبنوتتنا الحلوة رغد وكان نفسي أخاويها بجد بس ...

قاطعها زوجها : ربنا يحفظها يا حنين والحمد لله انه رزقنا بيها ولو مش رايد نخلف تاني غيرها فالحمد لله على كل حال، اوعي تهتمي بكلام أمي ولا كلام أي حد.

ابتسمت بحزن لزوجها : طول ما أنت جنبي مش بيهمني كلام حد فيهم أبدا وعارفة ان ده قضاء ربنا وراضية بيه والحمد لله ، أنا كل اللي طالباه منك تعاملني عادي ، بلاش تحسسني اني حاجة هتكسر .

وضع يديه حولها بحب: أنا بعاملك بحب يا دعاء وبخاف عليك كأي حبيب بيخاف على حبيبته مش بالشكل اللي انت بتتكلمي عنه ده أبدا .

وضعت رأسها على كتفه وأغمضت عينيها باطمئنان فهو ملاذها الآمن .

قاطعتهما طرقات عالية فابتسمت دعاء وهي تبتعد : ده خبط مامتك هي اللي على الباب.

ابتسم سمير بحيرة وهو يبتعد : بتميزي خبطتها ازاي ؟

ضحكت : عادي تعود مش أكتر.

فتح الباب ليبتسم لوالدته ويرحب بها ولكن أشارت بيدها لتوقفه باقتضاب : مش جاية أدخل ، خالتك تحت هي وعيالها انزل سلم عليها يلا.

تعجب للحظات لكنه رسم ابتسامته مجددا : طيب اديني خمس دقائق أغير هدومي وهنزل أنا ودعاء.

أسرعت والدته وهي ترمق زوجته بنظرات غاضبة : لا لا خليها مرتاحة ، بعدين خالتك مستعجلة وعايزة تمشي فتعال سلم عليها بسرعة.

لم تعطه فرصة للرفض أو الموافقة بل أمسكت ذراعه وجذبته خارج شقته وأغلقت الباب خلفهما ليوقفها بغضب : يا أمي في ايه ؟ محسساني اني عيل صغير بتجريه وراك ، بالراحة شوية وبعدين دعاء ....

قاطعته والدته بغضب : أيوة دعاء ، دعاء دي اللي ساحرالك والله ساحرالك .

تأفف بغضب وقبل أن يعترض أكملت هي بتهكم : ادخلها لتزعل الهانم وتولع أمك وأختها ، يلا ادخل .

تنهد باستسلام : خلينا ننزل نسلم على خالتي الأول يا أمي يلا .

تحرك أمامها لتبتسم بانتصار وتتحرك خلفه وبعد دخوله وترحيبه بخالته تفاجأ بابنتها دينا فاقترب بهدوء مبتسما باقتضاب : دينا ازيك يا بنت خالتي.

ابتسمت وهي تقف امامه وتمد يدها : أهلا يا ابن خالتي ، ليك وحشة عاش من شافك.

سحب يده بسرعة وهو يتمتم بمجاملة : معلش الشغل واخد وقتي كله.

أمسكت خالته ذراعه لتجلسه بجانبها ويدور حوار طويل وهو من وقت لآخر ينظر لوالدته بعتاب فأين هو استعجال خالته للرحيل؟ أم تلك مجرد حجة لسحبه بعيدا عن زوجته؟!

جلست دعاء في شقتها غاضبة؛ فهي تعلم مخططات حماتها وتفهمها جيدا ، تنهمر دموعها تارة وتمسحهم تارة أخرى ، فكرت بالنزول لأسفل فهو بالنهاية زوجها هي وحبيبها هي وواجبها حمايته والمحافظة على حبها ،

ثم تراجعت فممن ستحافظ عليه ؟ من والدته ؟!

***

حنين في بيتها تتحرك كالإنسان الآلي يفعل ما يطلب منه فقط ، مصدومة مما تعيشه الآن ، تتمنى لو أنها بكابوس ستستيقظ منه قريبا ، راقبت أمجد طوال اليوم بهدوء وظلت تفكر كيف كانت عمياء لتلك الدرجة ؟ كيف تغاضت عن كل أحاسيسها التي راودتها وأخافتها ؟

انتهى أول يوم أخيرا وقبل أن تغلق عينيها اقترب أمجد منها ليقبل رقبتها ويهمس : حبيبتي ده مش وقت النوم أبدا يا قلبي .

حاولت الابتسام بل قررت أنها ستتجاوب معه الليلة وتعيش تلك الرومانسية المفقودة ولكن دون جدوى فما إن بدأ بتقبيلها حتى أحست هي بالجمود يسيطر عليها وراودها نفس إحساس الأمس ؛ الاغتصاب فقط .

انتظرته حتى انتهى وغرق في نومه لتوليه ظهرها وتنهمر دموعها بصمت وتتساءل أين ذهب الحب؟ أم لم يكن أبدًا حبًا ؟!

***

مرت عدة أيام على زواج حنين وهايدي صديقتها تراقب مكتبها الفارغ بحزن دفين فلقد افتقدتها للغاية ، تمسك هاتفها لتحدثها ثم تتراجع ، وصلت بيتها أخيرًا بعد يوم متعب وطويل وبعد محاربة طويلة مع نفسها قررت زيارتها ، توجهت لأخيها : معتز ؟ توصلني عند حنين ؟

وقف معتز مبتسمًا : هتاخدي جور معاكِ ؟

عقدت حاجبيها بغضب : لا طبعا حور ايه؟ أنا رايحة لانتيمتي ، هتوصلني ولا أطلب اوبر؟ انجز

فكر للحظات ثم أومأ بموافقة: هلبس ثواني بس ما تكلمي حور يمكن تحب تيجي معاكِ ؟

مطت شفتيها باعتراض : لأ أصلا لو ماما أو مامتها عرفوا هيمنعوني ويقولولي عروسة وكلام فاضي من ده بس أنا محتاجة أشوفها بطل رغي واجهز بقى.

***

أما سارة فلقد اقتربت أكثر وأكثر من هشام واستمر خروجهم بشكل شبه يومي ، فهو يصر على إيصالها كل يوم ، وكل يوم يتوقف في مكان هادئ برفقتها لينعم بكل ما تقدمه .

تحرك بسيارته وهو برفقة سارة التي هتفت باعتراض : مش عايزة أتأخر النهارده ، ماما بترخم عليا أوي .

ابتسم بخبث : نصاية كده مش هنتأخر ، هاخدك مكان هادي وخفيف .

أخيرا أوقف سيارته لتهتف هي : احنا فين كده وايه المكان العالي ده ؟ حاسه اننا طايرين بالعربية.

ضحك بخفة وهو يجيبها بينما يطفئ سيارته ويلتفت إليها : احنا في المقطم يا قمر ، مكان هادي وجميل.

أردفت بجهل : وفاضي أوي وظلمة ، تحس اننا في حتة مقطوعة .

ابتسم وهو يقترب منها : هي مش مقطوعة على قد ما فيها خصوصية ، كل حد هنا بيحترم خصوصية غيره مش أكتر .

ابتسمت بتوتر ولكن طمأنت نفسها أنها مازالت في سيارته وفي مكان عام؛ فهو لن يتمادى أبدا في مكان عام فما الضرر من بعض القبلات لتزيد محبتها في قلبه وتعجل بطلبه ليدها ؟!

ابتسمت حين توصلت لتفكيرها هذا ولاحظ هو ابتسامتها وفسرها كما يحلو له ، أمسك يدها يقبلها بينما

سألته وهي تتعلق بعينيه : انت بجد بتحبني صح ؟ مش بتضحك عليا؟

زادت ابتسامته: ايه اللي بتقوليه ده ؟ من قلة البنات يعني علشان أكون محتاج أضحك عليكِ يا قلبي؟! انتِ بقيتِ روحي وقلبي وكل دنيتي ، قربي مني بقى وقوليلي يا ترى واحشك زي ما انتِ واحشاني ولا حبي ده من طرف واحد؟

هتفت بسرعة بنفي : لا والله واحشني يا هشام ، انت ما تتخيلش بحبك قد ايه .

ابتسم وهو يضمها : خليني أتخيل طيب ، قربي مني أكتر وأكتر يا سارة .

***

تجلس حنين برفقة زوجها تتابع أحد الأفلام أو هذا ما تتظاهر به بينما هي شاردة تماما وتفكر في حياتها السابقة وحياتها الآن وكيف خدعتها المظاهر وتفكيرها السطحي والمضلل من الأفلام والروايات ووهمها أنها ستعيش قصة حب أسطورية وزوج حالم رومانسي ؟

انتبهت من أفكارها حينما اقترب أمجد منها فهبت واقفة معتذرة : هدخل الحمام بعد إذنك .

انسحبت بسرعة من أمامه وأغلقت الباب خلفها واستندت على الحائط مغمضة عينيها لمنعهما من البكاء ؛ فهنا المكان الوحيد الذي تستطيع الاختلاء فيه للحظات دون إزعاج أو تدخل أو فرض .

انتظرها أمجد وهو متعجب من هروبها حتى قاطع أفكاره رنين جرس الباب فتوجه ناحيته ليتفاجأ بصديقتها المقربة وأخيها المزعج فعقد حاجبيه بضيق واضح بينما تمتمت هايدي بإحراج : ازيك يا دكتور أخبارك ايه ؟

أجابها باقتضاب وهو يقف أمام الباب : الحمد لله بخير

توترت هايدي وتبادلت نظرات قلقة مع أخيها الذي حاول هو الآخر ملاطفته : ازيك يا دكترة .

عقد حاجبيه بشدة وهو يجيبه : أهلا

تجرأت هايدي وسألته بمرح : امال حنون فين ؟ كنت جاية أباركلها.

ابتسم أمجد باقتضاب وهو ينظر خلفه : نايمة والله يا هايدي ومابحبش أزعجها ولا أصحيها ؟

تراجعت بسرعة بخجل : لا لا لا خلاص هجيلها وقت تاني ، باركلها يا دكتور ، يلا يا معتز.

لم ينطق حرفا وراقبهما يبتعدان وابتسامة واسعة تزين وجهه .

استقرت هايدي بجانب أخيها ودمعة فرت من عينها بالرغم عنها ليهتف أخوها بغضب : قسما بالله بني آدم قليل الذوق وما بيفهمش ونفسي أعرف كان عاجب حنين في ايه ؟

مسحت هايدي دموعها بسرعة : احنا اللي قلال الذوق علشان جينا بدون ميعاد أو في وقت زي ده ، ما تقولش لحد على زيارتنا دي ويلا اتحرك.

خرجت حنين وتوجهت لغرفتها وقبل أن تغلق الباب سمعت صوته يناديها : حنون تعالي هنا ، لسه بدري على أوضة النوم دلوقتي

تنهدت بتعب وحاولت أن تخرج صوتها طبيعيا : أمجد سيبني أنام شوية ممكن ؟

وقف بدوره وابتسم بخبث: وماله ننام شوية بس كده ؟

أسرعت تمنعه فيكفيها ليلها فلا حاجة لها أبدا بقربه الآن ، هي مجهدة ومتعبة وتتمنى بعض الراحة ولكن لا سبيل لها ، أمسكت ذراعه وجلست بضيق خفي : خلينا هنا ، قولي مين كان على الباب ؟ أميرة ولا ايه ؟

نفى بهدوء : لا ، كانت صاحبتك وأخوها الرخم.

اتسعت عيناها بدهشة وتمتمت : هايدي ؟ وقلتلها ايه ؟

تكلم ببساطة دون إدراك لحالتها وتأثير كلامه ولامبالاته: قلتلهم انك نايمة ومش هصحيكِ طالما هما ما بيفهموش في الذوق يبقى نتعامل معاهم بقلة ذوق.

وقفت بغضب هادر : هايدي دي انتيمتي فاهم ؟

وقف هو الآخر يمسك ذراعها بغضب : صوتك ما يعلاش واوعي تنسي انك بتكلمي جوزك ، جوزك ها ؟ مش عيل بيلعب معاكِ هترعقيله.

جذبت ذراعها بغضب : انت ازاي تمشي صاحبتي كده وتزعلها ؟ رد عليا.

حاول التماسك قدر استطاعته ونفخ بضيق : اوووف ، من هنا ورايح مفيش حاجة اسمها انتيمتي دي ، وما بحبش جو صاحبتي وتزورني وأزورها والليلة دي سعادتك.

تراجعت بذهول : انت بتقول ايه ؟ انت ازاي كده ؟

ابتسم باستفزاز : أنا كده وماعنديش غير كده وسيادتك مطلوب منك تتطبعي بطباعي .

صاحت بغضب وهي تشيح بيدها : لا انسى أنا ..

قاطعها وهو يمسك يدها بغضب ويضغط عليها لدرجة أوجعتها وصرخت : ايدي هتكسرها يا أمجد.

صاح بقسوة : خليني أكسرها يمكن تتعلمي ازاي تتكلمي مع جوزك بأدب وتحترمي كلامه

ظلت جامدة للحظات ومصدومة من عنفه ولامبالاته وقسوته ، اقترب بوجهه منها يهمس بتحذير وهو يترك يدها : شوفت بتعصبيني ازاي ؟! بلاش توصليني للدرجة دي يا حنين ، انتِ عارفة كويس أنا بحبك قد ايه بس كمان انتِ بتاعتي لوحدي .

اتسعت عيناها وعقلها يكرر تلك الجملة وكل مرة نطقها بها فهو بالفعل قالها ألف مرة : انتِ ملكي .

لقد أصبحت ملكه بالفعل فكم كانت غبية عندما لم تفهم مقصده بتلك الجملة ! لعنت سذاجتها ورومانسيتها الغبية التي أوقعتها في براثنه فلقد منت نفسها بحياة رومانسية و ها هي وقعت الآن تحت رحمته وستدفع ثمن غبائها وأحلامها عن الحب الأفلاطوني اللاوجود له .

***

كان سمير مع والدته حتى انصرفت أخيرًا خالته وابنتها فودعهما بابتسامة سرعان ما اختفت بعد غلقه الباب ثم صاح بغضب : ايه ده يا أمي ؟ ها ؟

ابتسمت والدته وهي تجلس بتراخي : شوفت دينا بقت زي القمر ازاي ؟ بقت ملفوفة ومش عايزة غير الخيال .

عقد حاجبيه وصاح بحيرة : انت بتقولي ايه يا أمي؟ خيال ايه وزفت ايه ؟ ماما أنا بحب مراتي ها؟ مراتي اللي فوق لتكوني ناسية اني متجوز.

صاحت بغضب : وهي دي حاجة تتنسي ؟ ياريتني أنسى البيت الوقف اللي متجوزها ، دي بيت وقف خلفت حتة بنت وقطعت على كده ، بنتك عندها قد ايه ؟ ها؟ روحت لكام دكتور ؟عملت ....

قاطعها بغضب وهو يحذرها : اقفلي يا أمي الكلام الخايب اللي بتقوليه ده وبطلى تضايقي مراتي وإلا ....

قاطعته بقوة: وإلا ايه يا ابن بطني ها؟ بكذب أنا ولا بتبلى عليها ، خلفت مرة وعنها ما كانت يبقى تشوف

نفسك ، بنت خالتك قابلة تتجوزك بظروفك دي ومش هتقولك طلقها ه .....

صاح وهو يمسك ذراعها : بس يا أمي بس ، اسكتي ايه اللي بتقوليه ده ؟ جواز مش هتجوز فريحي بالك تماما من الليلة دي .

تركها غاضبا وتوجه لشقته بالأعلى وقابلته زوجته مبتسمة كعادتها ، نظر إليها مطولا بحزن من تفكير والدته وأفقها الضيق ، هتفت بخوف : مالك يا سمير وترتني ، في حاجة يا حبيبي؟!

اقترب بسرعة منها وضمها لقلبه : في اني بحبك أوي وبعشقك أوي ومش مستعد أبدا أستغنى عنك.

ابتسمت بوجهه بمرح زائف: خلاص ما تستغناش .

اختفت ابتسامتها حينما ضمها لقلبه؛ فهي تعلم حماتها جيدا وتخطيطها المستمر لتزويجه.

مرت عدة أيام على زواج حنين وعبدالقادر في بيته يفتقدها، يفتقد ابتسامتها الهادئة ، نقاشها معه ، فنجان القهوة من يدها ، يفتقد أبسط التفاصيل ، يفتقد صغيرته التي هجرت عشها لتعيش بعش خاص بها ، لا لم يعد يصبر أبدا كما تطلب زوجته ، فتحرك بعصبية وصاح بغضب : بقولك ايه أنا هروح أزور بنتي سيادتك عايزة تيجي معايا أهلا بيكِ مش عايزة خليكِ .

قبل أن تجيبه خرجت حور بسرعة وصاحت : أنا هاجي معاك يا بابا حنين وحشتني أوي أوي.

ابتسم لابنته ثم التف لزوجته بغضب : هتيجي معانا ولا هتخليك هنا ؟

وقفت بدورها مسرعة : هاجي طبعا يلا بينا .

أمسكت صابرين يد زوجها وهي بجانبه في سيارته . مش هنتصل بيها نبلغها الأول ؟

عقد حاجبيه برفض : لا ما أضمنش البارد ده ممكن يخرج أو يقولنا نايمة أو أي حاجة تحرق الدم فبلاها اتصال بعدين حنين دي بنتنا مش حد غريب.

لم تنطق أو تجادل فهي تعلم حالته الآن ، فحين يتعلق الموضوع بحنين هي خاسرة تماما .

انتهت حنين من تنظيف الطاولة وغسل الأطباق ونزلت دمعة منها وهي تتذكر آلاف المرات وهي ترفض غسل الأطباق ببيت والدها والآن كيف سترفض أو مَن سيساعدها ؟

رنين جرس الباب نبهها من شرودها لتفتح بسرعة وتتفاجأ بعائلتها التي نظرت إليها بدهشة وحيرة فأين جميلتهم الرائعة؟ ومَن تلك الذابلة والشاحبة ؟

كانت حنين أول مَن تتحرك وتلقي بنفسها بين ذراعي والدها بفرحة وتهتف : بابا ، وحشتني وحشتني .

تنقلت بينهم وهي تضم كل واحد وكأنه غائب منذ سنين مضت وتعاتبهم : اخص عليكم ما صدقتوا خلصتوا مني ولا ايه ؟

أجاب والدها برفض لما قالته : اخص عليكِ انتِ، ايه خلصنا منك دي ؟! أنا لو أطول كنت خليتك جنبي العمر كله .

تمتمت بحزن وانكسار : ياريتك كنت خليتني جنبك.

أمسك والدها ذراعيها بقلق: ليه بتقولي كده يا حنين ؟ انتِ مش مبسوطة مع أمجد ؟

قاطعهما وصول أمجد صائحا : واقفة على الباب ليه كده يا حنين و....

قطع جملته حين رأى عائلة زوجته فابتسم بسرعة : عمي اتفضل ، اتفضلي يا طنط ، واقفين ليه كده؟ - نظر لزوجته معاتبا - موقفة عيلتك على الباب يا حنين ؟! ده اسمه كلام برضه ؟

استقر الجميع بالداخل في جو متوتر ومشحون للغاية حتى اقترح أمجد : ما تقومي يا حنون تعملي حاجة نشربها بدل الصمت ده.

أسرعت والدتها : اه قومي يا قلبي وهساعدك.

وقف أمجد بسرعة : خليكِ مرتاحة يا ست الكل أنا معاها مش بسيبها.

تحرك برفقة زوجته وتوجهها للداخل وحين ابتعدت أمسك ذراعها بتنبيه : افردي وشك ده وبلاش الدور اللي انتِ عايشاه ده ، عاملة كده ليه ؟ عايزة تقوليلهم ايه ؟ انك مش مبسوطة؟!

همت بالصراخ وإخباره بأنها أتعس إنسانة بالكون لكنها تراجعت فكيف ستخبر والدتها أنها كانت محقة؟ فلا وجود لأحلامها إلا بخيالها ؟ كيف ستخبرها أنها آسفة على كل مرة غضبت منها عندما حاولت إعادتها للواقع وإخراجها من عالم الأحلام ؟

كيف ستخبر والدها أنها تعيسة وتوجع قلبه المتعب ؟ ألف كيف ظهرت أمامها ، تنهدت وهي تتراجع مبتسمة بحزن : اطلع اقعد معاهم وأنا هعمل حاجة نشربها وما تقلقش على شكلك ومظهرك قدامهم.

انسحبت من أمامه وبعد تردد دام لثوان خرج ليجلس برفقتهم محاولا الابتسام طوال الوقت .

راقب عبدالقادر ابنته وصفتها وشرودها بوجع فسألها وهو يمسك يدها بحنو: حنون يا قلبي عاملة ايه طمنيني عليكِ ؟ مبسوطة يا بابا ؟

نظرت لزوجها لتجده مستها بشدة ومتحفز

ولاحظت تحفز والدها هو الآخر فابتسمت وهي تضغط على يده تطمئنه بابي أنا مبسوطة ما تقلقش عليا - أضافت بمزاح- أنا بس مفتقدة للنوم الكتير.

ابتسم والدها وربت على يدها ، وقفت صابرين لينظر الكل إليها فابتسمت بهدوء: مالكم ؟ عايزة بنتي في كلمتين لوحدنا ، بعد إذنكم.

حذر أمجد زوجته بنظراته قبل أن تلحق بوالدتها التي أغلقت الباب خلفها ثم أمسكت ابنتها من ذراعها وجلست وأجلستها أمامها لتمعن النظر فيها باهتمام : ها قوليلي ، دبلانة كده ليه ؟ وليه مش حاساكِ مبسوطة ؟

***

انهمرت دموع حنين أمام والدتها التي اتسعت عيناها من الدهشة واقتربت أكثر من ابنتها وسألتها بخوف : مالك يا بت في ايه ؟ قلقتيني عليك انطقي.

مسحت حنين دموعها وحاولت أن تتماسك قدر الإمكان : مش مبسوطة يا ماما ، موجوعة طول الوقت وحاسة ..

صمتت لتسأل والدتها بتردد و بلاهة : حاسة بايه ؟ قولي ؟

نظرت لعيني والدتها وتشجعت : حاسة اني بغتصب كل يوم ، مش ده

قاطعتها والدتها بغضب وأكملت عنها : مش ده اللي كنتِ متخيلاه صح ؟ ما أنا قلتلك ألف مرة فوقي من الوهم اللي انتِ عايشة فيه ، نبهتك وعرفتك ان الواقع غير الخيال ، ده الواقع عيشي الواقع اللي ياما هربتِ منه بأغانيكِ ورواياتك وأفلامك الرومانسية ، ده اللي كنت خايفة منه انك تتصدمي كده ، حاولت أمنعك بس ربنا يسامحه أبوكِ اللي سابك تعيشي في خيال واديكِ اهو من يومين في الواقع دبلتِ بالشكل ده.

استمعت حنين لوالدتها بصدمة وأغمضت عينيها ؛ فهي في غنى تام عن لوم وعتاب والدتها ، لم تخيلت أن الوضع سيتغير الآن بعد زواجها ؟! فوالدتها عملية منذ أن وعت على الحياة ، هذه هي أفكارها وقناعتها ، استمعت بصمت حتى انتهت والدتها من وصلة العتاب واللوم فتمتمت : انتِ مش فاهمة حاجة يا ماما.

تمالكت صابرين أعصابها وتكلمت من بين أسنانها بغضب : فهميني ، قوليلي عمل ايه غلط ؟

رفعت حنين رأسها وتشجعت وحاولت أن تتذكر أسباب غضبها وتسردها في نقاط ولكن نظرات والدتها وغضبها وتراها للغاية ونطقت بأول ما خطر ببالها : تعرفي ان ليلة فرحنا أول ما رجع اتخانق مع أخته وكان هيضربها ؟ وليه ؟علشان كلمت واحد في الفرح! مجرد كلام.

قلبت شفتيها بامتعاض : وفيها ايه لما يربي أخته ؟ ما تلاقيها تستاهل القتل مش الضرب بس ، انتِ مالك انتي يزعق لأخته ولا يضربها ؟

تراجعت يائسة ؛ فوالدتها لن تتغير أفكارها أبدا ، صمتت للحظات ثم هتفت حين تذكرت صديقتها : تخيلي كمان شبه طرد هايدي وأخوها لما جت تزورني ؟ قالها اني نايمة ولما سألته مين قالي بكل بساطة هايدي وانه مشاها وانه مش عايز صحاب والكلام ده .

انتظرت وقوف والدتها باعتراض وتوعدها ولكن صدمت مجددا حين تكلمت والدتها بهدوء : انتِ اتجوزتِ و وضعك اختلف وهايدي لازم تفهم وضعك دلوقتي وتقدره ، مابقاش بالفعل ينفع تقولي صاحبتي وانتيمتي والحوار ده ، عندك بيتك وهو أولى بوقتك ، حياتك اتغيرت يا حنين ولازم انتِ كمان تتغيري معاها ، انتِ بقيتي مسئولة عن بيت وزوج وبكرا يكون في عيال كمان ، يعني مابقاش عندك وقت للصحاب والخروج والدلع وكل ده ، بت انتِ ، أنا مش فاضية للدلع بتاعك ده وجوزك له حقوق وفرض عليكِ تعمليها ، انتِ كلك على بعضك ملكه ، ده حتى ربنا قال انه لو شرع السجود كان أمر الزوجة تسجد لزوجها فاهمة ولا لا؟

أومأت برأسها بصمت ؛ فذلك كان اختيارها هي وتلك هي والدتها ، انتبهت على والدتها تسألها : المهم دلوقتي كله تمام ؟

رفعت رأسها بحيرة : كله ايه اللي تمام ؟

عقدت حاجبيها بضيق : أقصد العلاقة بينكم كله تمام ؟ يعني خلاص بقيتِ مراته وكله تمام؟

تنهدت حنين بوجع فذلك أكثر ما كرهته وعبرت عن كرهها : ده أكتر حاجة كرهتها ومش قادرة أتقبلها أبدا ولا قادرة أتقبله هو ، هو مش بيهتم بيا ، زي ما يكون وظيفة وبيأديها وخلاص ، أنا مش عارفة ازاي الناس

بتقول ....

قاطعتها والدتها بقوة: قصدك الروايات بتقول ، قصدك الأفلام ، بيعظموا المشاعر وتتخيلوا انكم هتطيروا فوق السما وتتصدموا بالواقع ! على العموم ده صعب في الأول بعد كده هتتقبليه ، المهم اعقلي كده يا حنين واوعي تشمت فينا الناس ، اكبري بقى شوية وانشفي وحافظي على بيتك وجوزك .

قاطعتهما طرقات خفيفة لتدخل حور بعدها بحذر : ينفع أدخل ولا الاجتماع المغلق ده لسه ما خلصش؟!

ابتسمت حنين لأختها : تعالي يا حور ، ادخلي يا قلبي.

جلست حور بجانب أختها وهتفت بحماس : أخيرا اتجوزتِ يا حنين وأكيد عايشة قصة حب زي ما كنتِ بتتمني صح ؟

صمتت حنين بحزن ولم تستطع إجابة أختها وهربت من عينيها بينما وقفت والدتها تهتف بضيق : أختك فاقت من أحلامها وعرفت ان الواقع غير الخيال. أنا طالعة برا لأبوك، حصليني يا حور.

تركتهما وراقبتاها بصمت لحين إغلاقها الباب فأمسكت حور يد أختها بشك: حنين طمنيني عليكِ ، انتِ مش مبسوطة مع أمجد ؟

أجابتها دمعة من عيونها سقطت رغما عنها فمسحتها حور بسرعة بلهفة: انتِ بتعيطي يا حنين ؟ للدرجة دي مش مبسوطة.

مسحت حنين آثار دموعها بسرعة وحاولت أن تبتسم لأختها : لا بس انتم وحشتوني يا حور ومفتقدة حياتي وسطكم ، الجواز مسئولية ماكنتش متخيلاها كده ، بعدين برضه زي ما ماما قالت الواقع غير الخيال ، كنت عايشة في خيال واسع أوي ودلوقتي نزلت لأرض الواقع.

تمتمت حور بتفهم وعتاب : ياما قلتلك بلاش الأغاني الرومانسية دي وخصوصا كلمات دي هي في الأغنية بتقولك مش معاها غير كلمات ، هتعملي بيها ايه الكلمات ؟!

حركت رأسها بتأكيد وشرود : كان عندك حق يا حور ، دي مجرد كلمات بتنتهي وبتتنسي ، المهم يا قلبي طمنيني عنك أخبارك ايه ؟ وهايدي كلمتك أو قالتلك أي حاجة؟

سألتها بحيرة : هايدي هتقولي ايه يعني ؟

إقتربت حنين منها وأمسكت يدها : عايزاكِ تكلميها وتعتذريلها عني هي ومعتز ، هايدي جت وأمجد قالهم اني نايمة ومشاهم وأنا اتفاجئت بتصرفه ده.

وقفت حور بغضب : ايه قلة الذوق دي؟! المفروض تقولي لبابا يزعقله، ولا أنا هقوله.

همت أن تتحرك لكن حنين أمسكت يد أختها بسرعة تمنعها : لا اوعي يا حور ، أصلا قلت لماما وهي شايفة ان ده حقه واني حياتي اتغيرت ولازم أتقبلها ، المهم كلميها بس واعتذريلها .

أومأت حور بموافقة على مضض : ماشي بس يا حنين لازم تاخدي موقف من أمجد وبلاش توافقي على كل كلامه كده ، لازم يكونلك شخصية وقوية كمان ، بلاش الضعف ده والانكسار .

قاطعتهما طرقة وتبعها دخول أمجد : هتفضلوا لوحدكم كده كتير ؟ ما تطلعوا نقعد مع بعض كلنا.

رسمت حور ابتسامة مصطنعة : وماله نطلع يا جوز أختي.

خرجت حور تتبعها حنين ، إلا أن أمجد أمسك ذراعها يوقفها وهو يراقب ابتعاد حور فهمس لزوجته بشك : أختك مالها بتبتسم من غير نفس كده ليه ؟ انتِ قلتيلها ايه عني ؟

سحبت ذراعها بغضب : هقولها ايه يعني ؟! ماقلتلش حاجة عنك كنا بنتكلم أصلا عن البيت وعن جامعتها

وبعدين هي يادوب داخلة أصلا.

نظر إليها بتمعن ثم سألها : ومامتك ؟ قلتيلها ايه ؟ وقعدتوا لوحدكم ليه ؟

تنهدت بنفاد صبر وهتفت بضيق : واحدة بنتها لسه متجوزة مش طبيعي تسألها أخبارها ايه وعاملة ايه مع جوزها ؟!

سألها باهتمام : وقلتيلها ايه انتِ ؟

ابتسمت بتهكم : ما تقلقش طمنتها وقلتلها كله تمام ، بعدين ماما عملية وتفكيرها عملي .

تركته وخرجت وهو يراقبها مبتسما ؛ فهي لم تشكيه أبدا أو ربما بدأت تتقبل أفكاره ومعتقداته وحماته ستساعده بالتأكيد فهي كما قالت زوجته عملية وتفكيرها عملي للغاية .

راقب عبد القادر ابنته وصمتها وابتسامتها التي لا تتخطى شفتيها وراقب كذلك زوجها المبتسم وراوده شعور لا إرادي بكره تجاه أمجد ، تعجب من سر ذلك الشعور؛ فلم يكرهه الآن ؟! لم يغمره ذلك الشعور ويكبر بداخله إحساس أن ابنته غير سعيدة أبدًا؟!

وقف فجأة ليتعجب الجميع من وقوفه فراقب نظراتهم ثم هتف بابنته بجدية : عايز أقعد مع بنتي لوحدنا .

وقف أمجد احترامًا له ولكن أوقفه بصرامة : بقول لوحدنا ، تعالي يا حنين .

توتر أمجد ونظر لزوجته بتحذير فتدخلت صابرين لتلطف الجو قليلا : ارتاح يا أمجد هو انت مش عارف ان عبدو روحه في حنين؟! أصلا ده هيتجنن انها سابت البيت واتجوزت ، انت عارف يا حبيبي الأب بقى وبنوته اللي مهما تكبر بيشوفها صغننة وبضافير لسه .

ابتسم أمجد بتوتر : اه طبعا يا ست الكل عارف

صمت وبداخله خوف يتزايد؛ فلربما تخبر حنين والدها بإحساسها وشعورها بالحزن ولربما يصر عبدالقادر على أخذ ابنته فما التصرف وقتها ؟

جلس عبدالقادر أمام ابنته وأمسك وجهها بحب : قوليلي ليه مش حاسك مبسوطة ؟ كنت متخيل اني هاجي ألاقيك بتنطي من الفرحة وتفضلي ترغي وما تبطليش رغي أبدا ، كنت متخيل وردة مفتحة مش كده ؟ مالك يا حنين ؟

فكرت حنين أن تفتح قلبها لوالدها وتخبره بصدماتها مرة تليها الأخرى ولكن تذكرت تعب قلبه ومرضه وتذكرت والدتها وتنبيهاتها ، تنهدت بأسف وابتسمت ابتسامة باهتة : بابا أنا كويسة بس انت واحشني أوي ، شغلي واحشني – أحست من نظرات والدها أنه لا يصدقها أبدا فحاولت أن تضيف بعض المشكلات التي سيتقبلها - بعدين الجواز مسئولية ماكنتش متخيلاها ، مطلوب مني فطار وغدا وعشا وغسيل أطباق وتنظيف بيت وغسيل هدوم ونشرها ومكواة ، أيوة أمجد بيساعد بس عمالة أفكر لما ننزل الشغل هنعمل ايه ؟ أو أنا هعمل ايه ؟ هعمل ايه يا بابا ؟

تنهد والدها بارتياح؛ فإن كانت تلك هي مشكلتها فالوقت كفيل بها فتمتم بهدوء : حبيبتي دي بقت مملكتك وانتِ مسئولة عنها ومع الوقت هتعرفي تدبري أمورك ما تقلقيش ، كل الحاجات دي بسيطة الوقت هيعودك عليها ، المهم يا حنون أمجد عامل معاكِ ايه ؟ مبسوطة معاه ؟ هو اللي كنتِ بتتمني تعيشي معاه ؟

حاولت جاهدة أن تمنع دموعها فوالدها أبدا لن يقبل دموعها أو حزنها أو مجرد إحساسه ، ابتسمت وأومأت برأسها بشرود: هو بيحبني فوق ما تتخيل يا بابا ، أيوة تفكيره مختلف شوية بس بيحبني وده المهم صح ؟

لم تخدعه أبدا ابتسامتها الكاذبة؛ فهو يرى دموعها التي تجاهد لمنعها ، تنهد بحيرة فلربما هي تفتقده في حياتها كما يفتقدها هو ، لابد أن يتقبل بأن ابنته كبرت وتركت بيته وأصبح لها بيتها الخاص بها ، أومأ برأسه :

أيوة صح بس برضه مهم يا قلبي انك انتِ كمان تحبيه ، ايد لوحدها ما تصقفش وحب من طرف واحد ما بينفعش .

أسندت رأسها على كتفه هربا من عينيه وتمتمت بكذب : أنا بحبه يا بابا وانت عارف ده من بدري ، ايه اللي هيتغير دلوقتي يعني ؟

جلس برفقتها قليلا قبل أن يجبر نفسه على الوقوف لتركها بمفردها برفقة من اختارته زوجا لها .

أخيرا انصرفت عائلتها وودعتهم بدموع تغمر وجهها قد كبتتها طويلًا ولم تعد تستطيع منعها أكثر ، انتظر أمجد انصرافهم وبعدها أمسك ذراعها ليدخلها غرفتهما بعنف : أبوكِ كان بيقولك ايه وبتقوليله ايه ؟ انطقي .

جذبت ذراعها بعنف وصاحت : انت بتعمل كده ليه ؟ ليه مهتم أوي باللي أقوله لأبويا أو لأمي ؟ عمال بتحقق معايا كده ليه ؟

أمسك ذراعها مجددًا وقرب وجهه منها بتحذير : مهتم لان صورتي مهمة قدام الكل ، مش عايز أي حد يتكلم كلمة في حقي ، فأكيد لازم أهتم باللي هتقوليه عني قدامهم ، سيادتك لازم تحفظي مكانتي قدامهم.

تمتمت بتهكم : ما تحفظ نفسك بتصرفاتك قدامهم!

سألها بغضب : قصدك ايه بقى إن شاء الله ؟ هو انا لو ما بحبش أسمع الموسيقى أو أرقص مع سيادتك تبقى تصرفاتي مش عاجباكِ؟

ثارت هي الأخرى بنفاد صبر : لا طبعا أنا بتكلم عن عنفك وقسوتك وعصبيتك اللي عمالة على بطال ، بتكلم عن أوامرك اللي ما بتنتهيش ، بتكلم عن معاملتك ليا وكأنك اشتريتني عبدة هنا ليك مش زوجة.

أكد هو بثقة: أنا فعلا اشتريتك والزوجة بتكون ملك لزوجها.

استنكرت بيأس : ملك بالحب والرحمة مش بالاوامر والعصبية والعنف.

كور قبضته وهو يجاهد نفسه فقال بتهديد : انتِ لحد دلوقتي ما جربتيش العصبية ولا العنف يا حنين ونصيحة مني بلاش دلوقتي تجربيهم لأنك هتشوفي وش تاني مختلف ليا.

ضحكت بوجع : ما جربتهوش ده بجد ؟ امال الوش اللي قدامي دلوقتي ده ايه ؟ الوش اللي شوفته يوم فرحي مع أختك كان ايه ؟ قال ما شوفتش غضبه قال!

أمسك ذراعها ليجبرها على مواجهته بعنف: كل ده ولا حاجة يا حنين واسألي أميرة ولا أمي عن عصبيتي شكلها ايه وانتِ تفهمي قصدي كويس.

سحبت ذراعها مجددًا وهي تبعده عنها بقوة: ساعتها صدقني هسيب البيت وأمشي بعد إذنك.

تركته وتوجهت لسريرها ليلحقها ويوقفها وقد تغيرت ملامحه كليًا ليحل الرعب والحب مكان الغضب : انتِ بجد ممكن تسيبيني يا حنين ؟ انتِ مش عارفة أنا بحبك قد ايه ؟ انتِ ليه بتتعمدي تضايقيني وتعصبيني وبعدها تلوميني؟

اتسعت عيناها من دهشتها لسرعة تغيره من قمة الغضب لذلك الوجه اللامعنى له أبدًا .

اقترب منها يقبلها فشعرت بالنفور وحاولت إبعاده عبثًا ولكن هي ملكه كما أكد ويؤكد كل ليلة .

***

صمت غريب سيطر على سيارة عبدالقادر طوال رحلة رجوعهم ، فكل غارق بأفكاره .

حور قد كرهت أمجد ولعنت غباء أختها وأحلام يقظتها التي دمرتها وخدعتها؛ لقد كانت طباعه واضحة لها

من البداية وحبه لفرض سيطرته وغيرته العمياء ، نعم كانت واضحة لها ومهما حاولت فتح عيني أختها إلا إنها كانت مسلوبة الإرادة تدفن رأسها في الرمال كالنعام .

صابرين لامت ابنتها وغباءها فبالنسبة إليها مازال أمجد كما تسميه (عريس لقطة) لابنتها ، مازلت مميزاته تلمع أمامها ، دعت الله أن يهدي ابنتها المجنونة الحالمة بعشق مجنون لا وجود له في الحياة ، ليتها منعتها من صغرها ، ليتها أصرت ومنعت زوجها من حنانه المفرط وحبه الزائد ؛ فالبنت لابد لها من قسوة والدها، لامت نفسها كثيرا وعاتبتها على تهاونها وتساهلها ومطاوعتها لتصرفات ابنتها .

بينما عبد القادر بداخله يوقن بأن ابنته ليست سعيدة أبدا ، أمجد لا يسعدها ولكن لم ؟ ما عيبه ؟ نعم هو متملك نوعا ما ولكن ابنته كانت تحلم بذلك الزوج الذي يخطفها على حصانه الأبيض ويضعها بمملكته ألم يفعل أمجد هذا ؟ لقد أخذها لمملكته فما سر تعاستها ؟ هل أخطأ في تشجيعها بأن الحب موجود بالفعل ؟ أكانت زوجته محقة بأنه سيدمرها بحنانه وحبه ودعمه لها ؟

وصلت العائلة وتوجه كل منهم إلى غرفته ، جلست صابرين أمام زوجها : ساكت ليه يا عبدو كل ده ؟

نظر لزوجته مطولا قبل أن يسألها بحذر: حنين قالتلك ايه ؟ وليه مش مبسوطة مع جوزها ؟

توترت زوجته وحاولت أن تبتسم وتتكلم بلامبالاة : مفتقدة أبوها ودلعه هيكون ليه يعني ؟ عبدو بنتك اتجوزت وبقى عندها بيتها ولازم تعرف تقف على رجليها وتمشي أمور بيتها لوحدها فيا تساعدها تعمل ده يا تبعد عنها واوعى تخرب عليها

نظر لزوجته بصدمة فمن تتهمه بخراب بيت ابنتها؟ أبوها؟ حرك رأسه برفض : أنا أخرب على بنتي ؟ ليه بتقولي كده ؟

وقفت غاضبة : ماهو لما تفهمها ان الحياة حب في حب وان الراجل المفروض يقول شعر طول النهار لمراته ويجيب ورد وهدايا ويشغل مزيكا تبقى بتخرب عليها ، الحياة مش كده ومافيهاش وقت لده وأمجد دكتور وبكرا يرجع شغله ونبطشياته وهي هتيجي تعيط وتشتكي انه بيهملها ولا انه مشغول ولا انه نبطشي تقدر تقولي هتعمل ايه ؟ ها ؟

أولاها ظهره بغضب من اتهامها ؛ فهو أبدًا لن يدمر حياة ابنته ولكن هو أب يتمنى لها السعادة فتحدث بدفاع: هي مش هبلة ولا عبيطة متخيلة الحياة وردية للدرجة دي.

صاحت صابرين غاضبة : لا هي حالمة وهبلة للدرجة دي ، وانت جواك عارف ده كويس ، عارف أنها هتتصدم بالواقع وبرضه فضلت مغمض عينيك . عندي فضول أعرف يا عبدو هتعمل ايه دلوقتي ؟ ازاي هتساعد بنتك تقوم ببيتها ؟ جوزها راجل كويس وأخلاقه عالية ومحترم والكل شهدلك بده يا ترى بقى لو سيادتها جتلك بكرا واشتكتلك منه هتعمل ايه ؟ وده هيحصل بكرا ، بعده ، بعد شهر ، مهما الفترة تطول مع انها مش هتطول بس بنتك هتيجي وتعيط وتشتكي انها مش قادرة تتحمل ؟ عندي فضول أعرف هتعمل ايه ساعتها ؟ هتقوم بدورك كأب خايف على مصلحة بنته وينصحها تتحمل وتعيش؟ ولا هتكون حالم زي بنتك وتقولها تعالي يا حبيبتي في حضني وهدي بيتك وأنا هجوزك سيد سيده وتقعدها في حضنك ؟

راقبت صمته وصدمته في كلامها ولكن واجبها كأم أن تحمي ابنتها حتى لو من نفسها وأحلامها ، راقبته وتمتمت بتعقل: بتمنى انك انت كمان تفوق قبل ما تدمر بنتك بأيديك .

تركته وهو يؤنب نفسه ويتساءل أهو أخطأ مثلما تقول زوجته في تربيتها ؟!

***

في الجامعة يجلس معتز برفقة صديقه المقرب حمزة يحكي بغضب عن زيارته لحنين ومقابلة زوجها له ولأخته بينما يستمع نادر وهو غير مستغرب أبدا من رد فعله؛ فلقد فهم أمجد من أول مرة قابله بها .

لاحظ اقتراب حور فابتسم و وقف يستقبلها وتبعه معتز الذي وقف بغضب ومتجهم الملامح .

سلمت حور عليهما وراقبت معتز وترددت أتعتذر كما طلبت أختها أم تتركهما وتنصرف بصمت ؟!

بعد أن تحركت لتنصرف بالفعل تراجعت ونظرت لمعتز بإحراج : أنا عرفت بزيارتكم لحنين انت وهايدي .

أشاح بوجهه بغضب دون أن ينطق حرفا فأكملت هي باعتذار : حنين قالتلي وطلبت مني أكلم هايدي وأعتذرلها على تصرف أمجد.

هنا صاح معتز غاضبا : ده بني آدم قليل الذوق أصلا ، أنا مش عارف ايه اللي عجب أختك فيه؟!

وافقت حور معتز في رأيه لكنها لن تعترف بذلك أبدا أمام أحد فردت بدفاع : ده رأيها وده اختيارها وهي حرة فيه وبعدين ده جوز أختي اللي بتتكلم عنه فياريت ...

قاطعها حمزة بهدوء : حور هو ما يقصدش يغلط فيه هو بس متضايق من تصرف الدكتور معاه ، يعني اللي عارفه انكم أصحاب من سنين وهو بيعتبركم زي أخواته أكيد .

ابتسمت حور بعملية : أنا فاهمة ومقدرة زعله وعلشان كده وقفت وكلمته وبعدين هو متضايق من أمجد بيزعق فيا أنا ليه ؟ أنا بس بنقل رسالة حنين مش أكتر

أشاح معتز بوجهه بينما أكمل حمزة : هو عارف ده كويس ، المهم طمنيني عنك أخبارك ايه ودراستك أخبارها ايه ؟

استمر حوارهما حتى تدخل معتز في الحوار بعد أن تمالك غضبه واتصل بأخته وكلمتها حور واعتذرت منها .

أغلقت هايدي الهاتف مع أخيها وشردت في صديقة طفولتها حتى انتبهت على دعاء تحدثها : قلت ايه معلش ماأخدتش بالي ؟

ابتسمت دعاء بتفهم وهي تلاحظ مراقبتها لمكتب صديقتها . بقولك كلها كام يوم وإجازتها تخلص وترجع تنور مكانها تاني .

ابتسمت هايدي بحزن فبداخلها تشعر أنها خسرت صديقتها.

لاحظت دعاء ابتسامتها الباهتة فسألتها بتعجب : مالك يا هايدي ؟ في ايه مضايقك يا قلبي ؟

احتارت هايدي في أن تخبر دعاء بزيارتها أم تحتفظ بذلك لنفسها ؟ وبعد تردد دام للحظات ابتسمت بمجاملة: مفيش بس زي ما قلت مفتقداها اوي ، بعدين حاسة اللي بتتجوز دي خلاص بتنسى أصحابها .

تعلقت عيناها بدعاء منتظرة منها أن تطمئنها بأن صداقتهما لن تنتهي أبدا وبالفعل نفت دعاء بسرعة : ليه تنسى أصحابها ؟ بالعكس ده كتير علاقتهم بتكون أقوى وأقوى وبيقربوا أكتر ويمكن بكرا ربنا يرزقك بابن الحلال ويصاحب أمجد وتفضلوا مع بعض العمر كله .

ابتسمت هايدي ولكن بداخلها يقين أن ذلك محال ، فهي أبدا لن تتزوج بشخص يقبل بمصادقة أمجد ، نعم شخصية أمجد لن تتناسب أبدا مع الشخصية التي ترسمها لزوجها في خيالها.

لاحظت دعاء اقتراب إحداهما من زوجها وجلوسها أمامه وتابعت هايدي نظراتها فابتسمت رغما عنها ومازحتها : مين المزة اللي مع جوزك دي ؟

ازداد عبوسها و وقفت : بجد مزة ؟ أروح بقى أنا وأعرف مين دي

انسحبت قبل أن تنطق هايدي بحرف وراقبتها بابتسامة لذلك الحب البسيط الذي لا يفتر أبدا.

لاحظ سمير وقوف إحداهما فوق رأسه فرفع راسه وتعجب حين رآها فوقف بسرعة بدهشة: دينا ازيك ؟ عاملة ايه وخالتو أخبارها ايه ؟

ابتسمت دينا وهي تمد يدها وتضعها بيده : بخير يا ابن خالتي ، كنت معدية من قدام البنك فقلت أدخل أسلم عليك.

ابتسم لها بعملية وهو يشير للكرسي أمامه لتجلس : اه وماله ، تحبي تشربي ايه ؟

ترددت قبل أن تقترح : ما تيجي نتمشى برا شوية ونشرب أي حاجة في أي كافيه؟

تعجب لجرأتها وقبل أن يجيبها وصلت زوجته تحمل ملف ما : سمير المدير عايز ..

قطعت جملتها وكأنما صدمت بوجود تلك الفتاة : سوري ما أخدتش بالي ان معاك عميل.

وضح سمير بسرعة : لا دي مش عميل دي دينا يا دعاء بنت خالتي ، انت عارفاها

ركزت دعاء في ملامحها قليلا قبل أن تبتسم بتصنع : اه افتكرتها بس ما شاء الله كبرت مرة واحدة كده ، كانت مفعوصة آخر مرة شوفتها - أكملت بتهكم-كانت بمريلة وبفيونكات .

رسمت دينا ابتسامة مصطنعة ونظرت لدعاء من أخمص قدميها لرأسها بتهكم : كنا بقى يا طنط- نطقت طنط بتأكيد لتضايقها وأكملت- معلش بقى كبرنا وعجزناكم يا طنط.

كررتها ثانية بتأكيد ليتزايد غضب دعاء وتنظر لزوجها الذي لا حول له لكنه هب ليتدخل : ما قلتيش يا دينا تشربي ايه ؟ خليني أنادي مسعد .

رفضت دينا وانسحبت بعد قليل هربا من حصار دعاء؛ فهي لن تترك زوجها أبدا فريسة لغيرها .

راقبتها دعاء حتى ابتعدت بينما يراقبها زوجها بتوتر وخوف من رد فعلها أو ضيقها .

التفت دعاء لزوجها بنظرة لوم فبادرها هو بإمساك يدها باعتذار : دعاء أنا....

قاطعته بحزن : أنا ورايا شغل بعد إذنك.

تركته دون أن تعطيه فرصة ليبرر وجودها ، جلس على مقعده وهو شارد تماما؛ فزيارة ابنة خالته لم تكن صدفة أبدا وكذلك زيارة خالته نفسها ، تخيل زوجته لو علمت بما تخطط والدته ، فكيف يحافظ على شعور زوجته من مخططات والدته ؟!

أميرة في جامعتها شاردة معظم الوقت أو بالبيت تغيب عن جامعتها ولكن حين تذهب تهرب من كل أصدقائها وتجلس بمفردها محطمة ، ضائعة ، تحلم بذلك اليوم حين تفك قيودها وتهرب من أسرها ولكن للأسف تلك مجرد أحلام ، انتبهت على صوته يهتف بلهفة : أخيرا شوفتك يا أميرة ؟! من يوم الفرح مختفية ليه كده ؟ ايه اللي حصل ؟

وقفت أميرة تلملم كتبها بتهرب: أنا ورايا سكشن بعد إذنك يا أحمد.

أوقفها بسرعة بعتاب: ما تصدينيش بالشكل ده وقوليلي حصل ايه ؟

صمتت لفترة ثم صاحت فجأة بقهر وبدموع تنهمر : حصل انه شافك بتتكلم معايا وعرفني كويس اني تحت سيطرته لحد ما يموت حد فينا ، ممكن بقى تسيبني في حالي ليكون بيبعت حد يراقبني ويقتلني في البيت؟!

حاول إيقافها لكنها ترجته بعينيها قبل حديثها : أرجوك يا أحمد ابعد عني .

تركته واقفا مكانه في حيرة تامة فكيف يمد يده بالمساعدة إن كان صاحب الأمر لا يطلبها أو لا يريدها ؟

***

في تلك الشقة الجديدة وقف إيهاب متأملًا ما رسمته يداه وابتسم بفخر ، ثم تلفت حوله قليلا وشرد للحظات متسائلا: أمن الممكن في يوم من الأيام أن يمتلك شقة خاصة به ويرسم بها ما يريده أو تشاركه حبيبة ما فيها ؟

تنهد بحزن ؛ فهو يعلم أن ما يفكر به ضربا من الجنون؛ فهو بالكاد يكفي بيته وأخوانه ، نفض رأسه ليبعد تلك الأفكار و الأحلام فمن مثله لا حق له بالأحلام .

أمسك فرشاته وبدأ يكمل الرسمة ورغمًا عنه تذكر تلك الفتاة في مدرسته التي لم يعطه القدر ولو فرصة واحدة ليتعرف عليها ، لقد فكر آلاف المرات بالوقوف أمامها وتقديم نفسه لها لكنه كان يتراجع في كل مرة ، وحينما استجمع قوته واقترب منها وعبر لها عن حبه ومشاعره التي سرعان ما بادلته إياها خطف القدر منه والده واضطر لترك جامعته حينها أدارت له ظهرها بنفس سرعة حبها وأخبرته أنها فتاة جامعية ولن ترتبط إلا بشخص مثلها جامعي وتركته بكل بساطة ، نفض رأسه مجددًا من أفكاره وذكرياته وعاد لواقعه ؛ هو صاحب مهنة بسيطة مسئول عن والدته وأخوانه ، فمن سيقبل بظروفه تلك ؟ أو السؤال الأفضل أهو قادر على تحمل مسئولية شخص آخر بجانب من برقبته ؟!

ابتسم بوجع؛ فالإجابة واضحة وضوح الشمس ، تنهد بحزن وأغلق باب الذكريات والأفكار وانتبه لما يعمله حتى قاطعه نداء طلعت فنظر إليه بتساؤل: خير يا أسطى عايزني ؟

ابتسم طلعت وأشار له بالاقتراب منه وراقبه حتى وقف أمامه منتظرا لأوامره فابتسم : خير يا ابني ؟ أنا عندي موضوع مهم عايز أقولهولك بما اننا لوحدنا هنا.

استحوذ الأسطى على انتباه إيهاب بالكامل وتوتره أيضا فقال: خير اتفضل

ربت على كتفه يطمئنه : اطمن يا ابني خير أكيد ، بقولك أنا هبيع شقتي القديمة .

ازداد تعجب إيهاب وحرك رأسه بحيرة : وبعدين ؟ أنا ايه علاقتي بده ؟

ابتسم الأسطى ووضح بهدوء : عايزك انت تاخدها.

اتسعت عيناه من الدهشة؛ فهو منذ دقائق تمنى ذلك والآن يعرضه عليه رب عمله ؟! لكنه عبس مجددا ؛ فمن أين له بثمن تلك الشقة ؟

راقبه طلعت ولاحظ ابتسامته التي تبعها عبوسه وتمتم : فكر بصوت عالي يا ابني ، متردد ليه كده؟

تنهد إيهاب ووضح بهدوء : لا أبدا مش حكاية متردد ، شوف يا أسطى أنا والله فرحت انك فكرت فيا وبلغتني بس آسف مش هقدر آخدها ربنا يبارك لصاحب نصيبها ، اعرضها يا اسطى للبيع .

هم بتركه ليتوجه لعمله ولكن أوقفه طلعت ممسكا ذراعه بإقناع: يا ابني دي فرصة مش هتتكرر تاني ليك ، الشقة أنا مش محتاجها وانت أولى من الغريب ، بعدين لو على الفلوس فبراحتك يا إيهاب ، ادفع على أقل من مهلك.

بصيص من الأمل يبرق في نفسه لكنه حرك رأسه برفض : يا اسطى ازاي ؟ تعال نفكر بصوت عالي ، أنا يادوب بكفي مصاريف كليات مازن وهبة ومصاريف البيت فازاي أشتري شقة ؟ بالعقل كده ؟

اقترب الأسطى منه وهو مازال ممسكا ذراعه : إيهاب يا ابني أنا مش بعتبرك من العيال اللي شغالين معايا أنا بعتبرك ابني وأبوك الله يرحمه كان زي أخويا وأكتر وانت عارف ده كويس.

تمتم بهدوء : عارف والله وكفاية أوي اللي انت بتعمله معانا ، انت مش مضطر أبدا تديني شقة يا اسطى ، اللي بتعمله كفاية.

تنهد طلعت بإرهاق : عارف أنك هتعبني معاك – فكر للحظات وأكمل- هات مقدم للشقة على قد ما تقدر ، يعني في حدود ١٥ ولا عشرين ألف وبعدها هعملك قسط وهخصم من يوميتك وبكده هتسدد تمنها على كام سنة ، بس ساعتها هيكون عندك شقة تبدأ فيها حياتك يا إيهاب ، كلها كام سنة ومازن يتخرج وهو يشيل شوية وانت تشوف نفسك بقى ، أنا نصحتك وانت فكر وهستنى منك رد.

حاول إيهاب إيقافه لكن أشار الأسطى له بالصمت وأكمل : فكر يومين ولا تلاتة وابقى رد عليا .

أنهى كلامه ثم تركه وحيدًا لأفكاره ولم يستطع مطلقًا صرف ذلك الموضوع من أفكاره.

وصل بيته شاردًا ولاحظت والدته شروده فاقتربت منه بتساؤل: واد يا إيهاب مالك متنح كده ليه يا حبيبي ؟ فيك ايه ؟

انتبه لوالدته وحاول تخيل رد فعلها حين يخبرها بما يشغل تفكيره، فتراجع عدة مرات وتردد في إخبارها وهي تراقبه بحيرة تزداد كل لحظة حتى أصبحت لم تتحمل المزيد فصاحت به بحنق : يا واد وغوشتني في ايه انطق وسرحان كده ليه ؟

قرر إخبارها وما سيحدث قد يحدث: الاسطى طلعت عارض عليا آخد شقته القديمة.

راقبته والدته لعدة لحظات ثم انفجرت به بعنف: قطعت قلبي من الخوف وفي الآخر ده اللي شاغلك ؟

وقفت لتبتعد ولكن أمسك يدها بحذر: يا أمه أنا عايز اخد الشقة دي .

جذبت يدها والتفت إليه لتنفجر بوجهه ولكن تراجعت أمام نظراته وجلست مجددا لكنها نطقت بتهكم واضح : تاخدها ماشي يا إيهاب ، هنجيب فلوسها منين ؟ لو معاك قولي يا حبيبي ؟

تنهد أمام نظراتها وتهكمها : المشكلة بس في المقدم يا أمه وهو هيقسط الباقي عليا واحدة واحدة.

سألته بسخرية : وكام المقدم اللي عايزه الاسطى ؟

تجاهل سخريتها وأجابها: عايز ١٥ ولا عشرين مش هيدقق معايا هو.

راقبته لعدة دقائق ثم وقفت مبتعدة وهو يضيح بمحاولة إقناع : يا أمه دي فرصة ....

قاطعته غاضبة : كفاية بقي يا إيهاب ، كفاية ، هنجيب منين المقدم ده ها؟ روح اسرقلك سريقة ولا أقولك تعال نشحت أنا وانت وأخواتك

أخفض رأسه بحزن وهو يستمع لسخريتها بينما هي تكمل بلا مبالاة لشعوره – ولا أقولك شغل أختك رقاصة وهتجيبلك دول في ليلتين ولا ...

صاح بغضب: ولا حرف زيادة يا أمه ، خلاص اسكتي ، حقك عليا أنا غلطان اني فكرت شوية في..

لم يستطع إنهاء جملته فترك المكان غاضبا بينما هي صاحت خلفه بتأكيد: أيوة غلطان علشان بتحلم ، الحلم للي زينا حرام يا إيهاب ، ده احنا بنشاهد كل يوم يخلص تروح قايلي عايز شقة ؟!

أغلق الباب بعنف خلفه كي لا يستمع للمزيد وتوجه لمكانه الخاص ، جلس تحت النجوم ينظر للسماء متسائلا بقلة حيلة: ما ذنبه ليتخلى عن حياته وأحلامه كلها ؟

بالأسفل جلست قدرية غاضبة من ابنها وتفكيره وقاطع أفكارها خروج ابنتها لتهمس : أمه ، هو إيهاب راح فين ؟ طلع فوق ؟

صاحت بنزق : أكيد طلع فوق هيروح فين يعني ؟!

جلست بجانب والدتها بلوم: إنتِ ليه بتقسي عليه كده يا أمه؟ ده احنا مالناش غيره .

صاحت والدتها بغضب : بت انتِ مش ناقصاكِ الحكاية ، قومي فزي من جنبي .

حاولت تهدئتها : يا أمه من حقه يفكر في مستقبله ويحاول ....

قاطعتها والدتها بتهكم : مستقبله ؟ مستقبله يا هبة ده لما يكون حر نفسه مش انتِ وأخوكِ متعلقين في رقبته ، هو نصيبه كده وحظه كده ، انتِ فاكراني مبسوطة بزعله وكسرته كده ؟! بس مش بايدي حاجة أعملها ، روحي شوفي مذاكرتك وسيبيني في حالي .

ترددت هبة ثم بهدوء مدت يدها لأذنها وخلعت حلقها وأعطته لوالدتها : خدي ده بيعيه واديه لإيهاب ، الفرصة دي لو ضاعت منه مش هيقدر يعوضها أبدا ، الاسطى طلعت هيديهاله مساعدة وعمره ما هيطالبه بفلوس وهنساعد كلنا مع إيهاب ، هحاول أوفر من مصروفي ومش هطلب غير اللي أحتاجه وأكيد مازن كمان هيعمل كده ، بس خليه يعمل حاجة لنفسه.

فكرت والدتها مطولا ثم تمتمت : سيبيني لوحدي .

دخلت هبة لغرفة مازن وأخبرته بكل ما دار وانتظرت موافقته لها لكنه ابتسم بسخرية : شقة ؟ ده أنا باخد كورس بالعافية تقوليلي شقة ؟! قومي يا بت شوفي وراكِ ايه وبلاش تضييع وقت في كلام فارغ ، قال شقة قال .

صاحت بغضب : لولا إيهاب كان زمانك انت اللي سيبت جامعتك وطلعت اشتغلت أقل حاجة تعملها اننا تساعده في حاجة بسيطة زي دي .

صاح بغضب هو الآخر : أساعده ازاي يعني؟ أسيب كليتي وأطلع أشتغل ؟ ولا أروح أدهن الحيطان معاه ؟ تقطيني بسكاتك يا بت واطلعي برا.

هتفت قبل أن تخرج بحنق: تقلل مصاريفك على قد ما تقدر وبلاها خروجات مالهاش لازمة وتضحك عليهم وتقول مشروع ولا بحث وتطلع تقول لماما وتحاول تقنعها توافق وإلا هقول لإيهاب ولأمي انك بتطلب الفلوس علشان تطلع تسهر بيهم مع أصحابك.

أمسك ذراعها بغضب وهمس بتوتر : وطي صوتك يا واطية لأمي تسمع ، أنا يادوب خرجت كام مرة ، وبعدين حتى لو عملت ده برضه هيجيب فلوس المقدم منين ؟

أصرت على موقفها : اعمل ده الأول وبعدها ربنا يسهل.

تحت ضغطها وتهديدها خرج مازن لوالدته وأخبرها أنه موافق لشراء إيهاب الشقة ومستعد لتخفيض نفقاته ولكن صرفته والدته بسرعة فنظر لأخته رافعا يديه باستسلام وابتسم بعد أن انصرف فلقد هرب من تهديد أخته .

***

راقب سمير زوجته طوال النهار ولاحظ هروبها منه ، حتى وضعت أخيرا ابنته على سريرها وجلست بجانبها شاردة تراقبها وتفكر في حماتها وإصرارها على تزويج ابنها مرة أخرى بغيرها ، تساءلت أهي مخطئة في رفض زواجه مرة أخرى لأجل الإنجاب مجددًا ؟ أليس من المفترض أن تحمد الله أنه رزقهما بابنتهما رغد فغيرها يتمنى مجرد الإنجاب .

أغمضت عينيها بتعب من حربها المستمرة للحفاظ على زوجها .

همسة خاطفة باسمها سمعتها ففتحت عينيها دون أن تلتفت لزوجها الذي اقترب و وضع يده على كتفها هامسا : تعالي برا خلي رغد نايمة .

بعد تردد للحظات وقفت وتبعته للخارج وجلست أمامه بصمت ، راقبها قليلا وهو يرتب أفكاره قبل أن

ينطق : هتفضلي ساكتة كده كتير ؟ من ساعة ما رجعنا من الشغل وانتِ ساكتة، اتغدينا وانتِ ساكتة والوقت كله ساكتة ، كلميني ، اصرخي ، عاتبي، قولي أي حاجة ، المهم ما تفضليش ساكتة.

تقابلت نظراتهما ولمعت الدموع بعينيها وباغتته بسؤالها المباشر والصريح : انت عايز تتجوز تاني ؟

اتسعت عيناه من الدهشة ؛ فهذا آخر ما توقع أن يسمعه يوما منها فهتف ينفي باستنكار : أتجوز ؟! أنا أتجوز يا دعاء ؟ ليه بتسألي سؤال متخلف زي ده ؟

أصرت دون أن تقطع نظراتهما: جاوبني يا سمير .

حرك رأسه باستنكار وهو يضرب كفا بكف : لا حول ولا قوة إلا بالله ، استهدي بالله يا بنتي ، جواز ايه ونيلة ايه اللي بتتكلمي عنهم دول ؟ دعاء أنا مبسوط في حياتي وبحبك والمفروض انتِ عارفة ده كويس ومش محتاجة تسمعيه مني ، أنا كنت فاكر نفسي راجل كويس وبيتي دافي وفيه حب كفاية وأنا زوج كويس .

تمتمت هي بحيرة : انت فعلا راجل كويس وزوج كويس ليه بتقول كده ؟

هتف بضيق : لان لما مراتي تسألني إذا كنت عايز أتجوز غيرها ولا لا يبقى أكيد هي مش حاسة بحبي ليها وأنا فشلت أعرفها قد ايه بحبها .

مسحت دمعة فرت من عينيها رغما عنها : أنا عارفة انك بتحبني بس برضه عارفة ان نفسنا نخلف تاني و عارفة...

قاطعها بغضب : وربنا ما أرادش نخلف تاني خلاص ربنا يبارك في بنتنا ويحفظها ونحمد ربنا انه رزقنا بيها .

حركت رأسها بيأس وهي تشرح : أنا حامدة ربنا بس مش هدفن راسي تحت الرملة وافترض ان كل حاجة كويسة ، سمير أنا عارفة ان مامتك عايزاك تخلف ولد يشيل اسمك وعايزة تجوزك دينا بنت خالتك ، وعارفة ان دي مش أول عروسة تختارهالك.

استمع إليها بهدوء ثم أمسك يدها ونظر لعينيها مباشرة : دعاء حبيبتي أنا مش هدافع عن أمي أو أحطلها أسباب ومبررات لان تصرفاتها واضحة ، بس انتِ عارفة أنا بحبك وبعشقك وعارفة اني مبسوط في حياتي معاكِ وحاسس اننا سعداء مع بعض ومش ناقصنا حاجة ، صدقيني أنا مش ناقصني حاجة وأنا معاكِ هنا في بيتي ، انتِ بقى لو ناقصك حاجة أو مش مبسوطة قولي؟

تمتمت بحب : أنا مبسوطة معاك يا سمير وبتمنى أفضل معاك عمري كله بس مامتك...

قاطعها وهو يمسح دموعها بابتسامة: مامتي على عيني وعلى راسي بس مالهاش دعوة بحياتنا ، سيبيها تفكر زي ماهي عايزة لكن خليكِ واثقة فيا شوية، ثقي اني هعرف أحافظ على بيتي وحياتي معاكِ .

لاحظ الخوف في عينيها فابتسم مؤكدا بوعد : ما تخافيش يا دعاء أنا أعرف كويس أوقف أمي ، مش هسمحلها تتمادى في الموضوع ده ، ثقي فيا أكتر من كده ، اتفقنا ؟

أومأت برأسها موافقة فاقترب منها يضمها لقلبه وهو يوعدها بحبه اللا نهاية له .

استسلمت لعناقه وهي تتساءل هل سيقدر فعلا على إيقاف والدته أم أنها أقوى من أن يوقفها ؟!

***

(٧)

قرر أصدقاء حنين زيارتها في بيتها لمفاجأتها وبعد تردد طويل وافقت هايدي على الانضمام إليهم ، استقبلتهم حنين بدهشة من وجودهم ولكن سرعان ماتحولت دهشتها لفرحة كبيرة بزيارتهم وحاولت الترحيب بهم قدر الإمكان ولكن لم يُخفَ أبدًا ضيق زوجها أو كرهه لهذه الزيارة ، لكنه تقبلها على مضض دون أن ينسى توضيح أن مثل تلك الزيارة لن تتكرر أبدًا ، راقبت هايدي صديقتها وتيقنت من حزنها برفقة زوجها كذلك دعاء وزوجها لم يخفَ عنهم ذبول صديقتهم ، أما سارة فقد اهتمت بتفاصيل بيتها وزخرفته وتمنت في نفسها بيتًا مثله ، نظرت لهشام بابتسامة وكأنما تخبره بعينيها أن ذلك ما تتمناه ، أن يجمعهما بيت مثل هذا وحياة مثل تلك ، بادلها هشام ابتسامتها باصطناع ثم تابع حديثه .

انتهت الزيارة وانتظر أمجد زوجته التي أغلقت الباب واستندت عليه بإرهاق؛ فلقد تعبت من رسم الابتسامة الزائفة على وجهها ، لاحظت اقتراب أمجد فابتعدت عن الباب وألقت بجسدها المتعب على أريكتها المفضلة وراقبته يقف أمامها معترضًا بغضب : يكون في علمك زيارة زي دي تاني مش هقبل ومش هتتكرر، فاهمة ؟

ابتسمت بتهكم : أعتقد انك وضحت ده كويس وكلهم عرفوه ، وما تخافش اللي بيدخل بيتك مرة ما بيكررهاش تاني .

أمسك ذراعها بعنف ليوقفها : قصدك ايه ها؟

حاولت تخليص ذراعها دون جدوى وهتفت بلا مبالاة من غضبه : قصدي انك بتقابل الناس وحش وما عندكش آداب الزيارة أو ما بتفهمش في الذوق أو بتتعمد تخلي الناس كلها تكرهك ومش فاهمة انت بتعمل كده ليه ؟

صاح بعنف : مش انت اللي هتعلميني الذوق وبعدين مش هقبل ان مراتي يكون ليها صحاب رجالة ويجوا يزوروها في البيت كمان ولو ده عندك قلة ذوق فأنا قليل الذوق فعلًا.

نفت بغضب : أنا أعرف حدودي كويس في التعامل وفي فرق بين الصحوبية والزمالة ، الناس اللي جم النهارده مجرد زمايل في الشغل ومجاملة ليا ولبابا مش أكتر ومش هيكرروها تاني بس انت طلعت قدامهم قليل الذوق وما بتفهمش و....

قاطعها بصفعة على وجهها ألجمتها تمامًا و صرخ بها بقسوة: اخرسي ، يطلعوا مين دول ها؟ وبعدين اتكلمي بأدب وإلا قسمًا بالله يا حنين ...

مصدومة ، ذلك هو إحساسها ، مصدومة ولا تستطيع حتى التفكير ، أوصلت لمرحلة الضرب والإهانة ؟

لاحظ أمجد صدمتها فأمسك ذراعها بعصبية : حنين انطقي ردي عليا.

انتبهت ونظرت إليه وجذبت ذراعها بعنف وهي تبعده عنها باحتقار ممزوج بالدهشة: هي وصلت انك تمد ايدك عليا يا أمجد ؟

حاول الاعتذار أو تبرير فعلته بتوتر : انت نرفزتيني وبعدين مش ...

لم تستمع للمزيد وتركته متوجهة لغرفتها لتجهز حقيبة وتفتح خزانتها تخرج ملابسها لتضعها بها ، فحاول أن يوقفها بصدمة : انت فاكرة نفسك بتعملي ايه ؟

تمتمت بغضب : كله كوم ومد الايد ده كوم تاني ، بابا لا يمكن يسمح بده ، أنا عارفة اني غلطت بجوازي منك بس مش هكمل غلطتي دي .

أوقفها تمامًا وأمسك ذراعيها بتوسل. أنا آسف يا حنين ، حقك عليا يا قلبي ، انت عارفة اني بحبك و...

حركت رأسها برفض ونفور؛ فهي لم تعد تُخدع بمثل ذلك الكلام المعسول وقاطعته بتهديد : كل حاجة وليها حدود ، ابعد عن وشي .

أمسكها مجددا مقبلا يديها ورأسها وهو يكرر اعتذاراته : سامحيني ، حقك عليا ، مش قصدي أبدا أزعلك يا حنون انتِ عارفة ده كويس ، أنا بحبك ومش هقدر أبدا أستغنى عنك ، سامحيني ومش هتتكرر تاني ، أنا بغير عليكِ وانتِ عارفة ده كويس ، مش هتتكرر تاني أبدا يا حنين ، سامحيني أرجوكِ بس اوعي تسيبي بيتي ، علشان خاطري .

استمرت محاولاته لمصالحتها وهي تغمض عينيها بوجع وتحاول تخيل رد فعل والدتها ، أمن الممكن أن تعيدها ثانية لبيته أم ستقبل انفصالها ؟

للأسف كانت الإجابة واضحة جيدًا أمامها ، والدتها لن تقبل أبدا انفصال ابنتها بعد أقل من شهر على زواجها .

فلتتحمل أفضل من عودتها رغمًا عنها .

***

استمر إيهاب في صمته وانعزاله عن بيته وقدرية تراقبه وهي تفكر أتقبل شراءه لتلك الشقة أم لا ؟

أخيرا قررت كسب ود ابنها ؛ فهو سندها ولا تقبل أبدا بخسارته ، أوقفته قبل أن يتوجه لسطحه وهروبه : استنى يا إيهاب عايزاك .

وقف أمامها صامتًا منتظرًا طلبها : هتعمل ايه في موضوع الشقة وقلت للاسطي طلعت ايه ؟

تمتم بفتور : ماقلتش لسه ، هو قالي كام يوم ورد عليا ولا سألني ولا كلمته .

أمسكت يده لتجلسه بجانبها بتفكير: طيب قولي هندبر ازاي قسطها لو دبرنا مقدمها؟

انتبه هنا لوالدته ولمحة أمل برقت أمام عينيه فرد بلهفة: هو قال انه هيخصم من يوميتي والفلوس اللي باخدها في كل شغلانة بالمعقول يعني ، المهم المقدم ، هنعمل فيه ايه ؟

تنهدت باستسلام وأخرجت منديلًا صغيرًا من جيبها و وضعته أمامه لينظر إليها بتعجب : ايه ده؟

فتحت المنديل وهي تنظر لمحتوياته : غويشتين كنت شايلاهم لوقت عوزة ولا أجهز بيهم أختك ، وده حلق أختك قلعته وقالت أبيعه ومعايا قرشين كده ، المهم هيكملوا المقدم .

نظر لمحتويات المنديل واستمع لوالدته وإحساس غريب بالخذلان يغمره ؛ هي تملك كل تلك الأموال وتخبئ للمستقبل بينما هو يسلم إليها كل ما يملكه يوميا وحين احتاج بخلت عليه بما تملكه؟ أمن المعقول أنها تملك المزيد ولا تخبره ؟

انتبه على صوتها تكمل : هنزل الليلة أبيعهم وأشوف هيعملوا كام ؟

نظر إليها مطولًا وكأنما يراها لأول مرة متعجبا من جهله أو سذاجته أم ذلك حقها وهو خاطئ بأفكاره ؟

انتبه مجددًا على يد أخته خلفه تربت على كتفه وهي تهنئه مقدمًا بابتسامة: إن شاء الله يا هوبا الشقة دي هتكون وش السعد عليك وتعوضك عن كل اللي فات وتلاقي بنت الحلال اللي تستاهل تشاركك فيها.

ابتسم إيهاب لأخته وقبل يدها التي على كتفه : ربنا يخليكِ ليا يا هبة وإن شاء الله أقدر أعوضك عن الحلق ده وأجيبلك ....

قاطعته أخته بسرعة : تعوضني ايه يا هوبا ؟ ده أنا مهما أعمل لا يمكن أقدر أعوضك عن كل اللي بتعمله

معايا كل يوم ، كفاية ان عمرك ما قلتلي لا ومش مخليني ناقصني حاجة أبدا .

ابتسم بحب : ياريت بإيدي كنت عملت أكتر من كده .

بادلته ابتسامته ومازحته : لا يا عم بس دلوقتي عايزينك تبص لنفسك شوية ويلا جدد الشقة دي ودور على عروسة تنورها والحق عيشك يومين .

قبل أن ينطق إيهاب ويوقف أحلام أخته المستحيلة سبقته والدته تعنف ابنتها : يشطب ايه ويدور ايه اتجننتِ انتِ؟ مش الأول تخلصوا كلياتكم انتِ وأخوكِ ؟ ده غير انتِ مين هيجهزك ها؟ وبعدين انتِ شايفة انه حمل فتح بيتين ؟ ده احنا فاتحين ده بالعافية

- أمسكت ذراع ابنها وهي تكمل بأنانية – واد يا إيهاب سيبك من كلام الهبلة دي لسه يا حبيبي فاضل كتير، أنا طلعت كل اللي حيلتنا علشان الشقة دي مش هنعرف نجيب غيرها تاني والاسطى طلعت مش هيستعجلنا غير كده ماكنتش وافقت أبدا ، قبل ما أبيع خلينا متفقين ان أخواتك يخلصوا جامعتهم وأختك تجهزها قبل ما تفكر تتجوز انت

رسم ابتسامة مزيفة على وجهه حاضر يا أمي ما تخافيش مش بفكر أتجوز أصلا ، يلا هسيبكم وأنزل للواد خالد ، سلام .

تركهما هربا من تلك الأفكار التي راودته، فلقد رأى جانبا في والدته يرفض تصديقه ، نعم لقد سبق وتقبل أن يحتل أخواته مركزًا أهم منه بالنسبة لأمه و وافق بالتضحية بمستقبله لأجلهما لكن أن يتحول لمجرد أداة بالنسبة لوالدته لتكمل مسيرتها مع أخواته دونه فهو يرفض ذلك ، أن تراه مجرد غايه أو وسيلة لا ابنها هو يرفض ذلك ، أن تستنزفه بتلك الطريقة وتخبئ من خلفه كل هذه الأموال لأجل ولديها فهو يرفضه بقوة ، أن تشترط عليه ألا يفكر أبدًا بنفسه إلا بعد أن ينتهي دوره لأخويه فهو يرفض ذلك .

انتظر منها أن تبتسم وتدعو له مثلما فعلت أخته وهو بنفسه كان سيخبرهما أنه لن يفكر بنفسه أبدًا قبل أن يوصل أخواه لبر الأمان لكن دون أن تشترط هي عليه ذلك .

انتبه لوصوله المقهى ولإشارة صديقه خالد فتوجه إليه وجلس أمامه بذهن شارد ومزاج متعكر ، طلب صديقه له كوبًا من الشاي وانتظره يبدأ حديثه ولكن طال انتظاره فقطع هو شرود صديقه: ايه يا ابني وصلت لايه كده ؟ ما تفوق وتقعد معايا شوية.

انتبه إيهاب فتمتم بحمل ثقيل : ما أنا اهو قاعد معاك يا ابني .

ضحك خالد : بأمارة ايه ؟ ده أنا بتكلم من نص ساعة وانت يادوب سمعت آخر كلمتين ، المهم هتعمل ايه في موضوع الشقة ؟ أنا بص معايا حوالي ٣٠٠٠ جنيه خدهم ينفعوا ويسندوا معاك ايه رأيك ؟ ولو معايا أكتر ماكنتش هبخل بهم عليك المهم دلوقتي الشقة دي ما تروحش عليك.

ابتسم بامتنان لصديقه وربت على يده : تسلم يا غالي قدها طبعا ، بس مش محتاجهم دلوقتي ، خليهم معاك .

أصر خالد وحين هم بالحلفان على صديقه أوقفه إيهاب : يا ابني دبرت المبلغ خلاص شايلينك لعوزة والله .

هنا اتسعت عينا خالد من الدهشة : دبرتهم ؟ ازاي ومنين ؟

اختفت ابتسامة إيهاب وحل محلها الشرود وهو يتمتم : أمي دبرتهم.

زادت حيرة صديقه : أيوة دبرتهم منين يعني ؟ ولا مؤاخذة أمك هتجيب مبلغ زي ده منين يعني ؟ ورثت ولا ايه ؟

تنفس إيهاب بضيق وأخرج أنفاسه على مراحل وهو يسترخي في كرسيه ويرتشف من كوب الشاي أمامه

وهو محدق به : كانت بتحوش من ورايا.

ساد الصمت للحظات ثم قطعه خالد بلوم : مش قلتلك يا إيهاب وما صدقتنيش؟ قلتلك لا يمكن كل اللي بتقبضه ده يكون بيتصرف كله على البيت ، انت دلوقتي بتاخد يومية كبيرة وكل شغلانة بتعملها وكل شقة بتاخد مبلغ حلو مش بطال ، استحالة كل ده يكون بيتصرف وأقولك أمك بتحوش من وراك تقولي لا، اهو شوف حوشت قد ايه؟

حرك إيهاب رأسه بضيق فيكفيه لومه لنفسه فصاح بتهكم وغضب : يعني كنت عايزني أعمل ايه يعني ؟ أقولهم لا مش صارف ولا شوفلكم حد تاني يصرف عليكم ؟

تراجع خالد وهدأ لرؤية صديقه الغاضب فقال بتوضيح: ماقلناش كده يا إيهاب بس انت أولى بالفلوس دي ، يعني انت حوش لنفسك ، ما تنفضش نفسك كل يوم لأمك ، اديها اللي يكفي البيت وانت اللي بتجيب معظم طلبات البيت يبقى ليه انت تاخد منها ؟ ما تخلي الفلوس معاك انت واللي محتاج حاجة هو اللي يطلبها منك .

تنهد بضيق : يعني الصح اني أخلي أمي هي اللي تيجي تطلب مني ؟ ده الصح يا خالد برضه ؟

فكر صديقه للحظات ثم اقترح : اقسم البلد نصين يا إيهاب ، اديها جزء وخلي معاك جزء المهم يكون معاك فلوسك انت الخاصة ، بكرا لو حبيت تخطب ولا بلاش خطوبة لو حبيت تشتري قميص حتى بدل ما تروح تتحايل على أمك يكون معاك فلوسك ، شوف نفسك شوية ، وبعدين ما مازن أخوك يساعد معاك ، ما تنزله في الصيف يشتغل الأربع شهور دول وحتى يجيب مصاريفه ، معظم العيال بتعمل كده ، انت نفسك عملت كده وأبوك عايش .

فكر قليلًا قبل أن يغمغم بعدم اقتناع بما يقوله : بس هو دكتور يا خالد ، دكتور هينزل يشتغل ايه ؟

صاح باستنكار : يشتغل أي حاجة هو الشغل عيب ولا حرام ؟ يشتغل جرسون في أي مطعم ، يجي معانا باليومية والاسطى مش هيقولك لا المهم يتلحلح بدل قعدته دي ياكل ويشرب ويستناك تيجي ياخد منك قرشين وينزل يتسرمح مع أصحابه.

تمتم إيهاب بحسن نية : خليه يعيش سنه يا خالد وبعدين بكرا يتخرج ويفتح عيادة وهو يشيل الحمل وأنا أشوف نفسي شوية.

ضحك خالد بتهكم : موت يا حمار ، لسه فاصله يجي سنتين وساعتها هيقولك يكون نفسي وأكون عيادتي وبعدها هيقولك هتجوز وبعدها يقولك بيتي أولى ، ابقى استنى يا إيهاب وبكرا أفكرك بكلامي ده..

حرك رأسه برفض قاطع ولكن داخله يشوبه الشك : لا لا مازن ما يعملهاش ، هنشوف بكرا هيعمل ايه ؟

أمسك خالد كوبه ونظر إليه بإصرار : هنشوف يا إيهاب ، هنشوف .

***

في بيت هشام ظلت هدير تنتظر عودة زوجها بعد أن ارتدت أرقى الثياب وأعدت أجمل مائدة لاحتفالها بعيد ميلاده ، نظرت للمرة التي لا تحصى في ساعتها وأمسكت هاتفها لتهاتفه لكنها تراجعت؛ فهي تريد مفاجأته عند عودته .

انتظرت بجانب شرفتها وعينيها مسلطة على الطريق علها تلمح سيارته تقترب .

بينما كان هشام مع سارة قد أوقف سيارته فتلفتت سارة حولها بحيرة : احنا فين يا هشام كده ؟

ابتسم وهو يطفئ سيارته : مش قلتلك النهارده يوم خاص وهنحتفل بيه أنا وانت مع بعض ؟

ترجل من سيارته لتلحقه سارة وتتعلق بذراعه وتدخل معه ذلك المبنى الشاهق وتراقبه وهو يختار رقم الطابق في المصعد فسألته بفضول : رايحين فين بقى ما تقول ؟

ابتسم وهو يقبلها بخفة : هتشوفي دلوقتي .

وقف المصعد في الدور العاشر وخرج وهو يمسك يدها ويتوجه تجاه شقة ما ويخرج مفتاحها فتراجعت خطوة للخلف وهي مندهشة: دي شقتك ؟ احنا ما اتفقناش نروح شقق يا هشام مع بعض !

ابتسم وهو يشجعها : يعني مش عايزة تشوفي شقتك شكلها ايه ولا ايه ؟

ابتسمت بطمع ولكن تراجعت بسرعة : يعني أهلك جوا صح ؟ أخواتك وباباك ومامتك وكلهم صح ؟

تنهد هشام بنفاد صبر : أكيد لا طبعا بقولك شقتي أنا تقولي أخواتك ومعرفش ايه ؟!

همست بتردد : بس يا هشام مش هينفع .

قاطعها بضيق : هتدخلي تشوفي شقتنا ولا نمشي وخلاص ؟

فكرت في الكثير من الاحتمالات وحين وصلت أنه لربما يتركها تراجعت ثم إنها قادرة تمامًا على حماية نفسها ، نعم هي قادرة فرفعت رأسها بحزم. هدخل معاك يلا.

ابتسم وهو يوليها ظهره ليفتح الباب وإحساس بالانتصار يغمره ، أفسح لها المجال لتدخل خلفه وهو يضيء الأنوار فانبهرت هي بما أعده وهتفت عندما رأت العشاء معد على المائدة وعليها قالب حلوى صغير والشموع حوله: ايه ده كله ؟ بعدين مين عمل كل ده ؟

ابتسم وهو يجيبها ببساطة : عمل ايه ؟ العشا وكان مجرد اوردر والتورتة وكله وبس كلمت البواب يدخل المندوب اللي وصل الحاجة ويرصها كده ، كله بالفلوس بيخلص يا جميل .

ابتسمت وهي تردد بداخلها : فعلا كله بالفلوس بيخلص المهم يكون معاك الفلوس.

انتبهت لسؤاله : تعالي نتعشى يلا وهحاول ما أخركيش.

ابتسمت وهي تقترب منه وتجلس : ليه تورتة النهارده ؟

أجابها وهو يجلس في مكانه : النهارده عيد ميلادي .

عبست وأنبته : اخص عليك طيب ليه ما قلتليش ها ؟ المفروض أنا كنت عملت كل ده مش انت .

أمسك يدها وقبلها : وانا ايه وانتِ ايه يا قلبي ؟ مش واحد ولا ايه ؟ بعدين أنا حابب أحتفل معاكِ انت وبس وبطريقتي خلينا نحتفل .

تناولا العشاء سويا وبعدها توجها للكعكة لتقطيعها بينما وضع هو في فمها قطعة من الحلوى بيده وهي كذلك وكأنما يتقمصا دور عريسين بليلة فرحهما ، قبلها ثم ابتعد وتوجه ناحية مسرحه المنزلي وضغط على بعض الأزرار لتصدح الموسيقى الناعمة فرفع الصوت قليلًا مما جعلها صاحت كي يسمعها . الجيران هيطلبولك الشرطة .

ضحك بعدم اهتمام وهو يقترب منها : خليهم يطلبوا .

عندما ضمها ابتعدت مجددا تحذره: الصوت عالي جدا بجد.

عقد حاجبيه بضيق وأمسك الريموت ليخفض الصوت قليلا وهو يلومها : أولا الشقة فيها زي نظام عازل للصوت ، كل الشبابيك دي عازلة للصوت بعدين الصوت مش عالي للدرجة دي والأهم اني عايز أنسى الدنيا معاكِ وفي حضنك وانتِ بتفصليني كل شوية ، ممكن نتنيل نرقص مع بعض ولا ايه ؟

ابتسمت وهي تقترب لذراعيه : نتنيل نرقص .

انتظرته زوجته واليأس بدأ يتسرب داخلها رويدًا رويدًا وعندما أصبحت لا تطيق الانتظار أكثر توجهت لهاتفها وطلبته ولكن طال الرنين دون إجابة .

يئست بعد عدة محاولات فألقت هاتفها وجلست مكانها تراقب الطريق والشك الذي وصل حد اليقين بخيانة زوجها يزداد بداخلها لتنفض رأسها وتحاول نفض شكوكها ؛ فلمَ يخونها زوجها وهي تحاول باستماتة إسعاده ؟ ما الذي ينقصه ليبحث عنه مع أخرى ؟

هي دائمة الاهتمام بنفسها وجمالها وبيتها ؟ هي تهتم بحاجاته وكل متطلباته وتنفذ كل رغباته ؟ هي تحاول دائما نشر الفرحة ببيتها ولا تتعبه أبدًا بل تحاول قدر الإمكان إراحته ؟ هي تهتم بابنها وحدها وتلبي كل طلباته وحين تحتاج لمساعدة تطلبها من أخيها حتى لا ترهقه بطلباتها فلمَ بعد كل هذا ينظر لغيرها ؟

نفضت رأسها من تلك الأفكار ؛ فزوجها يعشقها وأبدا لن يخونها فلربما تعطل لأحد الأسباب أو خرج مع أصدقائه ، ستنتظره وسيبرر تأخيره حين يعود وستعذره ؛ فهي لا تملك سوى أن تعذره .

***

في بيت هايدي ظلت والدتها تنتظر وصولها وحينما دخلت توجهت بسرعة إليها تهتف بتأنيب : اتأخرتِ أوي يا هايدي أنا مش مأكدة عليكِ ما تتأخريش ؟ الناس زمانهم على وصول .

هتف والدها من خلفها : سيبي البت تاخد نفسها ، ادخلي يا حبيبة أبوكِ وريحي الأول شوية

صاحت داليا بغضب : الناس هيوصلوا وهي لسة هتغير هدومها يادوب تلحق .

ابتسمت لوالدها : ما تقلقش عليا يا بابا أنا كويسة ، حاضر يا ست ماما هدخل وأغير وبعدين يا ريت ما تأفوريش الموضوع أوي كده ده مجرد تعارف فما تكبريش الموضوع كده .

قبل أن تنطق والدتها أكد محمود بهدوء : فعلا ده مجرد تعارف يا داليا مش أكتر ، بنتك هتشوف العريس وهنشوف هنقبله ولا لا.

عبست داليا بوجه زوجها : ونرفضه ليه ؟ الولد كويس وشغله كويس و ....

قاطعها زوجها بحزم: كويس ولا لا المهم بنتك ترتاحله ، ادخلي يا هايدي انتِ .

خرج معتز من غرفته وحينما رأى أخته مازحها : هو عريس الغفلة ده لسه مجاش علشان نخلص من الحبسة دي ؟

قبل أن تنطق هايدي تفاجأت بوسادة ترتطم بوجه أخيها وصوت أمها تصرخ : يا بايخ يااللي ماعندكش دم غور من وشي دلوقتي .

ضحكت هايدي والتفت لوالدتها التي همست : وراكِ رجالة ما تقلقيش .

ألقت قبلة في الهواء لوالدتها ودخلت غرفتها وأغلقتها خلفها فاختفت ابتسامتها ؛ فكيف ستتصرف الآن وهي ترفض الزواج بمثل هذه الطريقة ؟ ماذا إن لم يعجبها ؟ وماذا إن أعجبها واتضح فيما بعد أنه يشبه زوج صديقتها ؟ كيف ستختار ؟ وكيف سترفض؟ بل كيف ستوافق ؟

أسئلة لا حصر لها أصابتها بصداع قوي فتوجهت لتأخذ قرصًا مسكنًا قبل أن تبدل ملابسها.

لحقتها والدتها بعد قليل لتساعدها بصمت ثم وقفت خلفها بالمرآة بابتسامة : انتِ أجمل بنوتة في الدنيا دي كلها .

ابتسمت لوالدتها : علشان بنتك بس .

عبست والدتها وأدراتها لتواجهها : لا طبعا انتِ جميلة ولازم تكوني عارفة انك جميلة.

توترت هايدي وابتعدت عن والدتها : عارفة يا ماما ما تقلقيش أنا مش فاقدة ثقتي في نفسي .

اقتربت والدتها : امال في ايه مالك طيب ؟

تقابلت نظراتهما: شوفتِ حنين يا ماما ؟ شوفتيها ازاي دبلت بعد ما اتجوزت , شوفتِ أمجد قد ايه كان شخص كويس ودكتور ومحترم والكل يشهد بأخلاقه بس حنين مش مبسوطة معاه ؟ حنين بتتدمر واحدة واحدة .

استمعت والدتها بهدوء ثم سألتها : هي لسه ما رجعتش شغلها ؟

نفت باقتضاب : لا لسه دي مدت إجازتها شهر تاني تقريبا . نادرا ما بتكلمني ولو كلمتني بتكون .... أنا مش عارفة بتكون ايه بس مش دي حنين يا ماما ولا دي صاحبتي .

اقتربت داليا من ابنتها و وقفت أمامها : أولا ده مش وقت الكلام عن حنين يا هايدي وثانيا عريسك زمانه على وصول وثالثا والأهم يا حبيبتي محدش هيجبرك على حاجة انتِ مش عايزاها ، احنا هنشوفه وهنتكلم معاه وهنشوف هيعجبنا ولا لأ ولو عجبنا في حاجة اسمها خطوبة نعرف الشخص اللي قدامنا ونعرف طباعه وندرسها وبعدين مفيش إنسان بيتغير في يوم وليلة أو بيتحول؛ بيكون في دلائل واحنا بنختار نتجاهلها أو ناخد بالنا منها .

تذكرت هايدي صديقتها وشكوكها التي بالفعل اختارت تجاهلها مرة بعد الأخرى ؛ لقد أعماها كلامه المعسول وتصرفاته ومحاولاته الدائمة في السيطره عليها وفسرت تصرفاته بحب وعشق مجنون؛ هي لن ترتكب تلك الغلطة ولن تعطي أعذارًا أبدًا ولن تسمح لأحد بتملكها .

***

راقبت حنين زوجها وهو يرتدي ملابسه وكم كرهته في تلك اللحظة وكرهت كل لحظة فكرت فيها بالارتباط به ولعنت غباءها ولعنت كل قصة رومانسية قرأتها يومًا ما وكل مشهد رومانسي رأته! لقد ضللوها وظنت أنها ستعيش يومًا ذلك الحب الذي طالما قرأت عنه وحلمت به .

انتبه أمجد وابتسم لها ثم توجه إليها مقبلًا وجنتها : مش هتأخر عليكِ ولولا العملية الطارئة دي ماكنتش خرجت أصلًا الليلة.

أدارت وجهها بعيدًا عنه بضيق فأمسك ذقنها لتواجهه بهدوء : اوعي تكوني لسه زعلانة مني يا حنون دي ساعة شيطان وعدت ومش هتتكرر تاني يا حبي ، خلاص فكيها بقى وخلي قلبك أبيض يا قلبي .

تركها متوجهًا لعمله وقبل أن يخرج من منزله مر على والدته وحين شاهد أخته أمرها قائلًا: بقولك يا أميرة ابقى اطلعي اقعدي شوية مع حنين بدل ماهي قاعدة لوحدها .

نظرت إليه مطولًا قبل ان تجيبه بتهكم : وده أمر جديد لازم أعمله ؟ أسلي الهانم بتاعتك ؟

نظر إليها بغضب وقبل أن يجيبها تدخلت والدتهما و وقفت بينهما تراضيه: هتطلع يا حبيبي انزل انت على شغلك أكيد وراك حالة مستعجلة طالما نازل دلوقتي وانت يادوب راجع من شوية .

نظر لوالدته بتأكيد : ورايا أيوة حالة صعبة جت العيادة المهم عايزة حاجة مني قبل ما أنزل ؟

ابتسمت وهي تنفي بحب ثم التفت لابنتها بعد خروجه تؤنبها: انتِ يا بت ما ينفعش تقوليله حاضر خالص ؟ لازم تعارضيه في كل كلمة ينطقها حتى لو طلب بسيط زي ده ؟

عقدت حاجبيها بدهشة: أنا نفسي أعرف انتِ ليه دايما موافقاه على كل تصرفاته ؟ انتِ لو بتوقفيه عند

حده من صغره ماكانش بقى كده ويمكن ، يمكن ساعتها بس كنت أقدر أحبه أو أعتبره أخ .

أمسكت والدتها ذراعها بعنف تعاتبها : تعتبريه ايه ؟ ده أخوكِ غصبا عن ألفك وكلامه يمشي عليكِ حتى لو ماعجبكيش ده الراجل وهو كبير البيت .

حركت رأسها بيأس من موقف والدتها وردت بسخرية: انتِ فعلا اللي فرعنتيه كده ، أنا بدعي ليل نهار ربنا يخلصني منكم يا يخلصكم مني .

أزاحتها والدتها بغضب : آمين يا اختي بس من هنا لحد ما ده يحصل تسمعي الكلام وتفضلي اطلعي لمرات أخوكِ وشوفي في ايه ؟ هو مش هيطلب تطلعيلها إلا لو في سبب ، لتكون تعبانة ولا حاجة، اطلعي شوفيها .

تمتمت وهي تخرج غاضبة : اهو ده اللي كان ناقصني أخدم الهانم كمان مراته .

صعدت إليها وطرقت الباب بتردد بينما حنين جالسة بالداخل فتعجبت فمن سيزورها الآن ؟

اقتربت من الباب بحذر وسألت دون أن تفتح : مين ؟

أجابتها بغضب من الخارج : أنا أميرة - أضافت بتهكم- أخت جوزك لو نسيت اسمي .

فتحت الباب وابتسمت : أهلا فاكراكِ طبعا ، اتفضلي .

دخلت بتردد وهي تتلفت حولها ولاحظت مدى نظافة بيتها وتمتمت بداخلها: يعني مهووس بالنظافة هنا كمان يا أمجد ؟ ولا هي اللي مهووسة زيه ؟

انتبهت لصوت حنين : تشربي ايه ؟

ابتسمت بتكلف : لا شكرا أنا بس طلعت أطمن عليكِ ، أمجد عدى وقال أطلع فقلت يمكن تكوني تعبانة ؟

ظهر الحزن بابتسامة حنين وهي تنظر للأرض وتتمتم : أنا كويسة مش تعبانة ، فلو طالعة علشان كده بس أنا كويسة .

لوهلة همت أميرة بالخروج ولكن لم تخفى عليها أبدًا لمحة الحزن التي ظهرت في تعابير حنين وكلامها فتراجعت وأضافت : مش ده بس قلت أقعد معاكِ شوية ونتعرف على بعض أنا لحد دلوقتي ماأعرفكيش ومعرفش غير اسمك وبس .

ابتسمت حنين وهي تشير لأميرة بالجلوس : طيب اقعدي نتعرف على بعض .

حاولت حنين إخفاء حزنها وعلاقتها المتوترة بأمجد ولاحظت أميرة ذلك فلم تحاول الضغط عليها أبدًا للحديث عن أخيها بل تقبلت تحفظ حنين بالحديث عن زواجها ثم إنه من المتوقع ألا تتحمل شخصية مثل حنين شخصًا مثل أمجد أخيها .

احتفظت كذلك أميرة بأفكارها لنفسها؛ فلن تخبر حنين أبدا بكرهها هي الأخرى لتحكمات أخيها ولمدى قسوته ، فهي لن تخبر زوجته أبدًا بعيوبه طالما هي لم تتحدث بسوء عنه فهي أيضًا لن تتحدث بسوء عن أخيها .

لربما يصبحا صديقتين في يوم ما ولكن ليس اليوم .

***

هشام في شقته مع سارة وتمادى في لمساته وقربه منها وازدادت قبلاته ومتطلباته ثم حملها بين ذراعيه لتستفسر بنظراتها فابتسم : هفرجك على باقي الشقة يا قلبي .

توجه مباشرة لغرفة النوم وحين فتح بابها تململت سارة بين ذراعيه بقلق فأنزلها بينما قالت هي : أنا

اتأخرت وعايزة أمشي يا هشام .

أمسك ذراعها يقبله بلهفة : قلبي لسه بدري وبعدين أنا متفق معاكِ من امبارح اننا هنخرج مع بعض وقلتلك ظبطي الدنيا مع البيت عندك .

ابتعدت خطوة بتوتر: ظبطتها وخرجت معاك اهو لحد دلوقتي .

تهكم هشام : دلوقتي اللي هو ايه أصلا ؟ بعدين انتِ ليه محسساني ان والدك ووالدتك ناس عاديين ودقة قديمة ؟ مفيش حد دلوقتي بيحكم على بناته في مواعيد بدري أوي إلا إذا كان دقة قديمة أو ناس عاديين ، بلدي يعني !

هنا ضغط هشام على الوتر الحساس فتراجعت بسرعة : هو معنى ان بابا وماما بيخافوا عليا انهم دقة قديمة عندك ؟ بعدين أنا أصلا مش حابة الوضع ده وانت ...

قاطعها مقتربا منها بلوم مزيف: وأنا ايه ؟ بحبك وعايز كل لحظة تقضيها في حضني ؟ ده ذنبي ؟ عايز أقعد معاكِ كل لحظة وكل دقيقة وانتِ في حضني ؟ ده ذنبي يا سارة ؟ لو ده ذنبي فأنا معترف بيه وبعمله مع سبق الإصرار والترصد .

ابتسمت رغما عنها فرفع وجهها لتواجهه : حبيبتي أرجوكِ وانتِ في حضني انسي الدنيا بما فيها ، ممكن ؟

قبلها وتقدم عدة خطوات وهي تتراجع معه لتقع على السرير وحين حاولت النهوض منعها بوضع جسده بأكمله فوقها ، حاولت الاعتراض أو النهوض ولكن دون جدوى فلقد سيطر عليها تماما ، تمادى هشام وبدأ في خلع ملابسه برغبة فحاولت هي الوقوف بخوف ولكن ثبتها بحزن مصطنع: انتِ مش بتحبيني ولا ايه ؟

تمتمت بتوتر وخوف : بحبك بس مش كده يا هشام احنا مش متجوزين

نظر إليها بدهشة مصطنعة : احنا بنحب بعض وده أقوى ألف مرة من الجواز ، ماهو ممكن أكون متجوزك وما بحبكيش لكن عمري ما هكون معاكِ لو مش بحبك ، الحب أقوى من أي مسمى تاني وأي ارتباط تاني يا سارة.

حاولت الوقوف مجددًا بإصرار: بس برضه مش كده يا هشام.

عقد حاجبيه بضيق : لو قمتِ من جنبي يا سارة هعتبر كل اللي بينا انتهى - نظرت إليه بصدمة ليكمل هو بمحاولة للضغط عليها بمكر- طالما مشاعري واحتياجاتي مش مهمة أبدا في نظرك وكل اللي يهمك دبلة أو زوج وبس والحب مالهوش قيمة عندك يبقى سوري يا سارة شكلي بضيع وقتي مع واحدة ما بتحبنيش وبفرض نفسي عليها.

تمتمت بدفاع : أنا بحبك يا هشام وانت مش بتفرض نفسك عليا أبدا..

سألها بحيرة وكأنما بالفعل يحبها بل يعشقها: ولما مش بفرض نفسي عليكِ ليه موصلالي الإحساس ده ؟ ليه كل ما بقرب بتبعديني ؟ ليه كل ما بحاول أضمك بتبعدي ؟ ليه دلوقتي وأنا عايز أكون كيان واحد معاكِ ونبقى شخص واحد بتبعدي ؟ عمر أبدا ما اللي يحب يبعد عن حبيبه كده وبالشكل ده ، الحب يعني جنون ، يعني غياب العقل والمنطق ، يعني اللي بيشتهيه الحبيب ياخده من حبيبه وبكل رضى واقتناع ، الحب شعور جميل متبادل من الطرفين مش واحد عايز والتاني بيرفض طول الوقت وبيفكر في أسس وحاجات مالهاش قيمة أبدا .

ترددت سارة وزادت حيرتها : هشام أنا بحبك والله بحبك بس الحاجات دي بتحصل بين الزوجين وبس وده اللي أعرفه واللي اتربيت عليه ، ما تيجي نتجوز طيب وأنا كلي ملكك؟ بعدين انت اهو عندك شقة وكبيرة وحلوة وعندك شغلك فايه المانع نرتبط بجد ؟

توتر هشام لسؤالها للحظات قبل أن يتمالك نفسه ويقف بغضب مزيف : مش هتجوز واحدة مش بتثق فيا أبدا ، مش هتجوز واحدة بتشكك في كل تصرفاتي .

دافعت بسرعة : أنا بثق فيك جدا بدليل أني هنا اهو معاك وكل يوم معاك.

ابتسم وهو يلتفت إليها بسخرية: اه صح وعلشان كده مش بتسمحيلي أبدا ألمسك.

صاحت باعتراض : أنا في حضنك من ساعة ما دخلنا.

نظر إليها بجدية : وده مش دليل حب أبدا ، الحب انك تسلميلي روحك وقلبك وكيانك وعقلك بدون تردد وبدون تفكير زي ما أنا مستعد أسلمك روحي ونفسي .

طأطأت برأسها وهي تفكر بكلامه؛ فهي لن تسلمه نفسها بسهولة قبل أن تضمن زواجه منها ولكن كيف ؟

اقترب منها وقد أيقن أنه وصل لعقلها وبدأ بالسيطرة عليها فهمس بأذنها بمكر: شوفتِ بتفكري ازاي وعقلك اللي بيقرر ؟ طالما العقل مسيطر يا سارة يبقى ده مش حب ، القلب اللي بيسيطر لما بيحب وانتِ قلبك محتفظة بيه بعيد أوي

رفعت عينيها تواجهه بتوضيح : قلبي بيحتج على كل كلمة بتقولها وعايزة أرضيك بكل طريقة بس اللي بتطلبه مني ده صعب يا هشام - نظرت إليه وهي تلملم نفسها بتوتر - أنا اللي همشي مش انت بعد إذنك .

توجهت ناحية الباب وهو يحدق بها متعجبًا من تصرفها فكيف تمنع نفسها عنه بتلك الطريقة ؟ ظن أنه استحوذ على قلبها أولاً وهو متأكد من ذلك وأنه سلب عقلها وتملكها وأنه أقنعها بآرائه المفتعلة والكاذبة!

حاول اللحاق بها ولكن أصرت أن تذهب لبيتها بمفردها.

ألقت نفسها بأول سيارة أجرة وقفت أمامها كي تمنع هشام من اللحاق بها وتعجبت من كل تصرفاته فهي أوقاتًا تكاد تحلف انه يعشقها وأوقاتًا أخرى مثل اليوم تشعر بأنها مجرد وسيلة لمتعته لا أكثر ، تنهدت بتعب؛ فهي تريد الخلاص بأي طريقة من حياتها المعقدة .

راقبها هشام وهي تبتعد وتعجب من قوتها في مقاومته فهي أول فتاة تتعبه لهذه الدرجة مما زاد من تمسكه ورغبته بها ، أخرج هاتفه ولاحظ عدد المكالمات الفائتة من زوجته وتوتر للحظات فلم تطلبه كل هذه المرات ؟

***

انتهت زيارة عريس هايدي وبعد أن خرج هو وعائلته التفت معتز لأخته : ايه رأيك فيه ؟

كشرت هايدي وعقدت حاجبيها وهي تنظر لوالديها : انتوا ايه رأيكم فيه ؟

تعجب والدها من سؤالها : هو احنا اللي هنتجوز ولا انتِ يا هايدي ؟

زادت عقدة حاجبيها وهي تتمتم : دمه تقيل جدا .

هنا انفجر أخوها بتأكيد: ده دم أمه سم هو وعيلته ، يا ربي على الرخامة .

قطع كلامه حين أصابت وجهه وسادة ألقتها والدتها وهي تعنفه : هو في في رخامتك انت وتقل دمك حد ؟ يا زفت سيب أختك ما تقفلهاش منه.

هنا تدخلت هايدي بدفاع : لا يا ماما هو فعلا رخم جدا .

ابتسمت داليا ومازحتها : جدا يا هايدي ماكنتش طايقاه .

انفجر الجميع بالضحك ؛ فلم يتخيل أحد منهم انها هي أيضًا لا تطيقه .

أكمل معتز بسخرية: لا وكل همه انتِ بتعرفي تطبخي ولا لا؟ يخربيت كده همه على بطنه.

ضحكت داليا: ده أكل الجاتوه كله المفجوع هو وعيلته بصوا الأطباق عاملة ازاي ؟

انتبه الجميع لمنظر الأطباق فهي تلمع بالفعل وهنا هتف محمود بمرح: الظاهر عرفوا ان الجوازة كده كده بايظة قالوا نطلع بأي حاجة .

استمر المزاح والضحك لفترة طويلة قبل أن تنسحب هايدي لتدخل غرفتها وتلحقها والدتها: هايدي انتِ كويسة يا بنتي ؟

ابتسمت وهي تؤكد : أكيد يا ماما وايه اللي هيخليني مش كويسة ؟

جلست بجانبها: تكوني اتضايقتِ من العريس انه مش قد كده ودمه تقيل ، بكرا ياحبيبتي نصيبك هيجي ما تقلقيش.

ابتسمت وأكدت لوالدتها : ماما أنا مش قلقانة ومش مستعجلة .

قبلتها والدتها بحب وربتت على شعرها بحنان : ربنا يرزقك يا حبيبتي بابن الحلال اللي يستاهلك .

تركتها والدتها لتجلس هي على سريرها وتمسك هاتفها وتفكر في محادثة صديقتها المقربة وبعد تردد طويل قررت الاتصال لتحيبها جنين بسرعة : كنت لسه على بالي وكنت هكلمك .

هتفت هايدي بسرعة : وما كلمتيييش ليه ؟ طيب أنا ومش بحب أحبك بأمجد فاتتِ وقت ما يكون الوقت مناسب بالنسبة لك كلميني يا رخمة .

ابتسمت وهي تجيبها باشتياق للحديث معها : حاضر هكلمك يا رخمة انت المهم طمنيني عنك أخبارك ايه ؟

استمرت المكالمة لأكثر من ساعة فلقد افتقدتا بعضهما البعض واشتاقتا لحديثهما سويًا .

***

وصل هشام أخيرًا بيته وقبل أن يدخل كعادته وضع خاتمه في يده ودخل بهدوء شديد ليتفاجأ بالمائدة أمامه وعليها عشاء كامل معد باهتمام ويتفاجأ أكثر بقالب حلوى (تورتة) على شكل قلب وقد ذابت فوقها الشموع ولفت انتباهه هدية مغلفة فتنهد بأسف؛ لقد تذكرت زوجته بالفعل عيد ميلاده وأرادت مفاجأته ولكنه بغبائه قد أفسد مفاجأتها و أفسد ليلتها .

وقف أمام المائدة يفكر في كذبة يخبر بها زوجته كي لا تغضب منه وقليلًا من الندم يتغلغل داخله .

وكأن كل الأفكار طارت وبهتت كل الكذبات داخله وحاول دون جدوى التفكير في أي سبب يخبر به زوجته عن سر تأخره .

حرك رأسه بيأس وتوجه لغرفته ليجدها على فراشها بفستانها الرائع ليزداد غضبه من نفسه ولومه لها ، حاول النطق أو الاعتذار ولكن لم يجد ما يقوله فتوجه لحمامه لخلع ملابسه أو لربما ينفض ذكرى سارة وذكرى خيانته .

بعد أن أغلق الباب التفت هدير وحدقت بالباب المغلق ونزلت دموعها بالرغم من محاولة كبتها؛ فهو لم يهتم حتى بتبرير تأخره ، ألهذه الدرجة قد هانت عليه ؟

عادت لمكانها ونامت على سريرها ولفت يديها حولها لتواسي نفسها بنفسها ، فهي من تصر على خلق الأعذار له فلتتحمل قسوته إذن.

أحست بخروجه فأغمضت عينيها وأحست بخطواته تقترب ثم استلقائه خلفها وجسده البارد يضمها فتجمدت وحبست أنفاسها وساد الصمت لا يقطعه سوى أنفاسهما فقط وأخيرا همس هو بأذنها بندم : لو

اعتذرت ألف مرة وألف سنة مش هيكفي يا هدير عارف ومهما أقول مفيش أي حاجة هتبرر تأخيري أو غبائي بس مش عارف استنيتك بالليل تقوليلي كل سنة وانت طيب وما قلتيش والصبح برضه ما قلتيش وطول اليوم مستني تليفون منك ومفيش فاتضايقت وخرجت أسهر مع أصحابي اللي كانوا عاملين سهرة علشاني و كنت طول الوقت متضايق ومخنوق اني مش معاكِ انتِ بس برضه كنت مخنوق منك انك نسيتيني ومابقيتش في بالك أصلا لكن لو أعرف انك فاكرة ..

عرف كيف يقلب دفة الميزان وكيف ينقل تأنيبه لنفسه إليها ، فها هي تؤنب نفسها وتلومها على ظلمها له وتجد نفسها المخطئة بعدم الإسراع بتهنئته بعيد ميلاده الميمون ، فالتفتت تواجهه بصدق: لو كنت جيت كنت عرفت ، بعدين ازاي أنسى عيد ميلاد أكتر إنسان بحبه في الكون ده ؟!

تمتم بحزن : أنا ما أستاهلش أبدًا حبك ده وطيبتك دي يا هدير ، أنا إنسان سيئ جدا ، جدا وفوق ما تتخيلي .

وضعت يدها على شفته تمنعه يكمل حديثه وتمتمت بعشق: ما تقولش كده على حبيبي اللي بعشقه ، ما تغلطش فيه لو سمحت.

قبل يدها ونظر لعينيها مباشرة بحب: أنا بحبك يا هدير ، أقسم بالله بحبك ، مهما كنت غبي ومتخلف وعارف اني غبي ومتخلف بس برضه بحبك ، بحبك أوي .

ابتسمت وهي تدفن وجهها في صدره: وأنا بحبك يا هشام .

حاول طوال الليل مصالحتها أو ربما حاول التكفير عن ذنبه وخيانته لها ؛ فضميره يؤنبه على خيانتها .

فتح علبة هديته ليتفاجأ بساعة فخمة جدا أعجبته وعطره المميز وعدة هدايا صغيرة أخرى كلها مميزة وكلها أعجبته للغاية .

***

أشرقت شمس يوم جديد لتستيقظ حنين مبكرًا وتستعد ليوم جديد ، انتبه أمجد على حركتها بالغرفة وتثاءب وهو يسألها بكسل: بتعملي ايه يا حنون؟ - نظر لساعته فأكمل- لسه بدري جدا على الصحيان يا روحي ؟

أجابته دون أن تلتفت إليه وهي ترتدي ملابسها : هنزل شغلي إجازتي خلصت أصلا من أكتر من أسبوع .

عقد حاجبيه بانتباه وضيق : شغلك ؟ وليه ما اتكلمناش في الموضوع ده قبل كده ؟ وبعدين مين قال انك ....

هنا صرخت مقاطعة إياه بحدة إياك تنطق وتكمل جملتك ، كله إلا شغلي يا أمجد ، انت اتجوزتني وانت عارف اني بشتغل وهشتغل فماتجيش دلوقتي وتقول كلامك ده.

حدق فيها للحظات ولاحظ مدى غضبها وأنها على الحافة ففكر مليًا قبل أن ينطق كلماته بطريقة ملتوية : أنا كل اللي بقوله ليه ما اتكلمناش ؟ ليه ما قلتيليش امبارح مثلًا ؟

التفت إليه بتهكم : امبارح امتى؟ انت راجع من شوية وكنت نايمة

حاول الاعتراض أو إثناءها عن رأيها ولكن أوقفته بعد أن انتهت من ارتدائها لملابسها قائلة : أنا هنزل شغلي يا أمجد وده مش موضوع نقاش أصلا .

هب واقفًا بسرعة ليمسك ذراعها قبل أن تخرج : حنين .

جذبت ذراعها بعنف : قلتلك ده مش موضوع نقاش يا أمجد ده كله كوم وشغلي كوم تاني مش هتنازل عنه .

لاحظ نظرات الإصرار بعينيها فتراجع؛ فلربما يخسرها إن صمم على موقفه فتراجع خطوة وهو يرفع يديه باستسلام: كل اللي كنت هقوله استني ألبس وأوصلك .

تعجبت من تراجعه وظهر ذلك بنظراتها وهي تتمتم : مالهوش داعي انت راجع متأخر روح كمل نومك وأنا هاخد اوبر أو أي تاكسي .

رفض وهو يحاول أن يرسم ابتسامة على شفتيه : اديني دقيقتين وهكون لابس .

لم ينتظر لتجيبه بل توجه لارتداء ملابسه وهي تراقبه متعجبة من سر تغيره ، أهي محاولة جديدة منه للسيطرة عليها أم ماذا ؟ كيف يفكر؟ وكيف سيتصرف بالمستقبل ؟

لاحظ أمجد نظراتها وابتسم إليها وهو يُهدئ نفسه ؛ فالصبر هو سلاحه ، سيصبر قليلا حتى يتمكن منها ويحكم قبضته عليها وحينها فقط سيجبرها على ترك عملها .

حاولت سارة فهم هشام أكثر وأصرت على معرفة كل ما يخفيه عنها؛ فهي لن تتقبل أبدا ذلك الغموض الذي يغلفه ، لم يصر على حبها ولكن يضع العراقيل والمسافات بينهما ؟ أهي فعلًا مجرد وسيلة وغاية لإمتاعه ؟

حركت رأسها ترفض تلك الأفكار فهو يحبها ، ولكن تراجعت ؛ فإذا كان يحبها لم يرفض الارتباط بها بشكل رسمي وجاد ؟

تذكرت شكل شقته وفخامة فرشها ولم لا؟ فراتبه وحده يكفيه ، هو قادر تماما على فتح بيت والاستقرار فلم يرفض الارتباط؟ لم يصر على علاقة مشبوهة بالسر ؟

أحست أنها أخطأت حين توقعت أن التنازل هو طريقها للوصول لقلبه ولكن لا هو يتعلق بها كل يوم عن قبله

لاحظ هشام نظراتها من بعيد واستغراقها في أفكارها وابتسم إليها لكنها لم تبادله ابتسامته فعقد حاجبيه وتساءل بداخله : أمن الممكن أن تقطع بالفعل علاقتها به ؟

راقبها ليحاول أن يستشف إجابة سؤاله؛ فإن كانت تحبه لماذا رفضته بتلك الطريقة ؟ هي أيضًا غامضة مثله ولربما هذا ما يشده إليها بتلك الطريقة .

ضوضاء ما أخرجتهما من أفكارهما وتوجهت نظراتهما لمصدرها فابتسمت سارة بتهكم حين لاحظت حنين وسط الجميع وابتسامة تنير وجهها ، نظرت لهشام بغضب ثم رسمت ابتسامة عريضة قبل أن تتوجه هي أيضًا لصديقتها تهنئها بعودتها واقتربت منها ترحب بها وتعجبت حين لاحظت ذلك الحزن الدفين الذي يغمر وجهها ، فملامحها بعيدة تماما عما تخيلته؛ فصاحبتها ليست بالعروس السعيدة التي تقفز فرحًا !

***

أخيرا وصلت حنين بعد التهاني لمكتبها وجلست باشتياق تراقبها هايدي بابتسامة : حمدله على سلامتك شوفتِ مكتبك واحشك ازاي ؟

ابتسمت وهي تربت بيديها على مكتبها : كل حاجة واحشاني يا هايدي مش بس مكتبي ، بس الحمد لله اديني رجعت اهو .

ربتت على يدها بابتسامة سعيدة: نورتِ يا حبي كنت مفتقداك جدا و.

قاطعهما وصول دعاء لتجلس أمامها بعتاب مرح: اخص عليكِ زعلانة منك ، بما اننا سلمنا وزحبنا نعاتب بقى .

ابتسمت حنين بحزن وتنهدت بتعب : عاتبي يا قلبي بس قبل ما تعاتبي حقك عليا .

ابتسمت دعاء بتعجب وهي تنقل نظراتها بينهما بحيرة : حقي عليكِ في ايه يا بنتي هو أنا لسه اتكلمت ولا نطقت؟!

ابتسمت بحزن وهي تجيبها : من غير ما تقولي عارفة انك زعلتِ من مقابلة أمجد ليكم وعارفة انك استنيتِ مني تليفون أعتذر وعارفة كل اللي ممكن تقوليه أو متخيلاه بس صدقيني غصب عني .

اقتربت دعاء وأمسكت يدها حين لاحظت مدى حزنها : مالك يا حنين انتِ مش مبسوطة ولا ايه ؟ أمجد مزعلك ؟

تنفست بعمق قبل أن ترسم ابتسامة مزيفة لم تخدع أحدًا : لا يا حبيبتي بس مفتقداكم كتير ما تزعليش بس مني ده المهم اوك ؟

أومأت برأسها بحيرة دون أن تضغط عليها؛ فهي ستتكلم إن رغبت بذلك .

استمرت الأيام وأمجد ينتظر الفرصة ليمنع حنين من عملها لكنه يتراجع في كل مرة ؛ فأبوها لن يقبل أبدا أن تترك ابنته عملها دون رغبة منها فلابد أولًا من أن يقنع حنين بتركه أو يجبرها .

راقبها تجهز زيها صباحًا وحين أمسكت ذلك البنطال القصير تذكر أول مرة رآها به فاقترب منها بغضب وجذبه من يدها بعنف : البتاع ده مش هتلبسيه تاني برا البيت .

تعجبت من غضبه وأمسكت طرف البنطال تحاول جذبه من يده بحدة: بقولك ايه ...

قاطعها غاضبا : بقول مش هتلبسيه فريحي نفسك .

حين حاولت الاعتراض مجددًا تلفت حوله لتقع عيناه على المقص فجذبه بعنف وبدأ في تقطيعه وسط نظرات الذهول من زوجته التي صاحت : انت مش طبيعي أبدا انت مجنون .

أمسك شعرها بعنف : مجنون علشان مش عايز مراتي تلبس وتتسرمح ؟

حاولت تخليص شعرها من يده وهي تصيح به بألم: أنا بلبس يونيفورم وعمري ما اتسرمحت قبل كده علشان أتسرمح دلوقتي .

نظر لعينيها بغضب مذكرًا إياها بتهكم : ويوم ما جيت تقابليني كان ايه غير سرمحة ؟ ليها أي مسمى تاني ؟ مش كنت لابسة نفس البنطلون ده برضه ؟

نظرت إليه بصدمة : بتسرمح علشان قابلتك ؟ لما زنيت عليا ألف مرة ؟ تصدق فعلا أنا غلطانة ؟! غلطانة اني قابلتك واني عرفتك أصلا .

تهكم وهو يجيبها : غلطانة ولا مش غلطانة سيادتك دلوقتي شايلة اسمي وتلبسي على مزاجي وكلمة زيادة هقولك مفيش خروج أصلا برا البيت ، أنا حذرتك .

تركها لتجلس مصدومة فأمسكت هاتفها وفكرت بمحادثة والدها وطلب المساعدة ولكن تراجعت؛ فوالدها لا يعلم شيئا عن مشاكلها وقلبه لن يتحمل .

وقفت وقدماها تكادا تحملانها ترتدي ملابسها ثم خرجت لتجده بانتظارها فتمتمت بغضب : هاخد تاكسي .

قاطعها قبل أن تنطق المزيد وأخبرها بصرامة ولهجة لا تقبل النقاش : يا هوصلك يا مفيش خروج ؟

فكرت في الصراخ أو الهرب من أمامه وآلاف الأفكار المجهولة طافت بخيالها إلا أنها لم تنطق بأي منها بل تحركت بغضب أمامه ليتبعها وإحساس بالانتصار يغمره.

***

استمرت خروجات سارة مع هشام ولكن أصبحت متحفظة أكثر في تعاملاتها معه ومهما حاول الاقتراب إلا إنها تصده وسؤال واحد تبحث عن إجابته : ما المانع من ارتباطهما ؟

حتى قررت أخيرًا مراقبته وبالفعل حين نزلت من سيارته وابتعد قليلا توجهت ناحية سيارة تقف على جانب الطريق واقتربت منها لتنظر إلى السائق بتساؤل: حضرتك اوبر صح ؟

ابتسم السائق : أيوة يا فندم مستني حضرتك بقالي دقائق .

دلفت بسرعة : معلش ممكن تطلع بسرعة لو سمحت ورا العربية اللي وصلت آخر الشارع دي ؟ بس بسرعة بس علشان ما تتوهش مننا .

تحرك السائق بحيرة : خير يا فندم هو في ايه ؟

أجابته وهي تعقد حاجبيها بضيق : خير بس بسرعة بس علشان ما يتوهس ، وياريت تحافظ على مسافة بينا علشان ما ياخدش باله .

أخيرا توقف هشام أمام مقهى ودلف للداخل لتلحقه سارة بعد أن طلبت من السائق انتظارها ودخلت المقهى لتجد هشام يجلس برفقة بعض من زملائه بالبنك ، زفرت بضيق؛ فمطاردتها كلفتها الكثير دون فائدة للأسف .

غادرت المكان وذهبت إلى بيتها، وبعد وقت وصلت لتجد والدها بانتظارها فقال بتهكم : شرفت يا هانم ؟ ما بدري يا حبيلتها

حاولت تجاهله ولكن لم تستطع وخصوصًا حين أمسك شعرها بيده وهو يصرخ بعنف: أما اكلمك تقفي يا حلوة فاهمه ولا أفهمك ؟

صرخت وهي تحاول تخليص نفسها : فاهمة فاهمة .

ترك شعرها ليمسك حقيبتها وصرخ بها حين حاولت منعه بوهن : ما تبعدي يا بت واحمدي ربنا اني سايبك تشتغلي أصلا بدل ما قسما بالله أجوزك الاسطى لمعي صاحب القهوة .

تراجعت مذعورة وحدقت بوالدتها التي تراقبها من بعيد وكأنها لا تعنيها وتعجبت لم والدتها سلبية لهذه الدرجة؟ ولماذا لا تحاول منع زوجها ؟ ولكن الإجابة كانت بسيطة فإن تدخلت ستنال عقابها هي الأخرى فلهذا تكتفي بالمراقبة من بعيد .

تركها والدها بعد أن أفرغ حقيبتها واقتربت هي من والدتها ودموعها تسبقها بوجع: نفسي أعرف ازاي اتجوزت واحد زيه وازاي خلفت منه ؟

راقبتها والدتها بلا اهتمام وتمتمت وهي تتابع حلقات مسلسل ما : وريني يا اختي اللي هتتجوزيه شكله ايه وبعدها ابقي اتكلمي . بكرا يجوزك الاسطى لمعي و ...

قاطعتها بصراخ: ده أنا أقتل نفسي قبل ما أسيبكم تدمروني ، أنا هتجوز حد فوق وأمشي من القرف اللي عايشاه معاكم .

ضحكت بتهكم : بكرا نقعد علي الحيطة .

تركتها وتوجهت لغرفتها وهي تكره كل لحظة تعيشها فأخرجت هاتفها وأطالت النظر في صورة لهشام وتساءلت بتيه : يا ترى بتحبني ولا زي ما أمي بتقول بكرا نقعد على الحيطة ؟ ولو بتحبني ليه مش بتاخدني من اللي أنا فيه ده ؟ ويا ترى لو عرفت حقيقتي هتسامحني وتتقبلني ولا هتبعد عني ؟

أسئلة كثيرة دارت بخيالها دون أن تجد إجابة لها وظلت معلقة في الفراغ .

***

في جلسة نسائية التقت رقية مع أختها رئيسة وابنتها دينا وارتفع صوت ضحكاتهن نوعا ما حتى صمتت رقية فجأة وهي تستمع لشيء ما وهتفت بفرحة : اهو سمير وصل اهو خليني أدخله ياكل لقمة معانا بس يارب المقروصة مراته ما تكونش معاه لأحسن دي لازقاله زي الغرا .

فتحت الباب لتتسع ابتسامتها حينما شاهدت ابنها بمفرده فسألته وهي تنظر خلفه بفضول : أمال الهانم فين ؟

عقد حاجبيه بضيق من عداء والدته لحبيبة قلبه وتمتم بفتور : كانت مع أصحابها وبعد كده هتعدي على مامتها الأول قبل ما تيجي .

أمسكت ذراعه بفرحة ودون أن تعطيه أي مجال للرفض أو الاعتراض وجد نفسه بداخل صالة والدته فنظر إليها بعتاب عندما رأى ابنة خالته.

عاتبته خالته : طيب سلم الأول يا سمير يا ابن أختي وبعدها ابقى بص لأمك – وقفت بحزن مزيف – على العموم مش هنضايقك وهنمشي يلا يا دينا .

وقفت دينا بدورها ليهتف سمير بسرعة بإحراج : يا خبر يا خالتو ؟ والله ما أقصد. تضايقيني ايه انتِ تنوري يا ست الكل .

اقترب منها يقبلها ويعتذر منها وهي تعاتبه : أصل وشك اتقلب وبتبص لأمك هتاكلها بعينيك!

ابتسم لخالته وهو يحاول تبرير تصرفه : والله مش علشانك يا خالتو أبدا ، بس أمي ليها حركات مستفزة شوية مش أكتر والله ، بس اهلا بيكِ تنوري في أي وقت – التف لابنة خالته بمجاملة – أهلا يا دينا عاملة ايه؟

ابتسمت بعتاب : كويسة بس معنى ان خالتك تنور يبقى الغلط عندي أنا ، تحب أمشي أنا يعني ؟

نفى وهو يبتسم بتصنع : لا مش علشانك يرضه يا بنت خالتي انت عارفة غلاوتك زي أختي الصغيرة، تعمد أن ينطق بكلماته الأخيرة ليوضح للجميع مشاعره وأفكاره .

تبادلت رئيسة مع أختها نظرات استفسار لتطمئنها رقية بينما تُجلس ابنتها بجانب دينا وهي تشير ناحية المطبخ : هطفي على الأكل ، اقعد يا سمير مع خالتك لحد ما أرجع ، كمان كُل لقمة معانا طالما مراتك مش هنا.

حاول أن يعترض ولكن اختفت والدته من أمامه بينما هو فكر في زوجته ورد فعلها إن رجعت الآن ، قاطعت خالته أفكاره : إلا مراتك فين يا سمير ؟ انت قلت اسمها ايه ؟ مش عارفة ليه دايما اسمها بيغيب عن بالي ؟

تنهد بتعب وهو يحاول رسم ابتسامته : اسمها دعاء يا خالتي وهي هتعدي على والدتها لأنها كلمتها فهتطمن عليها وتيجي على طول .

استمرت أسئلة خالته إلى أن سمعت أختها تطلب مساعدتها فتوجهت إليها لتعاتبها : يا ولية دخلت مش تقومي تحصليني وتسيبيهم لوحدهم شوية ياخدوا ويدوا قبل ما عقربته ترجع ولا قاعدة وسطيهم لوك لوك لوك ؟

ابتسمت رئيسة : ما أخدتش بالي طيب ناديني انت من بدري

مازحتها : ماهو لما لقيت البعيدة مش بتفهم ناديت .

***

جلست حنين برفقة دعاء وهايدي في انتظار أمجد الذي اعتذر عن تأخره قليلا ؛ فهو في عملية وهي استغلت الوضع لتجلس برفقتهما؛ فهي اشتاقت لخروجها معهما .

استمر حديثهن لفترة ثم اقترحت دعاء : ليه يا حنين ما تحاوليش تحبي أمجد وتحاولي تلطفي الأمور بينكم ؟ يعني ليه استسلمتِ بسهولة كده ؟

سيطر الحزن على ملامحها قبل أن تجيب هايدي باندفاع : هو ما يستاهلش أصلا حبها ولا يستاهل ظفرها

اعترضت دعاء بلطفها المعهود: الكلام ده لو لسه على البر يا هايدي لكن دلوقتي هو جوزها وواجبها تحافظ على بيتها وجوزها و واجبها تزرع الحب لو مش موجود ، هي لسه في أول الطريق ومفيش حياة بتكون سهلة أو خالية من المشاكل ، الحياة كلها مطبات يا بنات مش حب وبس .

أخيرًا نطقت حنين : أنا عارفة ان الحياة فيها مطبات بس برضه لازم يكون فيها حاجة حلوة توازن المطبات دي ، أنا اتصدمت يا دعاء في أمجد وحاسة إني بكرهه أوي

أمسكت يدها بحب وتفهم : طالما كنتِ بتحبيه يبقي اديله فرصة يا حنين ، حاولي تفهميه وتقربي المسافات بينكم ، ده واجبك كزوجة ، هو معلش غيور شوية حاولي تتعودي على طبعه وممكن مع الوقت تلاقوا طريقة للتعايش مع بعض وتقدري تحبيه من تاني .

لم تستطع حنين الاعتراض فكيف تخبرها أنها تكره حتى قربه منها ؟ وتكره أنفاسه التي يتنفسها برفقتها ؟ كيف تخبرها أنها تكره كل لحظة تجمعهما سويًا ؟

لاحظت دعاء صمتها وأفكارها فأكملت: كل اللي بقوله يا حنين اديله فرصة وما تفقديش الأمل بسرعة كده .

تمتمت حنين بتردد : دعاء أنا بكره كل حاجة منه حتى

لم تستطع إكمال جملتها وخجلت بينما فهمت صديقتها ما تقصده وابتسمت بتعاطف : طالما كارهة الشخص نفسه ازاي هتتقبلي قربه منك ؟ العلاقة دي يا حنين لازم الأول يكون في حب وقبول وبنصدق الحب ده بالعلاقة دي فده بيقوي الحب وبيخلي في ترابط وتسامح لكن البداية مفقودة أصلا يا حبيبتي فده طبيعي انك تكوني كارهة كمان قربه ، حاولي تبصيله بوجهة نظر تانية مش يمكن ساعتها تحبيه وتتقبلي الحياة بينكم من تاني ؟ جربي هتخسري ايه ؟

استنكرت هايدي قائلة : وليه هي اللي تحاول تتقبل ؟ وليه هي اللي تتنازل؟ ليه دايما الست اللي بتضحي ؟

تنهدت دعاء بتعب : لان الست هي الطرف الأقوى في أي علاقة يا هايدي ، الست هي اللي بأيديها تبني أو تهد ، الست هي عماد الكون كله ، الراجل ماهو إلا عامل مساعد لكن الأساس هو الست .

اعترضت هايدي مجددًا بحدة : أهو كلامك ده يا دعاء اللي بيطمع الرجالة فينا ويخليهم يعتمدوا علينا في كل حاجة.

ابتسمت بتفهم : أنا مش قصدي أبدا أهمش دور الراجل لكن قصدي ان دايما الست بتكون أحكم في قراراتها وأقوى في التحمل ومش قصدي أبدا ان حنين تيجي على نفسها وكرامتها لكن بس تدي لنفسها فرصة تسعد نفسها بنفسها ده كل اللي بقوله ، حاولي تخلقي السعادة في بيتك يا حنين ، يعني أنا مش شايفة أمجد السيئ جدا هو بس مختلف لكن له مميزات كتيرة حاولي تشوفيها ، أنا شايفاه بيوصلك مثلا الصبح حتى لو تعبان وكان نيطشي وبيجي ياخدك ، بيجيبلك كل طلباتك وكريم مش بخيل ومكفي بيته من كل حاجة ، اه غيور شوية لكن فيه مميزات كتيرة فحاولي تغمضي عينيك شوية عن العيوب وتركزي أكتر مع المميزات.

قاطع نقاشهن رنين هاتف حنين ليعلن أمجد عن وصوله وانتظاره لها فانتهت جلستهن الهادئة وطوال الطريق حنين ترمق زوجها بنظرات مختلفة وتساءلت بداخلها لماذا لا تعطي زوجها فرصة ثانية ؟ ألا يستحق زواجها فرصة أخرى ؟ فلربما سينتعش ذلك الحب الذي أحسته يوما ما ولكن ماذا لو كان ما أحسته مجرد إعجاب أو انبهار بذلك الضوء اللامع آخر الطريق الذي ما إن وصلت إليه اكتشفت أنه مجرد مصباح عادي واختفى ذلك البريق واللمعان ؟

***

توجهت دعاء لوالدتها مديحة بعد أن انتهت جلستها مع أصدقائها وعندما جلست برفقتها لاحظت أمها انشغالها وتعبها فبادرتها : مالك يا دعاء ؟ وفين سمير مش بعادة تيجي من غيره يا حبيبتي !

قاطعهما دخول عاصف لصغيرتها رغد : ماما، وحشتيني.

ضمت ابنتها بحب : قلبي أنا ، بعدين وحشتك يا بكاشة؟ مش انت اللي طلبت تيجي عند تيتا؟

عقدت الصغيرة حاجبيها : اوعي تكوني جاية تاخديني أنا يادوب جيت امبارح بس احنا اتفقنا أسبوع بحاله

ضحكت دعاء وهي تضمها : طيب وحشتيني ما ينفعش آجي أشوفك ولا ايه؟

ضمت الصغيرة والدتها بحب : ينفع بس تشوفيني بس من غير ما تاخديني

ضحكا سويا للحظات قبل أن تنطلق مجددا وتختفي بسرعة ظهورها .

انتظرت مديحة للحظات وحين طال صمت ابنتها سألتها مجددا : فيك ايه يا دعاء وجوزك فين ما رديتيش عليا ؟

تنهدت قبل أن تجيبها بفتور : جوزي عند أمه .

عقدت حاجبيها بحيرة : ومالك بتقوليها كده ليه ؟ انتوا متخانقين ؟

نفت بهزة من رأسها لتسأل والدتها مجددا بلهجة غاضبة : طيب يا بت ما تنطقي فيكِ ايه لما مش متخانقين ؟ وجوزك مش معاكِ ليه طيب ؟

أخيرا اندفعت دعاء بغضب : عند أمه بتحاول تجوزه ولا تشوفله عروسة .

عقدت الدهشة لسان والدتها لوهلة قبل أن تكرر ما سمعته : تشوفله عروسة ؟ ده اللي هو ازاي يعني ؟ وليه؟

تنهدت بتعب : علشان تخلفله تاني وتجيبله ولد ولا تخاوي رغد علشان أنا بقيت أرض بور على قولها .

صاحت بغضب واقفة : بور في عينها ولية ناقصة ، مين دي اللي أرض بور ؟ امال رغد دي جايبينها من الشارع ولا مش بنتك هي؟ الولية دي اتهبلت في نفوخها ولا ايه ؟ ومين بقى عروسة الغبرة اللي عايزة تجوزهاله ؟

تمتمت دعاء بحزن : بنت أختها ، بت مفعوصة ماعرفش امتى كبرت وبقت بغلة كده طول بعرض؟ - أضافت وهي تنظر للأرض بغيرة - بجلاوة .

علقت والدتها غاضبة : حلاوة لنفسها يا اختي مش لينا قال حلاوة قال ، وانتِ يا بت الهبلة سايبة جوزك وجايالي هنا تهببي ايه؟ مش طابقة على نفسهم ليه و واحدة جوزك في حضنك ؟ ها ؟ بتقدميهولها على طبق من فضة ؟

تنهدت وحدقت في بقعة ما في الأرض وهي تفكر فيما ستقوله لوالدتها ثم رفعت رأسها تواجه نظراتها : مش من حقه يكون عنده ولد يشيل اسمه ؟

حدقت والدتها للحظات في ابنتها متعجبة من تفكيرها قبل أن تصيح مجددا بحدة: جه كسر حقه قال حقه قال ، ماهو عنده رغد اهيه شايلة اسمه ، هو الزمن ده بقى فيه فرق بين ولد وبنت ؟ بعدين انتِ يا متعلمة بتقولي كده امال سيبتِ للجهلاء ايه ؟ البنت دلوقتي بقت دكتورة ومهندسة و محامية وكل حاجة زيها زي الولد، بعدين هو قالك الكلام ده ولا ده تفكيرك انتِ المتخلف ؟

نفت دعاء بهزة من رأسها فصاحت والدتها بنفاد صبر: انطقي اتكلمي وبطلي تهزيلي في دماغك ، هو طلب منك يتجوز ؟

صاحت دعاء بقلة حيلة : هو ما طلبش وبيقول بيحبني بس أمه بتبعتله دينا في كل مكان حتى الشغل تخيلي بتجيله ؟ كل يوم في البيت عندها ، كل شوية تبعته بحجة شكل عند خالته ، مابقيتش متحملة ضغطة أعصابي بالشكل ده .

تهكمت والدتها وهي تجلس مجددا : قمتِ ريحتِ دماغك وسيبتيهولها تشبع بيه ؟

انتظرت أي رد فعل من ابنتها ولكن دون جدوى؛ فهي تنظر للأرض صامته فصاحت مجددا : قومي يا هبلة لجوزك ، واوعي تسمحي لأي حد يدخل ما بينكم ، ربنا رزقكم برغد وربنا يحفظها لما هو يطلب منك خلفة تاني ساعتها في كلام تاني لكن أمه مالهاش انها تتدخل وتقول يتجوز أو ما يتجوزش وسمير عمره ماكان إبن أمه طول عمره راجل بيحترمك ويحترمها وعارف الأصول فين وطول ماهو كويس يبقى تخطيه جوه عينيكِ واوعي تحسسيه انك مستغنية عنه أو بايعاه أو سايباه بالشكل ده وسايباه لأمه تعمل ما بدلها ، حسسيه بغيرتك وحبك وانك هتحاربي الكون كله علشانه مش تيجي تستخبي عندي وتسيبيه وتحسسيه انه مالهوش قيمة ويعمل زي ما يعمل مش فارق معاكِ ! قومي يلا على بيتك وكويس ان رغد عندي ، روحي البسي احلى لبس عندك وخدي معاكِ عشا واتعشوا مع بعض ، قومي يلا على بيتك .

***

جالسة بفتور وملل وترقب تنتظر عودة زوجها وقد تسرب إليها اليأس فهو لا يحافظ أبدا على وعوده ،

راقبت أسرتها وأحست بغربتها و وحدتها وتعجبت كيف تحس بالوحدة وهي وسط عائلتها ؟

أيقظها أخوها عمرو بصياحه : هديييييييير ، ايه يا بنتي ؟ بتكلمك من بدري !

انتبهت من شرودها وهي تنتبه لوجوههم ونظراتهم : في ايه ؟ مالكم ؟ ايه ده زيد نام ؟

وقفت تحمل صغيرها فعلقت والدتها : هشام جوزك اتأخر كلميه لو مش هيجي بيعزمنا ليه ؟

وقفت بابنها : هتصل بيه حاضر .

دخلت لتضع ابنها في سريره وقبل أن يمسك هاتفها فاجأها برنينه لتتسع عيناها أملا حين رأت اسمه فأجابت بلهفة : انت فين يا هشام؟ اخص عليك

ابتسم : قدام الباب افتحيلي علشان معايا حاجات كتير .

طارت بسرعة لتفتح لزوجها وسط دهشة عائلتها ومراقبتهم لها وهي تفتح الباب وتنظر للفراغ أمامها مصدومة .

هتف والدها خلفها : هو فين ؟

تمتمت بحيرة : معرفش قالي افتحي بس مفيش حد

اقترب والدها : متأكده انه وصل أصلا ؟هو عمره ما صدق في مواعيده !

قاطعهما صوته : دايما ظالميني كده يا عمي ، كنت بركن العربية بس .

اخذت هدير ما يحمله ليسلم هو على أهلها ثم يجلس بجانبها ليسألها حين انتبه لغياب صغيره : امال زيد فين ؟

تهكم حماه : أخيرا اخدت بالك انه مش معانا ؟

قبل أن تجيب زوجته أجاب هو بمرح : لما بشوف مراتي بنسى الكون بما فيه بنسى حتى اسمي ، بس اهو الذاكرة بترجعلي واحدة واحدة

ضحك الجميع فهو كعادته بائع للكلام وقادر على خطف القلوب بسرعة .

استمر الضحك لفترة طويلة بوجود هشام إلا شخص واحد يراقبه بصمت أو بغضب؛ فهو يفهمه جيدًا ونظر لأخته المبتسمة بتعجب من حبها الأعمى لزوجها وغفرانها لأخطائه مرة تلو الأخرى ، نظر لوالديه أيضًا فكيف لا يريان حقيقته الواضحة ؟

***

قررت سارة أن تراقب هشام بشكل مستمر حتى تعرف على الأقل مكان معيشته فكانت تطلب بسيارة الأجرة وتنتظره خارج البنك إلى أن يتحرك وهي خلفه ولكن لم يحالفها الحظ أبدًا في معرفة مكان بيته ؛ فهو لا يذهب أبدًا مباشرة لبيته وهي غير قادرة على التأخر لوقت طويل بعد ميعاد عملها ، حتى وجدته أخيرًا توجه لعمارة ما وهي خلفه وقلبها ينبض بعنف فأخيرًا ستعرف مكان سكنه وتتعرف على عائلته ، راقبته إلى أن اختفى فنزلت خلفه ركضًا ولكن أوقفها بواب العمارة بسؤاله: على فين يا ست ؟ هي وكالة من غير بواب ولا ايه ؟

توترت قليلًا ولكن تجرأت وسألته : الأستاذ هشام الصاوي ساكن هنا ولسه طالع حالًا قدامكِ صح ؟

تعجب البواب وتمتم : أيوة الأستاذ هشام ساكن هنا فعلا – قبل أن تتسع ابتسامتها اختفت حين أكمل البواب عبارته - هو ومراته وابنه ، خير بقى انتِ مين ؟

تمتمت بصدمة : مراته وابنه ؟

إزداد تعجب البواب من صدمتها لكنه أكد: أيوة مراته وابنه زيد ، انتِ قريبته ولا ايه ولا مين انتِ ؟

تراجعت عدة خطوات للخلف ودموعها تشوش رؤيتها وكل ذكرياتها معه تمر أمام عينيها ومدى سذاجتها وجهلها وغبائها ويقينها أنها ستوقعه بحبها وأحلامها بالزواج منه تتبخر .

حاول البواب معرفة المزيد ولكن اختفت من أمامه وهي تركض وتوقف أول سيارة أجرة تمر أمامها ، استمرت دموعها بالهطول طوال الطريق وهي تفكر في مدى غبائها وتفكر في والدتها وشماتتها فيها حين تعلم .

***

وصلت دعاء بيتها ولم تتعجب أبدا حينما لم تجد زوجها فبالتأكيد هو برفقة والدته بالأسفل ، جلست بإحباط تنتظره لكنها هبت واقفة ؛ فهي ستستمع لنصيحة والدتها ولن تستسلم بتلك السهولة وقبل أن تنزل للأسفل ألقت نظرة سريعة لنفسها في المرآة ولم يعجبها ما رأته؛ فأمامها امرأة عاملة منهكة ومتعبة ، توجهت لغرفتها سريعًا وأخرجت فستانًا ضيقًا سبق واشترته لأي مناسبة خاصة وارتدته سريعًا و وضعت قليلًا من مساحيق التجميل بدلت حالها وأسدلت شعرها وعطرت نفسها وقبل أن تخرج ارتدت روبًا قصيرًا تركته مفتوحا فهي لن تجرؤ أبدًا على النزول بذلك المظهر .

خرجت من شقتها وطرقت باب حماتها لتفاجأ بها وتتسع عيناها من الدهشة عندما رأتها وانعقد لسانها بينما تهتف دعاء بابتسامة صفراء وهي ترفع صوتها : حماتي حبيبة قلبي وحشتيني ، سمسم هنا ؟

أزاحتها جانبا وهي تدخل ليقف زوجها متوترا حينما سمع صوتها ولكن ما إن رآها حتى فتح فمه دهشةً وقد انعقد لسانه ، كذلك خالته وابنتها لم تنطق إحداهما حرفا بينما ابتسمت دعاء وهي تضحك سرا وتقترب من زوجها وقد قررت أن تكمل جنونها للنهاية فقبلته على وجنته قبل أن تهمس بصوت يسمعه الجميع : حبيبي وحشتني ، يلا محضرالك عشا يستاهل بوقك .

هنا تدخلت حماتها بغضب : اتعشى يا حبيبتي ويانا ، سبقناك.

تمالكت دعاء نفسها ورسمت ابتسامة واسعة وهي تلتفت لحماتها وتتكلم بغنج وهي تتعلق بذراع زوجها : وماله؟ يتعشى تاني! بعد إذنكم – التفتت لخالته وأكملت بتحد – نورتِ البيت يا خالتووو ابقي تعالي زورينا .

سحبت زوجها بهدوء وسط نظرات الدهشة التي عقدت ألسنة الجميع وخصوصا زوجها الذي لم ينطق حرفا إلى أن دخلت شقتها وأغلقت الباب خلفها فتركت ذراعه وتركته لتدخل غرفتها وهو يلحق بها يحاول تبرير موقفه وهي تستمع بصمت إلى أن انتهى من سرد كل ما دار منذ لحظة دخوله إلى لحظة دخولها هي .

استمعت إليه دون أن تقاطعه حتى توقف واقترب منها يوزع قبلات على كتفها ويطلب منها مسامحته فهمست هي بهدوء: أسامحك على ايه بالظبط ؟

أدارها لتواجهه : اني مابعرفش أقول لامي لا في كل الأوقات بس أنا عايزك تتقي فيا يا دعاء وتثقي في حبي ليكِ ، لو الكون كله في كفة وانتِ في كفة فدايما هختارك انتِ .

ابتسمت وهي تنظر للأرض خجلًا من نظراته ولمساته قبل أن يرفع هو وجهها وينظر لعينيها بصدق : أنا بحبك انتِ وبس وهفضل أحبك انتِ وبس ، فاهمة ؟

أومأت برأسها دون أن تجيبه ليمازحها هو : بقدين الجمال ده كله علشان تحرقي دمهم ؟ طيب أنا عايزك كل يوم كده فاهمة ولا لا؟ بعدين أنا عمال أتخيلهم دلوقتي وهم بيضربوا أخماس في أسداس ومستغربين اللي انتِ عملتيه

ضحكت ليشاركها زوجها قبل أن تهتف بشماتة : أحسن علشان تاني مرة يخترسوا علشان اللي يقرب من جوزي هفرمه وأديني حذرت اهو وقد زعتر من بعتر .

ضحك زوجها وهو يضمها بمرح: كله إلا زعتر وبعتر .

شاركته الضحك وهو يضمها معتذرًا عن جرح شعورها وعن تصرفات والدته .

***

أنهى إيهاب يومًا متعبًا وقبل أن يصل لبيته هاتفه صديقه ياسين طالبا منه مقابلته ضروريًا وأصر عليه ومهما حاول الاعتذار إلا أنه تفاجأ به ينتظره أمام مدخل حارته الشعبية فحاول أن يبتسم لملاقاته: للدرجة دي عايز تقابلني ؟ خير يا ياسين ؟ وراك ايه ؟

التمعت عينا صديقه وهتف مرحًا : يعني معرفش أقابل صاحبي وحبيبي ؟

دلك إيهاب جبينه بتعب وإضح : ينفع بس أنا راجع هلكان من شغلي ومش جمل خروج لو عايز تقترح اني أخرج معاك

ربت ياسين بيده على كتف صديقه: لا يا سيدي جايلك في مصلحة مش خروجة ، بقولك فاكر لما كنت بترسملي المشاريع اللي بتتطلب مني ؟

أومأ برأسه فتابع صديقه : في كام واحد من زمايلي عايزينك تعملهم شوية شغل كده – قبل أن يعترض إيهاب أو يخبره أنه فعل ذلك من أجله فقط أكمل - وقبل ما تعترض الموضوع هيكون بيزنس مش لله وللوطن

عقد حاجبيه بتساءل : قصدك ايه ببيزنس ؟

ابتسم وهو يجيبه : يعني كل رسمة هتعملها هتاخد فيها مش أقل من خمسميابة كده أو اطلب براحتك كلهم عيال فاقدة ومش هتفرق معاها الفلوس على قد ما هيفرق معاهم المشروع اللي هتعمله – انتظر قليلا ليفكر صاحبه قبل أن يكمل – فكر وبكرا رد عليا هسيبك بقى دلوقتي .

قبل أن يتحرك بسيارته تذكر أمر ما فأخرج رأسه صائحًا : هوبا بقولك؟

توقف إيهاب منتظرًا صاحبه الذي سأله : تلزمك كتب ومراجع السنين اللي فاتت ؟

عقد حاجبيه متعجبًا من سؤاله فترجل ياسين من سيارته وفتح سيارته من الخلف ليري إيهاب عدة صناديق مليئة بالكتب والأدوات بينما تمتم ياسين : أمي بتجدد البيت وطلبت مني أشيل كل اللي ما يلزمنيش وكل دول كنت هوديهم لأي حد في الكلية لو يلزموك خدهم وريحني منهم.

التمعت عينا إيهاب فرحًا وتمتم بذهول : انت بتتكلم بجد ولا بتهزر ؟

ضحك ياسين : طبعا جد عايزهم ولا ؟

حرك إيهاب رأسه بفرحة وقبل أن يحمل إحدى الصناديق أوقفه ياسين : هتشيلهم ازاي ؟ خليني أوصلك للبيت اركب يلا .

أخيرًا انطلق ياسين في طريقه بعد أن ساعد إيهاب الذي دخل بيته حاملًا إحدى الصناديق وما إن رأته والدته التمعت عيناها فضولًا لما يحمله ايه اللي شايله ده يا إيهاب ؟

ابتسم وهو يجيبها فرحًا بذلك الكنز الذي يحمله دي كتب ومراجع السنين اللي فاتتني في الجامعة، انت مخبلة الحاجات دي

قاطعته والدته بغضب تاني كتب وزفت ؟ انت ما بتشبعش كتب ؟ بعدين هتحط كل دول فين بقى وتبهدلي الدنيا ؟ مش كفاية كتب أخوك مالبين الأوضة ناقصه أنا بقى كل الزبالة دي ؟

أعترض بعصبية: الكتب دي مالهاش تمن تقولي زبالة ؟ انتِ عارفة أسعارها كام ؟

التمعت عيناها وهي تسأله : يعني هينفع نبيعهم ؟ تعال نوديهم عند ..

قاطعها بغضب يحاول السيطرة عليه : الكتب علشان أعوض دراستي اللي فاتتني مش علشان أبيعهم وما تقلقيش هطلعهم فوق مش هعملك زبالة في بيتك .

قبل أن تنطق المزيد خرج إيهاب ليتجه لمكانه المفضل فوق سطح بيته ويضع كتزه ، تفاجأ بعدة أدوات للرسم وسط الصناديق وحاول أن يتخيل نفسه لو أكمل دراسته وتخرج مثل صاحبه ولربما عمل في إحدى الشركات ، انتبه من شروده على صوت أخته تناديه ليتناول معهم طعام الغداء الذي تأخر؛ انتظارًا له .

***

انهارت سارة بعد معرفة خبر زواج هشام وحاولت إعادة كل ما مر فكيف استطاع إخفاء زواجه ؟ وكيف استطاع خداعها بتلك الطريقة ؟

انهمرت دموعها وأحست بانتهاء حياتها وأحلامها ، دخلت والدتها وهي تصيح كعادتها قومي يا بت حضري العشا لأبوكِ .

لاحظت صمت ابنتها ودموعها المنهمرة فاقتربت منها بحذر : بتعيطي ليه يا بت انتِ؟ هببتِ ايه انطقي ؟

لم ترد فاقتربت منها تمسك شعرها بعنف . انطقي يا بت انتِ لقسما بالله أنادي لأبوكِ هو يشوفك مالك يا بت انطقي بتعيطي ليه ؟

صاحت بانهيار . بعيط على بختي المايل وحظي المهبب ، بعيط على عيشتي اللي عايشاها ، بعيط على اللي قاعد برا وبتسميه أبويا وعمره ما كان أب ، بعيط على أمي اللي بدل ما تاخدني في حضنها بتهددني باللي اسمه أبويا ، عرفتِ بعيط ليه ؟

حركت رأسها برفض : لا الكلام ده ما ياكلش يا حيلتها معايا ، انطقي يا زفتة في ايه اللي حصل ؟

بعد إصرارها نطقت أخيرًا : واحد شغال معايا كنت فاكراه هيتجوزني بس طلع متجوز ومخبي ارتاحتِ كده خلاص ؟

أمسكت ذراعها بعنف لا ما ارتحتش طبعا ، ده اللي كنتِ بتتأخري برا علشانه؟ صح ؟ وبتعيطي ليه بقى ؟ عملتِ ايه معاه يا زفتة انطقي وبتعيطي ليه ؟

حركت رأسها بعدم تصديق : عملت ايه معاه ؟ ده اللي يهمك؟ ما يهمكيش انهياري ولا حرقة قلبي بس اللي يهمك عملت ايه ؟

تهكمت والدتها وصاحت : أيوه يا حيلتها ده اللي يهمني لان ده اللي جيلتنا يا اختي مَا نملكش غيره ومن غيره ما تسويش تعريفة ، فهمتِ يا بت ولا أفهمك ؟ اللي زيك ما جيلتهاش غير شرفها وبس ومن غيره تتداس بالجزمة فاهمة ولا أفهمك ؟ ودلوقتي قومي فزي وحضري العشا لأبوكِ ويارب بقى تفوقي سوية وتعرفي قيمتك ومكانتك ، اللي انتِ شغالة معاهم ممكن يتسلوا شوية أو يهزروا شوية لكن لما بيتجوزوا يا حيلتها بيتجوزوا اللي شبههم كده وانتِ برضه هتتجوزي اللي شبهك .

صاحت وهي تقف بإصرار ده لا يمكن أبدا ، هخرج من البيت ده والحارة دي مهما يكون التمن

ضحكت والدتها بتهكم ومن هنا لحد ما تخرجي قومي حضري الطفح يلا غوري ، جتها نيلة خلفة البنات واللي عايزها

***

قررت حنين تنفيذ نصيحة صديقتها وفي يوم عطلتها أعدت غداءً خاصًا وارتدت أجمل فساتينها التي أهملتها و وقفت أمام مرآتها تزين وجهها واستعدت لاستقبال زوجها فستعطيه فرصة ثانية ولربما تقع في حبه من جديد ، ولكن هل أحبته من الأساس؟ أم كان مجرد حبًا لكلماته ؟ نفضت أفكارها وتابعت ما تفعله ثم ألقت نظرة أخيرة على نفسها وابتسمت لجمالها المفقود وخرجت لتراجع كل ما أعدته استقبالًا لزوجها ، تلفتت حولها وأشعلت الشموع والموسيقى الهادئة وجلست بانتظاره ، تململت في جلستها فوقفت تلقي نظرة أخيرة على كل تجهيزاتها ، أعدت عصيرًا ولاحظت توقف غسالتها فقررت نشر الغسيل قبل عودته؛ فهي تريد أن تتفرغ تمامًا لأمجد عندما يعود ، خرجت لشرفتها لتنشر الغسيل .

وصل أمجد وترجل من سيارته فلاحظ وقوف اثنين من الشباب نظراتهما معلقة على أعلى ليرفع نظره تلقائيًا فوجد زوجته وهي تنشر الغسيل وشعرها يتطاير حولها فحوّل نظره للشابين أمامه وتيقن أن زوجته هي محط إعجابهما ونظراتهما .

انتهت حنين وتوجهت للداخل فلقد لمحت سيارته وهي تريد أن تقابله بأجمل ابتسامة وستجعله يتفاجأ اليوم بحنين جديدة .

سمعت صوت مفتاحه يدور في الباب فاقتربت وابتسمت ، رأته يدخل واقتربت منه وقبل أن تلقي بنفسها بين ذراعيه فاجأها بصفعة قوية أوقعتها أرضا وسط دهشتها ، عدلت نفسها تضع يدها على وجنتها بصدمة ودموع متحجرة بعينيها وتحرك رأسها بحيرة غير قادرة على النطق لتسأله ماذا به ؟

تفاجأت به ينحني ليمسك شعرها ويوقفها بعنف ولا يبالي بصرخاتها وهي تتلقى صفعة بعد الأخرى ومهما تحاول الدفاع عن نفسها إلا أنها غير قادرة فاستسلمت لضرباته وركلاته وقبضته العنيفة ؛ هو سينتهي مؤكدًا وسيتوقف عن ضربها لامحالة فلتتحمل إلى أن ينتهي .

غابت عن وعيها أو هذا ما ظنته؛ فلقد فتحت عينيها لتجد نفسها بسريرها وحاولت أن تجلس ولكن جسدها بأكمله يعترض ولا يوافقها على النهوض ، تحاملت لتقف ولاحظت شعرها الذي يؤلمها و وجهها الاحمر واثار صفعاته واضحة وفستانها الممزق ، انهمرت دموعها بصمت وصرخت بداخلها لن تتحمل المزيد .

بحثت عن هاتفها وهاتفت صديقة طفولتها ونطقت بجملة واحدة : تعاليلي حالا انتِ ومعتز يا هايدي وبسرعة أرجوكِ .

حين استمعت هايدي لصوت صديقتها الباكي أجابتها هي أيضًا بكلمة واحدة بقلق : حالا .

جمعت بسرعة ثيابها أو ما استطاعت جمعه قبل أن يعود جلادها مجددًا فلابد أن تخرج قبل عودته

انتبهت لرنين جرس الباب فركضت بقوة واهنة تفتحه وارتاحت حين رأت صديقتها فألقت نفسها بين ذراعيها تبكي بانكسار ثم ابتعدت بسرعة تقول: يلا ننزل قبل ما يجي بسرعة

دون أن تسأل أو تستفسر عن حالتها المزرية ساعدتها في حمل حقيبتها وتوجهتا للخارج ليقابلهما بقلق معتز الذي ساعدها بدوره وتحرك بسيارته مبتعدًا لتتنفس حنين أخيرًا وتنخرط في بكاء حار وصديقتها تضمها وتبكي هي الأخرى لحال صديقتها ، ومعتز يراقبهما بصمت من خلال مرآة سيارته متعجبا بحال صديقة أخته وتحول حالها .

أخيرًا نطقت هايدي حين لاحظت هدوء حنين قليلًا : أوصلك البيت يا حنين ولا تيجي معايا أنا ؟

هدأت قليلًا وحاولت مسح دموعها بيديها : البيت عندي يا هايدي وكفاية تعبتكم.

قاطعتها بحدة : اوعي تكملي طول عمرنا أخوات وهنفضل أخوات لآخر العمر ، هوصلك بس ياريت لو تفضلي معايا

حركت رأسها برفض وحزن: لا عايزة أروح البيت وأقعد مع بابا وماما ، أنا لازم أتطلق يا هايدي مش هقدر أستمر في العلاقة دي أكتر من كده ، مش هقدر .

انهمرت دموعها مجددًا بقهر لتضمها صديقتها بألم : ما تستمريش ، ومحدش أبدا يقدر يجبرك تستمري يا قلبي .

نظرت لأخيها : وصلنا يا معتز لبيت عمو .

توقف معتز بعد فترة أمام البيت وقبل أن تخرج حنين طلبت منها هايدي الانتظار قليلًا لتهاتف والدتها لتمهد الموضوع؛ فوالدها لو رآها بتلك الحالة لن يتحمل أبدا .

خلال لحظات كانت صابرين تقف أمامها واتسعت عيناها من الدهشة لرؤية ابنتها بتلك الحالة فاقتربت تضمها بين ذراعيها لتهتف حنين ببكاء : ضربني يا ماما ، ضربني وبهدلني ومش هرجع بيته تاني أبدا .

ضمتها والدتها ونظرت لهايدي : كويس انك معاها ، تعالوا نطلع بسرعة قبل ما عبدو يرجع وكويس انه مش في البيت علشان ما يشوفهاش كده .

دخلت حنين غرفتها لتلقي بنفسها على سريرها وتضمه ببكاء؛ لقد اشتاقت لأيامها هنا .

همست صابرين لهايدي بهدوء: خليها تغسل وشها يا هايدي مش عايزة أبوها يشوفها كده ، هو ما يعرفش أي حاجة ، معلش ساعديها و خطي كمادات باردة على وشها خليه يهدى وياريت كمان تخليها تحط ميك اب تداري بيه وشها الاحمر ده شوية

تركتهما قليلًا لتقف بالخارج في حيرة فلم يضربها زوجها بتلك الطريقة ؟ وكيف ستتصرف هي ؟ وكيف ستخبر زوجها والأهم كيف سيتقبل زوجها ذلك الخبر ؟

عادت بعد قليل تحمل كوبين من العصير وتدخل لتتفاجأ بابنتها وهي تبدل ثيابها بمساعدة صديقتها ولاحظت تلك البقع الزرقاء التي تغطي معظم جسدها من آثار الضرب ، ضمتت وجلست بانتظار انتهاء ابنتها من ارتداء ثيابها .

ثم سألتها بتردد : ايه اللي خلاه يتجنن بالشكل ده ؟ عملتِ ايه ؟

اتسعت عينا حنين بصدمة : عملت ايه ؟ انتِ بجد بتسأليني يا ماما ؟ - أكملت بتهكم – ايه اللي ممكن أكون عملته في نظرك يستحق اني أتضرب بالشكل ده ؟

قبل أن تجيبها تدخلت هايدي باندفاع : يا طنط مهما تكون اللي عملته هو مش من حقه أبدا يمد ايده عليها كده، مفيش أي حاجة ممكن تديله المبرر ده ، هي لازم تنهي العلاقة دي فورا .

نظرت إليها صابرين بحدة : لو سمحتِ يا هايدي انتِ يا حبيبتي ما تعرفيش البيوت والجواز والارتباط فالموضوع مش بالسهولة ولا البساطة دي علشان تنهيه ، أنا متشكرة جدا لوقفتك معاها بس معلش سيبينا دلوقتي .

اتسعت عينا حنين هي الأخرى بصدمة لحديث والدتها ونظرت لصديقتها التي أومأت بإحراج لكنها لم ترد أن تزيد من حزن صديقتها فنظرت إليها بتفهم مزيف وأمسكت يديها وهي تبتسم بحب : أنا همشي دلوقتي وهبقى أجيلك تاني بس دلوقتي اتكلمي مع طنط وعمو وأنا جنبك ، أنا على بعد مكالمة تليفون واحدة زي ما شوفتِ ، هسيبك دلوقتي وأجيلك بعدين .

انسحبت هايدي بغضب من والدة صديقتها التي لا تهتم أبدًا بمشاعر ابنتها بمقدار اهتمامها لاعتبارات أخرى لا قيمة لها بالنسبة لها وحمدت ربها أن والدتها مختلفة تماما عن والدة صديقتها رغم أنهما صديقتان

استنكرت حنين ما فعلته أمها بعد خروج صديقتها ونظرت لوالدتها بغضب : انتِ ازاي تكلمي هايدي بالشكل

ده رغم وقوفها معايا ؟ يعني مش فاهمة !...

قاطعتها والدتها بغضب : سيبك من هايدي دلوقتي هي هتتفهم الوضع اللي احنا فيه وفهميني ليه أمجد عمل كده ؟ وايه اللي وصله للدرجة دي ؟

أطالت حنين النظر لوالدتها؛ فلربما تفهمها لكنها حركت رأسها بيأس وفضلت الصمت؛ فهي مهما تقول لن تقنع والدتها أبدا بتعاستها .

انتظرت صابرين ابنتها ولكن حين طال الصمت أمسكت ذراعها تيقظها من أحلام يقظتها التي لربما غرقت بها : انتِ يا بنتي بكلمك ، انطقي أمجد عمل ليه كده ؟

صاحت حنين بحدة ودموعها تهدد بالهطول مجددا : ايه رأيك تسأليه هو ؟ لأني بجد معرفش هو دخل من برا زي المجنون يضرب فيا .

اعترضت والدتها بعدم تصديق: بدون سبب ؟ - أضافت بتهكم- يعني دخل بدل ما يقول سلام عليكم ضربك بالقلم ؟

نظرت لوالدتها بتحدٍ وصاحت بضعف: أيوة بالظبط كده فتح الباب ودخل يضربني بدون أي سبب، من غير حتى ما أنطق حرف ، ولعلمك دي مش أول مرة يمد ايده عليا - قطعت كلامها حين لاحظت نظرات والدتها الغير مصدقة فسألتها – انتِ بتبصيلي كده ليه ؟

صاحت باتهام مبطن: لأنه مش مجنون ، علشان حد عاقل يدخل من برا يضرب أهل بيته فكده ده مجنون رسمي وأمجد مش مجنون أبدا .

ابتعدت حنين عن والدتها بغضب وتمتمت : روحي كلميه واسأليه وبالمرة اعذريه لأني عارفاكِ هتاخدي صفه .

تحركت والدتها وقد عزمت أمرها : أنا مش باخد صفه بس أنا عارفاكِ كويس يا حنين وعارفة مقدرتك انك تخلي اللي قدامك يتنطط ويشد في شعره وانتِ برود الدنيا فيكِ .

نزلت دمعة مسحتها حنين بسرعة وقد أولت ظهرها لوالدتها وتمتمت بانكسار: طيب كويس انك عارفاني ودلوقتي سيبيني أرتاح شوية ويكون في علمك بابا لما يرجع هطلب منه يطلقني من أمجد ومش هرجع بيته تاني

فتحت صابرين فمها لتعترض ولكن تراجعت؛ فهي ستستمع لتبرير أمجد قبل أن تأخذ قرارها ، فحذرتها قبل أن تخرج من غرفة ابنتها : ولا كلمة لأبوكِ لحد ما أتكلم أنا مع أمجد الأول وبعدها أمهد لأبوكِ الموضوع مش هينفع نقوله مرة واحدة انك هتطلقي انتِ عارفة قلبه تعبان ومش هيتحمل .

أغلقت باب غرفتها حينها فقط سمحت حنين لنفسها بالانهيار على سريرها فهي الآن كانت بحاجة لحضن والدتها وتفهمها ودعمها لا تحليلها وتفكيرها العقلاني البحت .

ترددت صابرين كثيرًا قبل مهاتفة أمجد وعندما حسمت أمرها وأمسكت هاتفها قاطعها رنين جرس الباب لتفتح فوجدته أمامها ملهوفًا ومرعوبًا وهو يسألها: حنين هنا صح ؟ قولي انها هنا ؟

تعجبت من خوفه لتلك الدرجة فمن يقف أمامها عاشق لزوجته على عكس الصورة التي رسمتها حنين أمامها

***

أطالت صابرين النظر في وجه زوج ابنتها الخائف وانتبهت حين سألها بتوتر: حنين هنا ؟ بالله عليك قوليلي انها هنا

تعجبت من هذا الخوف الذي تراه في عينيه ، وهتفت بغضب : انت بتسأل عنها ليه ؟ مش مديت ايدك عليها ؟

أغمض عينيه للحظات ثم حاول أن يبرر فعلته بأسلوب تقبله حماته ادیني فرصة أشرحلك قبل ما تحكمي عليا يا حماتي

صاحت بغضب ولا فرصة ولا زفت انت تخطيت حدودك يا دكتور ، كله إلا انك تمد ايدك ، اه أنا بقولها اسمعي كلام جوزك وافهميه وطاوعيه لكن أبدا لا يمكن أقبل انك تمد ايدك على بنتي .

تلفت حوله بإحراج طيب اسمعيني الأول واللي تقولي عليه أنا راضي بيه من غير ما أسمعه حتى ، اديني فرصة بس أشرحلك ، أنا بعشق حنين مش بس بحبها ولو مديت ايدي فأكيد غصب عني مش بمزاجي أبدا ، هي بتخليني أفقد السيطرة على أعصابي لكن أنا بعشقها وانت عارفة ده كويس - صمت ثم أكمل بمغزى- وعارفة كمان حنين وحالميتها وأحلام يقظتها وبحاول والله بحاول أجاريها بس هي بتأفورها فاسمعيني أرجوك .

هدأت قليلا وعرف كيف يدخل لها؛ فابنتها حقًا تعيش بعالم الخيال وتأبى النزول لأرض الواقع ، فتحت بابها لتسمح له بالدخول ، دلف واستقر في مكانه بينما هي تعقد يديها حول صدرها تنتظر تفسيرًا يقبله عقلها ، نظر إليها مطولًا محاولًا استمالة عطفها قبل أن ينطق بهدوء : حضرتك عارفة طبعا حب حنين للموسيقى والأغاني والجو ده وللأسف أنا ماليش فيه خالص أو ماعنديش وقت أقعد أسمع موسيقى أو أقرأ رواية رومانسية ماعنديش وقت ..

قاطعته بحدة: ده مش مبرر للضرب .

برر بانفعال طفيف : حماتي لازم تسمعيني الأول علشان تقدري تحكمي بنفسك ، أنا بعاني مع حالمية حنين وحبها لكل اللي قلته ده ، كمان بتحب اللبس والميك اب وأنا بغير ومش هنكر ده ، ماعنديش استعداد مراتي تنزل شغلها لابسة بنطلون ضيق قصير وخلخال وميك اب وعاملة زي ما تكون نجمة من نجمات السيما، المفروض أنا ايه ؟ أصقف يعني ليها وأقولها برافو هتجنني كل الرجالة ؟

هدأت وصمتت باقتناع؛ فهي كثيرًا ما انتقدت ابنتها في طريقة لبسها ولكن أعادت تلك التكشيرة على وجهها وهي تعيد سؤالها: برضه ليه ضربتها ؟

أخرج شهيقًا طويلًا قبل أن يرمي كلماته القادمة كل يوم الصبح لينا خناقة على اللبس أو الميك اب أو الزمايل الرجالة أو أو وتعبت من الحوار والكلام لحد النهارده .

انتبهت والدتها بترقب ايه اللي حصل النهارده ؟

نظر لعينيها مطولًا قبل أن يجيبها . يرضيك أرجع من شغلي ألاقي كام شاب مالهمش تلاتين لازمة قاعدين تحت بيتي بيراقبوا بلكونتي ؟ يرضيك ده ؟

لم يفهم مقصده فورًا فأردفت بحيرة: يعني ايه ؟ انت هتعاقبها هي على بطرات الناس ولا ايه ؟

صاح غاضبًا . لا أنا مش مجنون أنا اعاقبها هي لما تخرج سيادتها تنشر غسيل بقميص نوم وأرجع ألاقي الرجالة مرصصين تحت بيتي بيتفرجوا عليها ، قوليلي افكر بعقل ازاي ها؟ أوري وشي فين من جيراني ومراتي بتعرض جسمها بالشكل ده ؟

اتسعت عينا صابرين بصدمة؛ فهي أبدًا لم تتخيل ابنتها تلك الفتاة التي تعرض مفاتنها أمام بعض الرجال ، نعم هي حالمة ولكن أبدًا لم تكن جريئة فهي خجولة للغاية ، نفضت رأسها برفض : لا لا بنتي ما تعملش ده أبدا .

أصر أمجد بغضب: أنا قطعت الهدوم اللي كانت لابساها، اتجننت أعمل ايه ها؟ انتِ قوليلي الراجل المفروض يعمل ايه في وضع زي ده ؟ يعني مش برضى تلبس ضيق شوية وهي خارجة هرضى تطلع بقمصان نوم ؟

وقفت صابرين تحاول تبرير فعلة ابنتها لكنها لم تجد ما تدافع به عنها ، وقف أمجد بدوره واقترب منها بمكر : لازم يكون عندك ثقة فيا أنا لا يمكن أتخطى حدود الأصول أبدا لكن غصب عني ما أقدرش أشوف مراتي في وضع زي ده و أقف أتفرج وما أعتقدش في راجل ممكن يقبل ده أبدا إلا لو كان ... أعتقد حضرتك فاهمة ايه نوعية الرجالة اللي ممكن تتقبل ده ؟

صمت قليلًا كي يعطيها مجالًا تستوعب ما ألقاه الآن قبل أن يضيف : ممكن تسمحيلي أشوفها وأصالحها ؟ أنا برضه ما يهونش عليا أبدا زعلها ولا هي تهون عليا تفضل يوم واحد حتى زعلانة ، أنا بعشقها فوق ما أي حد ممكن يتخيل ولا يمكن أرضى تبات ولو ليلة بعيدة عن حضني أنا أموت فيها .

احتارت صابرين كثيرًا فمن أمامها الآن عاشق حد النخاع فكيف لا تذوب ابنتها عشقًا له ؟ ألم يكن هذا العشق مطلبها ؟

نظرت إليه مطولًا قبل أن تخاطبه بهدوء : خليني أدخل أشوفها الأول وبعدها نشوف .

حاول أن يوقفها ولكن أصرت بحزم: اهدا واصبر خليني أشوفها قبل ما أبوها يرجع لأنه لو عرف انك مديت ايدك على بنته مش هيسمع أصلًا أي مبرر إياك تقول حتى انها نزلت الشارع كده ، بنته خط أحمر انت تخطيته فاصبر خليني أتصرف قبل ما يرجع .

تركته ودخلت لغرفة ابنتها أيقظتها بهدوء لتنتفض جالسة بخوف: ايه مين ؟

هدأتها بنظراتها : أنا يا حنين اهدي ، بقولك جوزك برا و ....

قاطعتها برعب : مش هرجع تاني بيته اطلعي اطرديه أنا ...

قاطعتها والدتها غاضبة : ليه ما ترجعيش إن شاء الله ها ؟ ما تبقيش غلطانة وتتنططي كمان وكتر خيره جاي لعندك مش هاين عليه زعلك .

حركت رأسها بصدمة من والدتها : ماما أمجد بيضربني وبعدها يطبطب عليا ، مش هرجعله تاني اطلعي قوليله .

جلست أمامها بلوم: هو في بنت محترمة تطلع بقميص نوم البلكونة بنشر غسيل ها؟ والرجالة يتلموا تحت البيت ؟

فغرت فاهها بصدمة ثم نطقت أخيرًا : قميص نوم ؟ مين دي ؟ أنا ما بلبسش قمصان نوم أصلا ، أنا مش بطيقه هلبسله قمصان نوم؟ انتِ جيبتِ التخاريف دي منين ؟

صاحت والدتها تنهرها: أنا مش قادرة أفهمك ، كنتِ هتموتي على الحب والجواز وأديك اتجوزتِ راجل بيعشقك وبيتقبلك بعيوبك قبل مميزاتك عايزة ايه تاني ؟

وقفت حنين امام والدتها بقهر : أمجد بيضربني طول الوقت، أنا مش قادرة أعيش معاه وبعدين قميص نوم ايه ؟ امتى لبست قميص نوم وطلعت بيه برا؟

أجابتها بحدة : النهارده مش طلعت تنشري الغسيل ؟

وضحت ابنتها : أيوة كنت لابسة فستان ، كنت بفكر أديله فرصة تانية وبحاول أحافظ على بيتي زي ما قلتِ ، عملتله أكل وجهزت سفرة وشموع و ورد ولبست وجهزت علشان أديله فرصة يقوم يرجع يلطش فيا ؟

وضحت باتهام : علشان سيادتك طلعتِ بمنظرك ده برا البلكونة والرجالة تحت البيت قعدوا يتفرجوا عليكِ وسمع تغزلهم فيكِ عايزاه يعمل ايه ها ؟ عملتِ حاجة مميزة لجوزك تطلعي برا ازاي بيها ؟

صرخت بوالدتها بذهول: ده فستان عادي كنت بخرج بيه قبل ...

قاطعتها بغضب : قبل ما تتبلي تكوني مسئولة من راجل غيور ، امتى هتفهمي ان حقه يغير على أهل بيته ؟ امتى هتفهمي انك ملكه ؟ امتى هتفهمي انك بقيتِ زفت زوجة مسئولة من راجل وعندك بيت تهتم بيه ؟ امتى هتفوقي لنفسك وتبطلي الوهم اللي انتِ عايشة فيه ده ؟ اتفضلي ارجعي مع جوزك وصالحيه وإياك تطلعي تاني بالشكل ده وإلا أنا هربيكِ من الأول وجديد .

حركت رأسها بعدم تصديق رافضة ما تسمعه من والدتها ، أخيرًا التفتت إليها بإصرار لم تعهده من قبل : مش هطلع ومش هروح معاه وهطلب من بابا يطلقني واطلعي قوليله الكلام ده .

قاطعتهما طرقات خفيفة فتوجهت صابرين تفتح باب غرفة ابنتها لتتفاجأ بأمجد أمامها وقبل أن ينطق صرخت حنين بوجهه بنفور : مش هرجع معاك لو السما انطبقت على الأرض فأتفضل من هنا .

تجاهلها ونظر لوالدتها بجدية ماما جالي تليفون من دكتور علي في المستشفى .

انتفض قلب صابرين ولم تقدر على النطق بينما أكمل هو بلغني ان عمي تعبان في المستشفى .

شهقت صابرين يا لهوي عبدالقادر ماله ؟

صاحت حنين بخوف: بابا ؟

رد أمجد يهدئهما اهدوا أنا رايح هناك هتيجوا معايا ولا ...

قاطعته صابرين بلهفة: هاجي اديني لحظة .

خرجت مهرولة بينما تحركت حنين لتستعد فأمسك أمجد يدها باعتذار: أنا آسف وعارف ان أسفي مش كفاية بس هسيبك تهدي وتطمني على باباكِ الأول وبعدها نتكلم ، هستناكِ برا بسرعة يلا ، خرج وتركها تنظر في أثره بكره لكنه ليس وقت الرد الآن فوالدها أهم.

***

قرر إيهاب أن يستمع لنصيحة صديقه ويدخر القليل من يوميته لنفسه توجه إلى شقته الصغيرة ودخلها محملًا بآمال لا يجرؤ على البوح بها ولكن قليلًا من الأمل لا يضر .

غرفتان وصالة هي ولكن ما أجملها حين يضرب فرشته هنا وهناك ويضع لمساته ! هو لا يتمنى أبدًا بأكبر منها فتكفيه أقل منها ، ابتسم وتنهد بأمل ؛ فربما يومًا يسعد بها مع فتاة لطيفة مثله ترضى بقليلها معه ، أو ربما يكون للقدر رأي آخر ويحاول تعويضه عما قاساه في حياته .

أغلق بابها وتوجه لبيته وقد قرر بداخله أن يعيد دهانها وتوضيبها ولربما ينتقل بمفرده فيها.

دخل بيته فقابلته والدته وهي تصيح كعادتها لأي سبب كان، انتبهت حين رأته وأقبلت عليه اتأخرت يعني !

أجابها بعفوية وهو يخلع حذاءه: عديت على الشقة شوفتها ، يعني أشوف ناقصها ايه و ...

قاطعته بمقت ناقصها اللي ناقصها احنا مش فاضيينلها دلوقتي ، بقولك ايه أنا ما وافقتش تاخدها علشان

أفتح على نفسي فتحة مش قدها ، النهارده دهان وبعدها نجارة وبعده سباكة وبعده معرفش ايه ؟ إيهاب احنا مش حمل مصاريف دلوقتي و ...

قاطعها مسرعًا ليوقف سيل تلك المحاضرة التي لن تنتهي أبدًا : ايه ؟ حيلك شوية بقول أشوف ماقلتش هبدأ اهدي ها؟ المهم أنا جعان في أكل ايه ؟

زفرت بضيق : أيوة الخدامة أنا اللي كل واحد جعان يجي يقولها لسه راجعة من عند خالتك سميحة كانت تعبانة وماعملتش أكل وسيادتها أختك كانت مخمودة جوا أعملكم ايه أنا ها؟ أقطع نفسي ولا ....

قاطعها بضيق : يا أمه خلاص يا أمه أنا غلطانلك ، أنا داخل أغير هدومي .

تركها متوجها لغرفته قبل أن تصبح هي : ماشي وبعدين هناكل ايه ؟ أنا مش قادرة أعمل حاجة مين هيعمل ؟

أخذ شهيقًا طويلًا قبل أن يلتفت إليها بضجر : ينفع أغير هدوم الشغل دي ولا ايه ؟ بعدها أشوفلكم موضوع الأكل ده .

تركها وتوجه للحمام لينفض عنه كل الألوان العالقة بجسده وملابسه وليرتاح قليلًا عل تلك المياه تغسل همومه من داخله .

وقف قليلًا تحت المياه واغمض عينيه متأملًا حياة مختلفة عن تلك التي يعيشها ، متخيلًا حياته إن ظل والده على قيد الحياة، انتبه على طرقات تستعجله : اخرج يا إيهاب ورايا كورس انجز .

زفر بضيق ؛ فحتى حمامه لا يقدر أن يستمتع به ولو قليلًا ، أغلق صنبور المياه ولف جسده بمنشفة ووضع أخرى على كتفه قبل أن يخرج : حتى أم الحمام هتستعجلني فيه يا مازن ؟

ابتسم مازحا : عندي كورس طيب أعمل ايه ؟ البس عقبال ما أخرج أنا وجهزلي فلوس الكورس .

توجه لغرفته ليجلس قليلًا يفكر في أيامه التي تشبه بعضها ، أمَا من نهاية لتلك الساقية التي يدور فيها ؟

انتبه على دخول أخيه يسأله: انت لسه قاعد كده ؟ فلوس الكورس يا إيهاب وكمان هات فلوس آكل بيها محدش عمل أكل وجعان انجز يا هوبا .

نظر إليه مطولًا قبل أن يجيب بهدوء : مش معايا .

صاح مازن بغضب : لا ورحمة أبوك ، أنا متأخر على الكورس يعني عايز فلوسه وعايز فلوس الأكل وكمان فلوس تاكسي أروح بيه فانجز بقى .

أطال النظر لأخيه فهل لو طال الزمن وانعكست الأوضاع أسيلبي أخوه طلباته مثله ؟ كثيرًا ما رددت والدته على مسامعه بأن غدًا سيصبح طبيبًا ويفتتح عيادته فهل سيتحمل أخوه حمل البيت عنه ولو قليلًا ؟ أسيعفيه يومها من مهامه ويطلق له العنان كي يعيش قليلًا لنفسه ؟

انتبه على صياح أخيه : أماااه ، تعالي شوفي ابنك ، أنا اتأخرت

دخلت والدته مكشرة عن أنيابها : في ايه يا إيهاب ؟ ما تنجز أخوك بيقولك اتأخر ! وقاعد كده ليه عريان ؟ ما تلبس هدومك ؟

نظر لهما وتكلم بهدوء: أنا مش لاقي وقت آخد دش فيه ولا لاقي وقت ألبس فيه أعملكم ايه ؟

صاحت بغضب : ادي لأخوك فلوس خليه ينزل درسه فيك ايه يا إيهاب ؟

لم يجبها بل قام من مكانه متكاسلًا وأمسك بنطاله يبحث عن محفظته لينظر بعدها لأخيه متسائلًا : عايز كام ؟

نطق بابتسامة : خمسمياية كده تبقى آخر فلة .

نظر إليه مطولًا ثم أعاد سؤاله : عايز كام يا مازن فلوس كورسك؟ مش كانت ٣٠٠ ؟ نطت لـ خمسماية امتى ؟

تنهد بضيق : عايز أروح بتاكسي علشان متأخر وعايز آكل أعمل ايه يعني ؟ ها؟

أخرج من محفظته وأعطى لأخيه الذي مد يده مسرعا ليحصيهم قبل أن يهتف باستنكار : ٣٥٠ مش هيكفوا يا إيهاب أنا ....

قاطعه بهدوء : مش معايا غيرهم فيا تاخدهم يا ما تروحش الكورس ووفرهم .

جرح مازن غاضبًا تبعته والدته وهو يصيح : مش هيكفوا وبعدين ؟ أعملكم ايه أنا ها؟ أنا أقل من كل زمايلي ، أعمل ايه بخمسين ها ؟ أروح مشي ولا أعمل ايه ؟

أخرجت والدته ورقة بفئة مائة جنيه وأعطتها لابنها تراضيه: خد اهو وما تزعلش ، يلا روح لكورسك .

راقبها إيهاب دون أن تلاحظ وهو يغلق باب غرفته ليرتدي ملابسه ، أغلق بابه وهو يتمتم متهكمًا : طبعا لازم تديله مش حبيب قلبك ؟! ما ينفعش تنزليه زعلان لكن التاني يولع ولا يتحرق ما يفرقش معاكِ أصلا .

أخرج ملابسه بهدوء وارتداها على مهل وفتح شباك غرفته ليتنفس ملء صدره قبل أن يختنق ، رفع رأسه للأعلى مغمضًا عينيه ودعاء صامت داخله لا يقوى على البوح به .

***

انتظرت حنين و والدتها برفقة أمجد خروج الطبيب ليطمئنهم على حالة والدها ، لحظات تمر كساعات ودقائق تمر دهرًا قبل أن يخرج فهرول إلجميع إليه ، سأل أمجد أولًا : دكتور علي طمني ايه الأخبار ؟

نظر إليه معاتبًا : يعني هو ماجبش يفلق عيلته تقوم انت تجيبهم كلهم معاك ؟

برر بإحراج : أنا كنت في البيت عندهم ساعة ما كلمتني المهم طمني ؟

ابتسم بعملية : هو بخير بس يا جماعة زي ما سبق وقلتلكم لازم الراحة ، هو بيجهد نفسه ، خلوه ياخد إجازة من الشغل أو يريح شوية ، ابعدوا عنه الزعل والإجهاد ده طبعا لو بتحبوه.

هتفت حنين مسرعة : احنا ما نقدرش نعيش من غيره أصلا مش بنحبه بس.

تساءلت صابرين بقلق : ينفع ندخله يا دكتور ؟

أومأ برأسه موافقًا ولكن أوقفهما يحذرهما: بلاش قلق أو توتر أو إجهاد حاولوا تخلوه مرتاح

شكره أمجد وتحرك معه لتمسك صابرين يد ابنتها بتحذير: لو قلتِ لابوكِ ان أمجد ضربك أو عايزة تتطلقي هيروح فيها أديني نبهتك اهو ، عقلك في راسك انت مش صغيرة لا انتِ أول واحدة تتخانق مع جوزها ولا آخرهم.

تركتها ودلفت لغرفة زوجها لتقترب منه معاتبة إياه على عدم راحته وإصراره على العمل كل يوم بالرغم من تحذيرات طبيبه .

لحقتها حنين التي وقفت لبرهة تنظر بصدمة لوالدتها التي تتجاهل إهانتها من قبل زوجها ثم دلفت إلى الغرفة وحاولت أن ترسم ابتسامة على شفتيها وما إن رأت والدها حتى ألقت نفسها بين ذراعيه قبل أن تعاتبه هي الأخرى بحب وتطلب منه الراحة

انضم أمجد بعد قليل ليطمئنهما على حالته

لاحظ عبدالقادر شحوب وجه ابنته وحزنها فسألها بشك : حنين مالك يا بنتي ؟ قلبي بيوجعني كل ما بشوفك كده

ابتسمت بسرعة قبل أن تقبل يده : حبيبي أنا بخير انت مش عارف يعني بحبك قد ايه ؟ اخرج من هنا وأنا أبقى كويسة .

ابتسم ثم سألها بحيرة : انتوا عرفتوا ازاي ولا جيتوا ازاي ؟ وانتِ يا صابرين ؟ اتلميتوا على بعض ازاي ؟

توتر الجميع إلا أمجد الذي ابتسم بثبات : أنا وحنين كنا في البيت عندك يا عمي بنزوركم لما دكتور علي اتصل بيا فغضب عني اضطريت أقولهم وأجيبهم واجي على هنا .

ابتسم عبد القادر بارتياح : طيب الحمدلله أنا بخير فخد مراتك بقى وروحوا بيتكم يلا وأنا هخرج شوية كده بعد ما المحاليل دي تخلص .

حاولت حنين الاعتراض ولكن أوقفتها والدتها بنظرة محذرة : أبوكِ عنده حق روحي انتِ مع جوزك وأنا هاخد أبوكِ وأروح البيت.

تقابلت نظراتهما، فحنين ترفض العودة لبيت زوجها ولكن والدتها تستغل تعب أبيها ، علق عبدالقادر بحيرة : مالك يا حنين يا بنتي ؟ بتبصي لأمك ليه كده ؟ كلميني عايزة تقولي ايه ؟ كلميني أنا يا حبيبتي .

ابتسمت لوالدها بشحوب : أنا بخير بس بقول خليني معاك النهارده أطمن عليك وبعدها أبقى أروح البيت ، عادي يعني .

حاول أمجد أن يعترض ولكن أوقفته حنين بإصرار : هفضل النهارده مع بابا أطمن عليه .

اعترض بحنق خفي: بس يا حنين الحمدلله الدكتور ...

قاطعه عبدالقادر : سيبها معايا النهارده وبكرا تبقى تروح البيت الدنيا مش هتطير ، خليها واحشاني .

تدخلت صابرين بضيق : يا عبدو سيبها مع جوزها وأنا معاك و ...

قاطعها بلهجة غير قابلة للنقاش: بنتك عايزة تبات معانا في ايه يا صابرين ؟ سيبيها براحتها هو ايه؟ البنت بتتجوز خلاص يعني ما ينفعش تروح بيت أبوها ؟ خلاص قالت هتقعد معايا يبقى تقعد معايا اقفلوا الحوار ده انتوا الاتنين.

اقتربت من والدها بابتسامة: ربنا ما يحرمني منك أبدا .

ابتسم بحنان أبوي: ولا منك يا قلبي الصغير انت .

خرج أمجد تتبعه صابرين وبعد أن أغلقت الباب خلفها قالت بصوت هامس : بكرا تبقى تيجي تاخدها ما تقلقش بس أمجد لو الموضوع ده اتكرر أنا بنفسي اللي هطلقها منك ، بنتي انت شايف أبوها بيعزها ويدلعها ازاي فانت ما تهينهاش .

أومأ برأسه وظل يتحدث ويؤكد حبه واحتياجه وشوقه لزوجته قبل أن يعدها أنه لن يكرر فعلته مرة أخرى .

قضت حنين ليلة طويلة تحاول فيها أن تصل لقرار يخص حياتها فهل ستتحمل والدها جبر طلاقها أم تتحمل مرة أخرى ؟

دخلت والدتها لغرفتها وجلست أمامها بهدوء: طبعا أنا مش هقدر أجبرك ترجعي بيت جوزك بس البيوت يا حنين مليانة أسرار ومليانة وجع انتِ بس اللي كنتِ عايشة في وهم الحب والروايات والرومانسه ، الروايات دي بنقرأها علشان نخرج بيها من واقع الحياة المريرة اللي عايشينها لكن مش علشان ندمر حياتنا بوهمها

أمجد وعدني انه مش هيكررها تاني وأنا حابة انك تديله فرصة تانية ، اصبري عليه ، حنين أصعب سنة في الجواز كله هي أول سنة لو عدت الحياة بتكمل ، اصبري لحد ما تتعودوا على طباع بعض ، هو اتعصب وغلط بس انتِ كمان غلطتِ ، مفيش راجل بيتحمل أبدا ان حد يتغزل في جسم مراته قدامه ، هو اتجنن لما سمع الشباب دول فده كان رد فعله ، ضربك قلم ولا قلمين الدنيا مش هتتهد ، الحياة فيها أسوأ منه كتير ، في الراجل البخيل وفي السكير وفي الشحات اللي مش عارف يصرف على بيته وفي اللي بيخرج مراته تشتغل وفي ألف نوع ونوع جوزك مش منهم ، جوزك بس غيور وده سهل علاجه، كل المطلوب منك تراعي لبسك وتصرفاتك فقط لكن هو كريم مكفي بيته ، بيحبك ، بيجيبلك كل اللي بتتمنيه ، فهنا انتِ بتتبتري على النعمة يا حنين ، فكري بعقلك واكبري مش هقولك غير كده ، اكبري لو سمحتِ - ضمتت لوهلة ثم أكملت بتلميح - بعدين أبوكِ بيلوم نفسه طول الوقت انه سمحلك تتمادي في أحلامك فبلاش توجعيه أكتر وأكتر بفشلك في زواجك ، بلاش تموتيه بحسرته عليكِ أرجوكِ كلنا محتاجينه فبلاش تكوني أنانية في تفكيرك ومش قادرة تتحملي تكوني ست بيت

تركتها بعد أن أشعلت داخلها نيران لا نهاية لها ، حملتها تعب والدها وحملتها غضب زوجها ، هل ما قامت به وإن كان خطأ يستحق هذا الضرب وهذا اللكم ؟ أليس هناك حوار يوضح الخطأ من الصواب ؟ كيف ترتضي لها والدتها هذا الضرب وهي من رأت أثر الكدمات بعينيها والآن تسميه صفعة أو اتنتين ؟ هل ما رأته أثر صفعة أو اثنتين ؟ أم أنها تتغافل عن عمد لتعيدها لبيت أمجد فلا يشمت بها أحد ؟

أغمضت عينيها بإرهاق لعلها تنعم ببعض النوم فتريح جسدها المتهالك وتريح عقلها من التفكير.

***

انطوت سارة على سريرها الصغير تندب حظها المرير وتلعن ذلك الغادر الذي أقنعها بحبه بل جعلها تحلق في الفضاء وتحلم بشقته الفارهة وحياته المترفة ، أغمضت عينيها وتركت لدموعها العنان ، بكت وبكت حتى جفت الدموع ، مسحت وجهها ونظرت لانعكاسه في المرآة أمامها ثم تحولت ملامحها لشراسة غريبة وقد اتخذت قرارها؛ فهي لن تنسحب بهدوء أبدًا ولن ترضى بالقليل ، فكما دمر هشام أحلامها ستدمر هي بيته الهادئ وستحطم تلك الصورة التي رسمها أمام جميع أصدقائه .

نظرت لأدوات زينتها وأمسكت بالفرشاة وبدأت في تزيين وجهها ؛ فهي اليوم ستعلن انتصارها دون شك

بعد مدة نظرت لمرآتها بنظرة رضى ثم خرجت بهدوء ليقاطعها والدها بفظاظة: رايحة فين يا بت بالمنظر ده ؟ انتِ كده رايحة الشغل يا جيلتها ولا رايحة فرح ؟

نظرت لوالدها بغضب : ده يونيفورم البنك سلامة النظر يا أبا

اقترب منها مهددًا ولكن قبل أن يرفع يده أخرجت ورقة بفئة المائة جنيه ووضعتها أمام عينيه صبح نفسك يا أبا وانزل هات فطار محترم انت بتتعب برضه .

ابتسم والدها بطمع وهو يخطف تلك الورقة ويهتف الا بتعب يا بت ، ناصحة زي أبوكِ ، روحي الله يسهلك .

ابتسمت بغثيان منه وابتعدت وهي مصممة أن تخرج من هذا البيت للأبد بأي طريقة ممكنة

اتصلت بصديقتها هايدي وطلبت منها أن تشغل مكانها لأنها ستتأخر قليلًا

انتظرت بهدوء أمام بنايته تراقب سيارته إلى أن رأته يخرج بملامح مسترخية يتوجه إلى سيارته ثم استقلها وتحرك مبتعدًا ، تحركت مسرعة وانتهزت فرصة ابتعاد البواب فدخلت واحتارت فهي لا تعلم بأي دور يسكن هشام ؟؟

قررت أن تجازف فمعظم الشقق عليها اسم صاحب الشقة من طبيب لمهندس لغيره

صعدت أول طابق ولكن كل الشقق بأسماء مختلفة كذلك في الدور الثاني ثم في الثالث وجدت اسمه أ / هشام الصاوي .

ابتسمت بانتصار وهي تضغط على زر الجرس الصغير وقلبها ينبض بعنف ، فُتح الباب أمامها لتطل فتاة جميلة بريئة لا علم لها أن حياتها ستتحطم بعد لحظات ، نظرت هدير إليها بحيرة : خير إنتِ تايهة ولا ايه ؟

ابتسمت سارة بتكبر : هو مش ده بيت هشام برضه ولا غلطانة في العنوان ؟

تعجبت هدير وقلبها ينبض بعنف هل آن الأوان أن ينكشف زوجها أمامها ؟ ردت بصوت متحشرج : بيته انتِ مين ؟

ابتسمت وهي تجيبها : زميلته في البنك .

لاحظت هدير أنها بالفعل ترتدي زي البنك ، نعم مختلف قليلًا ومتير قليلًا ولكن نفس ألوانه ، راقبتها بهدوء قبل أن تنتبه لها تتحدث بسماجة: مش هتدخليني ولا ايه ؟ ده أنا حتى حبيبة هشام أوي .

ابتلعت لعابها بتوتر قبل أن تفتح بابها بشك : حبيبته ازاي يعني ؟

دخلت سارة وهي تتلفت حولها وتتأمل فخامة شقته ولكنها ليست مثل الأخرى ، نظرت حولها بابتسامة ذات مغزى: حلوة شقتك بس التانية أحلى أو ممكن نقول أفخم .

رددت هدير بحيرة : تانية ؟ أنهي تانية تقصدي ؟ انتِ مين وعايزة ايه ؟

انتبهت سارة لذلك الطفل الصغير الذي يجلس بهدوء وسط ألعابه وفكرت لوهلة أن تتراجع فما ذنبه أن والده بتلك الحقارة ؟ ولكن ما ذنبها هي أيضًا ليحطم أحلامها ويكسر قلبها؟ فلقد أحبته

نظرت إلى هدير قبل أن تجلس وتضع ساقًا فوق الأخرى بخبث : أنا سارة حبيبة هشام أو كنت حبيبته .

صاحت هدير بصدمه رافضة أن تسمع المزيد : انتِ كذابة اطلعي برا بيتي شكلك غيورة و ..

ضحكت سارة ضحكة مستفزة : انتِ حاية تدفني راسك يعني تحت الرملة ولا عارفة وراضية وساكتة ؟

وقفت أمامها بتحد: جوزي بيحبني انتِ فاهمة ؟

ضحكت سارة مجددًا : جوزك اللي بيحبك مش معرف حد أصلا في البنك انه متجوز و

قاطعتها هدير بتبرير: عارفة علشان مدير البنك راجل رخم وبيرخم على المتزوجين و

قاطعتها ضحكة سارة المجلجلة : مدير البنك ؟ أبو حنين ؟ دي الكدبة اللي قالهالك ؟ وايه كمان قالك ايه كمان ؟

علقت هدير بانفعال : لو سمحت.....

قاطعتها سارة وهي تقف غاضبة : مدير البنك ألطف مدير ممكن تعرفيه، وجوزك مخبي انه متجوز علشان يعرف يتسرمح مع البنات مش علشان حاجة تانية .

علقت هدير بغضب : وأنا ايه يجبرني أصدقك ها؟

ابتسمت سارة بمكر وهي تقترب منها : أنا كنت آخر بنت مع جوزك كنت فاكره انه بيحبني وهيتجوزني وكل يوم بخرج معاه لحد ما اكتشفت امبارح انه متجوز .

ابتسمت هدير بتهكم وهي تحاول إخفاء مشاعرها : فقلت أما اروح أخرب بيته زي ما هو رفضني صح ؟

تعجبت سارة من إصرار هدير على خلق الأعذار لزوجها : بقولك كنت معاه ، بنخرج مع بعض ، بناكل مع

بعض ، لسه من كام يوم كنت بحتفل في شقته التانية بعيد ميلاده بس كان مجهز أوضة النوم ولما رفضت اتجنن وعلشان كده بقولك شقته التانية أفخم من دي بمراحل .

حركت رأسها برفض : انتِ كدابة ، كدابة واطلعي برا .

ابتسمت سارة ومدت يدها لهدير بثقة : هاتي موبايلك لو عايزاني أثبتلك خيانة جوزك يمكن تفوقي من الوهم اللي انتِ عايشة فيه ، ولا انتِ حابة دور المضحوك عليها المسكينة اللي قاعدة تستنى جوزها كل يوم ؟ اتخيلت اني هشوف واحدة بشعة ومبهدلة مش بجمالك ورقتك دي ، جوزك مالهوش حق أبدا يخونك بالشكل ده كل يوم ، مالهوش حق وانتِ مالكيش حق تقبلي إهانة زي دي .

علقت هدير بمرارة : وانتِ يهمك في ايه ؟

أجابتها بصدق : انتِ ما تهمينيش بصراحة بس هو وجعني ودمر أحلامي وكسرني وأنا عايزة أنتقم منه ، مش هكدب عليكِ وأكلمك بشكل تاني بس موجوعة وعايزة أوجعه ، هاتي رقمك وهكلمك وهو معايا تسمعيه بنفسك بينكر وجودك انتِ وابنه .

بتردد أخرجت هاتفها فما كان من سارة إلا أن ابتسمت : طيب أنا هثبتلك اني مش بكدب عليكِ .

أخرجت هي هاتفها وبحثت بين الأرقام حتى وجدت رقم هشام لتضعه أمام زوجته: مش ده رقمه ؟ هكلمه قدامك .

دق قلب هدير مع كل جرس للهاتف وهي تدعو الله أن لا يجيب زوجها أو ينكر معرفته بها ولكن أتى صوته مرحًا : سارة ازيك ؟ فينك مش في الشغل ليه ؟ اوعي تقولي هتغيبي مش هقدر أكمل اليوم من غيرك .

ابتسمت وهي تنظر لزوجته المصدومة وتعلق بخبث: لو ماجيتش النهارده ينفع أشوفك ؟

أجابها مسرعًا : طبعا انتِ تؤمري ، أقابلك فين ؟ والساعة كام ؟

أجابته بمكر : عايزة أروح شقتك تاني يا هشام بس أوعدك المرة دي هبسطك مش زي يوم عيد ميلادك ، ايه رأيك ؟

أجاب بلهفة: بتتكلمي بجد ؟ أخيرا هتيجي ونقعد براحتنا ؟ ولا هتعملي زي المرة اللي فاتت وتقوليلي معرفش ايه ؟

ابتسمت وهي تنظر لزوجته التي فرت الدماء من وجهها ثم أكملت: ولا يهمك هنقعد براحتنا ومش هقولك معرفش ايه ، ابعتلي اللوكيشن وخلينا نتقابل بعد ساعة هناك هتعرف تمشي من البنك ولا ايه ؟

صاح بتأكيد : جاي أكيد ماهو لازم نتكلم ونحط النقط على الحروف ، وبعدين الأستاذ عبد القادر تعبان ومجاش أصلا النهارده ساعة ونتقابل يا قمر .

أغلقت الهاتف وهي تنظر إليها بهدوء: صدقتِ ولا لسه ؟

أعلن هاتفها عن وصول رسالة لتفتحها وتضعها أمام وجهها : ده لوكيشن الشقة التانية اللي بيقابل فيها عشيقاته ، بس أنا مش منهم وصدقيني ماكنتش أعرف انه متجوز ، أنا فكرته بيحبني بجد وهيتجوزني عمري ما تخيلت أبدا انه بيلعب بيا بالشكل ده ، سامحيني لو بوجعك بس أعتقد توجعي أرحم كتير من انك تعيشي في وهم حب راجل ما يستاهلش ظفرك ولا ظفر ابنه ، راجل بينكر وجودكم في حياته ، لو حابة أبعتلك اللوكيشن وشوفي ناوية تعملي ايه ؟

طال صمتها فتوجهت سارة للخارج وقد بردت نارها قليلًا بعد أن كشفته أمام زوجته ، أوقفتها هدير بنبرة خالية من الحياة: ابعتيلي اللوكيشن أنا هروح أقابله هناك.

ابتسمت سارة بانتصار وعادت أدراجها لتأخذ رقم هاتفها كي ترسل إليها موقع شقته .

***

جلست أميرة في مكان محاضرتها شاردة تمامًا فلم تنتبه إليه وهو يجلس بجوارها إلا بعد أن تحدث : عاملة ايه ؟

انتفضت وتلفتت حولها بخوف: انت بتعمل ايه هنا ؟ حد ...

قاطعها بهدوء : حد ايه ؟ احنا جوا محاضرة ، أكيد مش هيراقبك جوا محاضرة ، اهدي بدل ما الدكتور ياخد باله ويطردنا ويبقى شكلنا وحش .

نظرت أمامها بتوتر إلى أن هتف هو بلهجة صادقة: واحشاني بجد ومش عارف أشوفك وانت بتهربي على طول ،طمنيني أخبارك ايه ؟

أجابت باقتضاب : أنا كويسة يا أحمد ممكن تمشي بقى لمحاضراتك لو سمحت ؟

ابتسم وهو يسند رأسه وينظر إليها باستمتاع : دي أجمل فكرة خطرت على بالي من ساعة ما عرفتك ، أشوفك هنا تكوني مربوطة قدامي وما تقوميش تجري مني .

نظرت إليه مطولًا بحيرة، فهي لا تفهم سر تمسكه بها او سر اهتمامه ، علقت بحيرة واضحة : انت عايز مني ايه يا أحمد ؟

أجابها ببساطة وهو ينظر أمامه : احنا أصدقاء والأصدقاء بيهتموا ببعض ولا ايه ؟

تنهدت بتعب : بس احنا مش أصدقاء وما ينفعش نكون أصدقاء وماعنديش أصلا دول يادوب كام بنت عارفاهم هنا بتكلم معاهم لو كان عندي وقت لكن أمجد صرح اني ما ينفعش يكون عندي أصحاب فما بالك بصاحب ولد؟ (نظرت إليه بحيرة وأكملت) إلا احنا عرفنا بعض ازاي وليه ؟

ابتسم وهو يجيبها بهدوء : عرفنا بعض وانتِ في المكتبة بتصوري ورق وبعدها الراجل لخبط ورقنا في بعض وكنا كل يوم نلاقي ورق لبعض ونكلم بعض انت تديني ورقي وأنا أديلك ورقك ، وفضلت كل يوم أديلك ورقة واحدة علشان كل يوم ألاقي حجة أكلمك بيها .

تعجبت من تذكره لهذه التفاصيل : حجة ؟ ليه ؟

ابتسم وهو يتذكر بدايتهما: أعملك ايه يعني ؟ بتخلصي محاضراتك وتجري ، تصوري ورق وتجري ، تقريبا طول الوقت بتجري فلازم يكون في سبب وضروري كمان علشان تقفي تتكلمي .

علقت بحزن : أمجد بيحسب وقت نهاية المحاضرة وبيحسب وقت المواصلات ولو الطريق واقف أو زحمة لازم أكلمه وأبلغه انا فين بالظبط والطريق واقف فين علشان يقدر وقت وصولي ، أنا تعبت من الحياة دي أوي .

ابتسم وهو يطمئنها بحنان: بكرا هتفرج وهتقولي أحمد قال، بكرا هتفرج يا ميرو .

***

توجهت حنين إلى عملها بعد إصرار والدها ، قابلتها هايدي صديقتها التي جلست أمامها بفضول مشتعل : طمنيني عمو عمل ايه لما قلتيله ؟ هتتطلقي صح ؟

تنهدت بتعب : ما قلتلهوش لسه ، ماما عايزاني أرجع و

قاطعتها بصدمة : ترجعي ؟ أوعي يا حنين اوعي ، هيعملها تاني وتالت لو رجعت، ده مش ليك يا حنين الراجل ده أنا مش عارفة ابيه ازاي غمضت عينيك عن كل مخاوفك قبل الجواز ! من ساعة ما اتخانق معاك

أول خروجة ليكم كان لازم تفهمي انه معقد ، يوم الخطوبة ، يوم ما بعتلك الفستان ، في ألف موقف ظهر قدامك وانتِ غمضتِ عينيكِ ، ليه غمضتِ عينيكِ ها ؟ ودلوقتي بدل ما تقفي وتقولي لا مكملة برضه انك تغمضي عينيكِ ! ولو ضربك تاني هتعملي ايه ؟ ولو قتلك ؟ انتِ بتكرهيه مش بتحبيه علشان تسامحيه فليه ترجعي ؟

أوقفتها حنين بغضب وقلة حيلة: بابا تعبان يا هايدي ، مش هكون أنانية وأقوله طلقني وهو تعبان كده يروح فيها .

أمسكت يدها بجدية : أبوكِ حاسس بيكِ يا حنين وكل ما يشوف الحزن في عينيكِ هيتعب أكتر وأكتر ، سعادته لما يشوفك مبسوطة مش لما تضحكي عليه وتستمري في علاقة مؤذية !

أغلقت باب النقاش بعجز : مش هقدر أقوله دلوقتي واقفلي الكلام ده ورانا شغل يلا .

راقبتها هايدي وهي تبتعد متعجبة أين ذهبت رفيقتها ؟ ومن أين أتت هذه الخاضعة ؟

***

توجه هشام مسرعًا إلي شقته السرية بعد استئذانه لينصرف من عمله واشترى بعض الاحتياجات من تسالي ومشاريب وبعض العصائر ، دلف شقته وأعد مائدةِ الطعام وأشعل بعض الشموع كما شغل جهاز الاستريو بموسيقى ناعمة

نظر إلى ساعته وطمأن نفسه فلم تمر الساعة بعد .

أخيرًا رن جرس بابه ليتوجه إليه مسرعًا وهو يحمل كأسًا في يده ويهتف : أخيرًا

لم يكمل كلمته حيث صدم بزوجته أمامه ، حدق فيها وهو لا يصدق عينيه ، أمن المعقول أنه نام وهي حلم ؟ أم كابوس مزعج يتمنى لو يوقظه من نومه ؟

وقفت هدير أمامه وهي تحاول التماسك ولكن عبثًا ، طوال الطريق تجهز نفسها لرؤيته ولكن هيهات فرؤيته فعلًا يستعد لغيرها أصابتها بمقتل ، لمعت الدموع بمقلتيها وحاولت أن تجد صوتها تعاتبه أو تصرخ فيه ولكن أبت الدموع أن تسقط وأبى الكلام أن يخرج فحركت رأسها أسفًا واستدارت لتنصرف من أمامه لكنها قبل أن تتحرك أمسك ذراعها برجاء: هدير استني اسمعيني يا حبيبتي

سحبت ذراعها بعنف وصرخت فيه بقهر : اوعى تلمسني

سحب يده مسرعًا ولكن وقف أمامها بتوسل : اهدي يا قلبي وادخلي ، دي الشقه كنت واخدها وبجهز فيها علشان أعملهالك مفاجأة في عيد جوازنا ، عيد جوازنا قرب صح؟ ادخلي شوفيها طالما وصلتِ لحد هنا ، تعالي .

حركت رأسها بصدمة ، فهو يكذب بمنتهى البراعة ، إن لم تكن سمعته بأذنيها وهو يتفق مع سارة على موعدهما فلربما صدقت كذبته .

بينما أكمل هو بتوتر: شوفي ادخلي تعالي .

حركت رأسها برفض لسماع صوته وقالت ببكاء: كفاية كدب بقى ، انت ايه ؟ كفاية .

أمسك ذراعها مجددًا بتوسل : استني في ايه فهميني ؟ دي شقتنا الجديده مالك بقى ؟

قاطعه وصول سارة بغنج : انتِ حبيبي

نظر إليها بغضب : انتِ مين وعايزه ايه ؟ (نظر لزوجته بخوف واكمل) انا ماأعرفهاش صدقيني وحياة ...

قاطعته صارخة بعنف: إياك تحلف بحياة حد فينا كدب ، إياك .

وقفت سارة أمامه تتغنج : مين دي يا حبيبي ؟ ها؟

نظر إليها متوعدًا بينما ضحكت هي بشماتة : مشيها بقى علشان نعرف نقعد براحتنا .

صرخ هشام بكره: غوري من هنا ، أنا ماأعرفكيش ، انتِ جاية ترمي بلاكِ عليا ولا ايه ؟

ابتسمت هدير بوجع : مش هعطلك انت مجهز القعدة جوا ، دخلها وبلاش تمثيل بعد إذنكم .

حاول اللحاق بها لكن أمسكت سارة ذراعه بحدة : مين دي؟ رد عليا أنا

أبعد يدها بعنف تبعها بمسك رقبتها يخنقها بعدما تيقن أنها هي مَن وصلت لزوجته وأخبرتها بموعدهما هنا ، وإلا من أين لها هدير بمعرفة الشقة وتوقيت وصول سارة ؟ : انتِ فاكرة نفسك ناصحة ؟ قسما بالله أقتلك وأدفنك و ما حد يعرفلك طريق ، غوري من هنا هفضالك بعدين .

نزل مسرعًا خلف زوجته عله يعيد إصلاح ما أفسدته سارة .

راقبته سارة وهو يتحرك بسيارته مسرعًا وابتسمت بانتقام: مش هتلحقها المرة دي ومش هتعرف تكدب عليها تاني ، دلوقتي أروح البنك أكمل فضيحتك يا أستاذ هشام .

توجهت إلى البنك وقبل أن تدخل أفسدت من زينة وجهها و وضعت قطرة بعينيها فتبدلت ملامحها كليًا وهي تدلف وتذرف الدموع الكاذبة وتتهاوى في مشيتها ، أخذ الكل ينظر إليها وهي تقترب من صديقاتها ، ما إن لمحتها دعاء حتى وقفت مسرعة بدهشة : في ايه يا سارة مالك ؟ تعالي .

نحبت وهي تتمتم بوهن : الواطي الكداب .

التف حولها بعض زملائها وهي تنتحب والكل يحاول تهدئتها ، هتفت هايدي بتعجب: في ايه حصل؟ ومين الواطي ده ؟

نظرت إليها وهي تمسح دموعها المزيفة : أكيد كلكم لاحظتوا اني والأستاذ هشام قريبين من بعض ، مثل انه بيحبني ، مثل عليا الدور وصدقته الواطي .

قلبت هايدي شفتيها بامتعاض : وبعدين ؟ عمل ايه أستاذ هشام ؟

نظرت للكل حولها لتتأكد من أن كلماتها ستسمع من الجميع: تخيلوا وعدني بالجواز وأتفاجئ النهارده انه متجوز ومخلف كمان ؟ تتخيلوا ؟ حد يعرف انه عنده ولد عمره تقريبا سنتين ؟ ليه كل ده؟ ليه يضحك عليا ؟ ليه يوهمني بالحب ؟

أغمضت حنين عينيها بتعب وتركت ذلك الجمع ، جلست على مكتبها وهي تزداد يقينًا يومًا بعد يوم أن لا وجود للحب ، لا وجود له على الإطلاق .

انتبهت على وقوف أحد ما فوقها فرفعت رأسها لتتفاجأ بزوجها أمامها يهتف بابتسامة : حنين حبيبتي

نظرت إليه بغثيان : لو عندك أي طلب روح لخدمة العملاء أو الاستقبال

كرر وهو يجلس أمامها : حبيبتي علشان خاطري سامحيني ، حقك عليا ، بس صدقيني غصب عني

قاطعه وصول أحد العملاء: لو سمحت أنا كان عندي استفسار بخصوص شهادات الاستثمار؟

ابتسمت بعملية وهي تجيبه : اه اتفضل حضرتك (نظرت لزوجها بحدة قائلة) عندي شغل بعد إذنك .

أكد بغضب : هستناكِ تخلصي عادي

سحبت نفسًا مطولًا محاولة السيطرة على انفعالاتها ثم ابتسمت في وجه العميل أمامها : اتفضل قول سامعاك ؟

انهال عليها بأسئلته وهي تجيبه باستفاضة على أمجد يمل فينصرف من أمامها ،لكنه مصمم

سألها العميل بابتسامة : انتِ تنصحيني بايه ؟ رأيك الخاص يعني ؟

قبل أن تجيبه حنين تدخل أمجد بغضب : هي بقالها ساعة بتشرح لحضرتك مميزات كل نظام لكن مش من بقية أهلك هي علشان تقولها تنصحك بإيه؟! فاحترم نفسك شوية واتكلم بأدب وإلا ....

قاطعته حنين بصرامة تحت أنظار العميل المتسائلة عن ماهية هذا الشخص الذي يفتقد لآداب الحديث : دكتور أمجد ما تتدخلش في شغلي لو سمحت واتفضل من هنا .

نظر إليها بصدمة : انتِ بتطرديني أنا ؟ مش هو ؟

أجابته بحزم : هو عميل ومن حقه يستفسر ولو تمادى أنا أعرف أوقفه كويس (نظرت للعميل أمامها وأكملت) أنا آسفة يا فندم هو ....

لم تكمل جملتها حتى أمسك أمجد ذراعها وسحبها دون أي مقدمات : انتِ مراتي وأنا لا يمكن أسمح بالمهزلة دي .

صدمت حنين من تصرفه وحاولت إيقافه ولكن دون فائدة، لمحها سمير فوقف أمامه بحدة : في ايه ؟ خير ؟

أجابه ببرود : واحد ومراته نعم ؟ عايز ايه ؟

وقف بوجهه بقوة: حنين زي أختي الصغيرة (نظر لحنين وسألها) تحبي أطلب الأمن يطلعوه برا ؟

فكرت أن توافق ولكن تخيلت رد فعل والدها إن علم بكل ما حدث فهزت رأسها برفض وحاولت أن تبتسم بوجهه بشحوب : ده مجرد خلاف يا سمير متشكرة لتدخلك بس معلش خدلي إذن وبلغ هايدي اني روحت .

أكد أمجد بفظاظة : اديك سمعت اهو بنفسك ، بعد إذنك .

تحرك خطوة لتوقفه حنين بنفور : شنطتي وموبايلي .

ترك ذراعها بحدة: هاتيهم وتعالي وإلا قسما بالله يا حنين

رمقته بغضب وهي تبتعد لتحضر حقيبتها ، لمحتها هايدي فاقتربت منها بعصبية : خليك وهكلم الأمن يطردوه برا .

تنهدت بتعب : مش وبابا تعبان يا هايدي ، لما يخف الأول بعدها ربنا يسهل ، سلام

تحركت برفقته وما إن استقرت داخل سيارته حتى تحرك مسرعًا ، قاطعت صمته بحدة: وصلني البيت عند بابا .

نظر إليها متعجبًا : ما انتِ هناك من امبارح واحمدي ربنا اني سيبتك تباتي هناك لكن خلاص هترجعي بيتك .

نظرت إليه بغضب : مش عايزة أرجع بيتك يا أمجد ، مش عايزاك كلك على بعضك .

ابتسم بسماجة وهو يجيبها : مش بمزاجك ، مش بمزاجك يا حنين .

أوقف سيارته أمام منزله وترجل منها وساعدها أو بمعنى آخر سحبها بعنف ليوقفها على قدميها ولم يلاحظ أخته المصدومة وهي تراقبه يدلف إلى المنزل يجر زوجته جرًا

صعد إلى شقته ولم يتوقف إلا في غرفة نومه ثم ألقاها على الفراش بعنف ، فصاحت بغضب : مش هسمحلك تلمسني بالشكل ده تاني وتغتصبني و....

قاطعها مقهقها باستخفاف: أغتصبك ؟ ده بجد ده ؟ انتِ مراتي وده واجب وفرض عليكِ مش اغتصاب ، اتفضلي اقلعي هدومك دي

حركت رأسها برفض : مش هقلع ومش هتقرب مني ومش ....

قاطعها مقتربًا بتهديد: بلاش أقطع اليونيفورم ده كمان ، اقلعيه بالذوق

رفضت وهمت أن تبتعد ولكن أمسك ذراعها وبدأ بتجريدها من ملابسها بعنف وهي تحتج صارخة لكنه أوقفها بضربة عنيفة أوقعتها أرضًا فخارت قواها وأكمل هو ما بدأه بعنف لينهيه بعنف أكثر قبل أن يبتعد لاهثًا : ده اسمه اغتصاب عرفتِ الفرق ؟ بعدين سيادتك فاشلة وباردة ومعدومة الإحساس أعملك ايه يعني ؟

أمسك ذراعها ليوقفها رغمًا عنها وهي تحاول بضعف منعه أو ستر جسدها لكنه لم يبال و أوقفها أمام المرآة ووقف خلفها ثم أمسك وجهها يثبته لتنظر إلى انعكاسها العاري ويتمتم بإهانة: شوفي نفسك ، جسمك مافيهوش أي حاجة مثيرة بالمرة أنثى خالية من الأنوثة واتقبلت ده ، مفيش معالم الست عندك وقلت مش مهم ، برودك واتحملته ، أنتِ ست باردة معدومة المشاعر ، واتحملت علاقة زوجية باردة خالية من المشاعر والأحاسيس وفي الآخر أنا وحش ؟ بغتصبك ؟ المفروض تحمدي ربنا اني قابل بيكِ بكل عيوبك دي ، أنتِ مفيش راجل ممكن يقبلك ويقبل برودك ، أنتِ ما بتقبليش العلاقة تفتكري ليه ها ؟ ما سألتيش نفسك ؟ أجاوبك أنا لأنك باردة وللأسف البرود ده مالهوش علاج فقبل ما سيادتك تتهميني بالاغتصاب والعنف و و و احمدي ربنا واشكريني اني ما رميتكيش من أول يوم لأبوكِ وقلتله بنتك مش ست ولا تعرف بأمور الستات و ما تنفعش زوجة أصلا ، احمدي ربنا اني سترت عليكِ وقبلت بيكِ ، بدل ما تتنطظي كده عليا حاولي ولو تمثيل يا ستي ترضيني شوية بدل ما أنتِ فاشلة في كل حاجة بالشكل ده ، عايزة تروحي بيت أبوكِ روحي بس هقول لأبوكِ على برودك ده وهقوله انك ناشز ورافضة زوجك ومش بعيد تكوني شاذة كمان .

أبعدته بعنف وهي تسد أذنيها بانهيار: أنا مش شاذة ولا باردة انت .....

قاطعها بقسوة: أنا ايه ها ؟ أنا زي أي راجل طبيعي أنتِ اللي باردة ، أنتِ اللي ما بتحسيش ، المشكلة عندك أنتِ وأي دكتور هيكشف عليكِ هيعرف ده فلو تحبي نتكلم ونفضح بعض ماعنديش مانع بس مش هسكت وهقول إنك عايزاني مش راجل معاكِ وبتسمي العلاقة الزوجية اغتصاب بس ادعي ربنا أبوكِ ما يروحش فيها لما يسمع عن شذوذ بنته ، يا ترى علاقتك بهايدي قوية ليه كده ؟ ولا هي ....

قاطعته صارخة بنفور مما يقوله وهي تضع يديها على أذنيها اخرس يا أمجد اخرس ، بطل تسوه كل حاجة بالشكل ده اخرس .

أومأ برأسه موافقًا بتوعد: هخرس حاضر بس أنتِ كمان اتلمي واخرسي بدل ما أتكلم قدام الكل وكلامي مش هيعجب حد نهائي ، وآه شغلك في البنك انسيه مش هتروحي تاني .

تركها تندب حظها وتفترش الأرض بصدمة عاجزة عن النطق بينما ارتدى هو ملابسه ببرود وتوجه لعمله .

كان يقود سيارته ويتساءل هل تجاوز الحد معها اليوم ؟ هل تسرع بأخذ هذه الخطوة المصيرية بعلاقته بها ؟ يعلم أن كل ما قاله مجرد إدعاء تعمد قوله ليكسرها ويفقدها ثقتها بنفسها وبأنوثتها ، ويعلم يقينًا أن جهلها بأمور النساء أثناء العلاقة ميزة جعلته يتمسك بها أكثر ، كما يقر لنفسه أن براءتها هذه هي مصدر تعلقه بها ، ولكن ليستطيع الاستحواذ عليها يجب أن يكسر جموحها وتشبثها بوالدها، فهو مصدر قوتها وسندها، وهو يخيفها بتصويره لها أن عدم تفاعلها معه أثناء العلاقة برود وأن هذا البرود عار يكلل جبين والدها وهو ما سيقتل والدها لو علم به ، هو يراهن على برائتها وعدم خبرتها بتصديقه فتخاف، ويراهن أيضًا على ضعف علاقتها بوالدتها فهو قد هرها مسبقًا عندما جعل والدتها تتخاذل بالدفاع عنها بعد ما رواه لها عن عدم التزام ابنتها بأساسيات الأخلاق العامة بارتداء ملابسها وتصرفاتها عامة ، يأمل أن تنجح هذه الخطة وتصدقه، فإن

نجحت فحنين ملكه للأبد ليس هذا فقط بل كما يريد هو أيضًا ، يعلم أنه زاد الكيل عليها من تهم ومن ضرب ولكن عليه المخاطرة فليس من طبعه الصبر كثيرًا وهي استنزفت كل ذرة صبر لديه.

رن هاتفها العديد والعديد من المرات دون إجابة منها ؛ لقد انهار عالمها بأكمله وتمنت لو تنتهي حياتها أو تختفي من هذا العالم القاسي .

أخيرًا انتبهت على جرس الباب يدق بعنف فقامت لترتدي بعض الملابس وتتوجه للباب بضعف وما إن فتحته حتى صاحت هايدي بقلق : حرام عليكِ موتيني من القلق عليكِ .

تركتها ودخلت بوهن لتلقي بجسدها المتهالك على أقرب مقعد لها ، دلفت صديقتها وتركت الباب مفتوحًا ثم جلست أمامها بدهشة: فيكِ ايه؟ وعاملة كده ليه ؟

نظرت إليها بحيرة مزيفة: عاملة ايه ؟ ما أنا كويسة اهو .

أمسكت ذراعها تهزها بعنف : فوقي يا حنين ، قومي معايا نمشي من هنا ، أنا مش فاهمة أنتِ رجعتِ ليه أساسا ؟ باقية على ايه معاه ؟ الطلاق مش نهاية العالم .

هزت رأسها برفض : سيبيني يا هايدي دلوقتي مش عايزة أتطلق أنا ، سيبيني في حالي .

صرخت بها : أمجد هيقتلك فاهمة؟ هيقتلك هنا ، قومي معايا يلا ، قومي نمشي من هنا .

قاطعها صوت والدته الغاضب التي دلفت تقوم فين؟ وتطلعي مين انتِ يا اللي عايزة تخربي بيت ابني ها؟

نظرت إليها هايدي بغضب : ابنك ده معدوم الرجولة والإحساس و ...

قاطعتها صارخة بقسوة : اخرسي قال معدوم الرجولة قال، اطلعي برا بيتي يلا اللي تغلط في ابني مالهاش مكان هنا - نظرت لحنين ووجهت إليها الاتهام قائلة - وانتِ يا ست حنين جايبة أصحابك يغلطوا في ابني هنا قدامك ؟ ده اللي اتعلمتيه في بيت أبوكِ؟ الناس يغلطوا في جوزك كده عادي وما ترديش غيبته ؟ اخص على دي تربية

صاحت هايدي بغضب : ما كنتِ الأول تربي ابنك صح بدل ما تيجي تكلمينا احنا عن التربية ، كنتِ علمتيه الأدب والأصول ومراعاة بنات الناس ربنا ينتقم منه ويترده في أخ.

قاطعتها بهياج : اخرسي واطلعي برا، اطلعي برا.

أخرجتها والدته خوفًا من أن تكمل دعوتها؛ فابنها عانت الأمرين ولا تستحق مثل تلك الدعوة أبدًا .

عادت مجددًا تؤنب حنين : اخص عليكِ يا حنين بجد اخص عليكِ، ماكانش العشم أبدا .

تركتها مجددًا ونزلت لشقتها غاضبة ، بينما تلك الجالسة مكانها تشاهد ما يحدث بعينين فقدتا الحياة غير قادرة على إيقاف تلك المرأة عند حدها وهي تهين صديقتها أمامها ، حقًا فكل ما مرت به جعلها في حالة من التبلد والصدمة تشعر كأنها فقدت النطق !

بالأسفل أمسكت ثناء هاتفها بغضب واتصلت بوالدة حنين وهتفت دون مقدمات بعصبية : قولي لبنتك تصون جوزها مش تجيب صحباتها هنا يغلطوا ويشتموا فيه ! ابني دكتور مش عيل تغلط فيه هي وهم ، صاحبتها جاية تقولها اتطلقي وقومي امشي ؟ وتقولي ابنك عديم الرجولة ؟ ابني لو عديم الرجولة كان ساب بنتك تدور على حل شعرها وتلبس محزق وملزق بس علشان هو رافض بقى كخة ووحش ، أنا المرة دي اكتفيت بطردها لكن لو جت تاني هتعامل معاها بشكل بيرعل ، مش هسمح لحد يغلط في ابني بالشكل ده واسكت يا أم حنين

أغلقت الهاتف بعنف دون انتظار ردها لتتفاجأ بابنتها أمامها تهتف بتعجب : انتِ ازاي قادرة تعملي كده ؟

انتِ عارفة إن ابنك سيئ لا يطاق وعارفة انه ظالم البنت اللي فوق وليك عين تكلمي أمها تشكيها ؟ انتِ عارفة ؟ انتِ أسوأ من أمجد ألف مرة ، انتِ اللي عملتِ أمجد بالشكل ده وربنا مش هيسيبكم لا ، ربنا هينتقم منكم انتوا الاتنين بس انتِ أكتر لأنك شجعتيه يدوس على الكل ويبقى جبروت بالشكل ده .

صُدمت والدتها مما سمعته وحدقت بابنتها غير مصدقة أنها استطاعت قول كل هذا لكنها صاحت بها بقسوة: غوري من وشي وإلا هخلي أمجد يأدبك ، الظاهر اني كنت غلطانة وأنا ببعده عنك بس ملحوقة ، ملحوقة يا هانم.

تحركت من أمامها بغيظ وبعد تردد صعدت لتطمئن على حنين ، فهي مظلومة في هذا البيت مثلها ولربما أكثر منها .

صعدت وفتحت الباب بمفتاح الطوارئ بعد أن ضربت الجرس العديد من المرات ، دخلت بحذر لتجد حنين مكانها تجلس وتضم جسدها بيديها شاردة و دموعها تنزل بصمت ، جلست أمامها وحاولت التخفيف عنها ولكن لم تجد حرفًا واحدًا لمواساتها ؛ فاكتفت بالجلوس في صمت تام .

حاولت أميرة أن تقتحم أسوار حنين الصامتة ولكن دون جدوى ، رن هاتفها العديد من المرات لتحضره أميرة وهي تهتف : أبوكِ بيرن يا حنين هتكلميه ؟ تلاقيه قلقان .

نظرت إليها بشحوب ومدت يدها لتأخذ الهاتف لتجيب أباها محاولة رسم ابتسامة أو أن تتكلم بشكل طبيعي ، طمأنت والدها وأقنعته بأنها بخير و وعدته بزيارته قريبًا .

أغلقت الهاتف و وضعته بجانبها ثم نظرت لأميرة بضعف أنا كويسة انتِ مش مضطرة تقعدي جنبي ، ولا لازم تقدمي تقرير له لما يوصل ؟

تعجبت لوهلة ثم اقتربت منها بتوضيح: حنين أنا مش جاية علشان أمجد طلب مني ، أنا جيت أطمن عليكِ.

نظرت إليها بتهكم : كتر خيرك .

اعترضت بهدوء : أنا بجد عايزة أطمن عليكِ ، انتِ كويسة ؟

علقت حنين بوجع : لو بتهتمي بغيرك كنتِ نبهتيني قبل ما ادخل بيته ، لما هو صعب بالشكل ده ليه سايبينه يأذي بنات الناس ؟ مش خايفة على نفسك ربنا يرزقك بواحد ..

قاطعتها بسرعة تتوسلها : اوعي تكمليها أرجوكِ أنا بدعي ليل ونهار ربنا يخلصني منه ، بدعي على نفسي لو ده هيخلصني منه ، أنا زيك هنا لو انتِ موجودة هنا بمراجك فأنا زيك ، عايشة تحت ذله ورحمته وأمي ليل ونهار تأيده في كل كبيرة وصغيرة بس انتِ يا بختك عندكِ أهلك لكن أنا ماعنديش حد هو أهلي ، انتِ بنفسك شوفتِ بيعاملني ازاي ؟ فهل متخيلة اني ممكن أنبهك ؟ أو أساعدك ؟ ده يقتلني فيها ، بعدين جزء مني كان عنده أمل يتصلح حاله بعد ما يتجوز ومراته تعدله شوية .

ضحكت بتهكم مرير: تعدله ؟ مش هو بدمرها معاه يعني ؟ قومي يا أميرة بالله عليكِ سيبيني في حالي

وقفت باعتذار : انا آسفة يا حنين بس ماكنش في ايدي أي حاجة أعملها ، بس بالله عليكِ بلاش تدعي علنا أنا ربي زيك هنا في البيت ده.

خرجت وتركتها بمفردها ، أغمضت عينيها وكورت جسدها بوضع الجنين فوق أريكتها تفكر هل ما قاله صحيح ؟ هل هي باردة حقًا ؟ هل كل اتهاماته صحيحة ؟ أهي عديمة الأنوثة بالفعل؟ انخرطت في بكاءٍ حار رثاءً لحالها .

***

توجه هشام إلى شقته ليتفاجأ بها فارغة فاستشاط غضبًا من سارة التي هدت عشه الدافئ ، نزل مسرعًا ليلحق بزوجته قبل أن تصل لبيت والدها ، فلم يجد سيارتها أسفل المنزل وهذا معناه أنها لم تصل بعد، إذن فلينتظرها قليلًا ، جلس بسيارته يحاول ترتيب أفكاره والتفكير في بعض المبررات الواهية كي يبرز سبب تواجده في تلك الشقة ، لم يسعفه عقله الآن في الوصول إلى خطة ما أو أي أسباب يذكرها ، أخرج هاتفه ليتصل بها للمرة المائة دون جدوى .

أوقفت هدير سيارتها أمام حديقة ما ، ترجلت منها وجلست على أقرب مقعد وجدته ، تراقب بعض الأطفال وهم يجرون ويمرحون وتتعجب من حالها ، كيف اختلقت له الأعذار مرة بعد الأخرى ؟ كيف تجاهلت كل شكوكها بل وتعايشت معها ؟ كيف أشعلت أصابعها بلا فائدة ؟ كيف دفنت رأسها بالرمال وتجاهلت كل الحقائق الواضحة أمامها ؟ كيف رمت بتحذير أخيها ومحاولاته المستميتة كي ترى زوجها على حقيقته دون جدوى ؟ كيف وكيف وكيف ؟

هبت واقفة وعادت إلى سيارتها وتحركت بها لتقف أمام مكان عمل زوجها ، ربما تريد أن تتأكد بنفسها مما قالته سارة أو ربما تريد أن تمنحه عذرًا جديدًا؟

دخلت البنك و وقفت بحيرة ليسألها مسئول الأمن : خير يا فندم ؟ حضرتك عايزة ايه ؟

نظرت إليه بحيرة : الأستاذ هشام الصاوي تعرفه ؟

أبتسم ليومئ برأسه : طبعا مكتبه قدام على اليمين بس هو مش موجود حاليًا .

ابتسمت باقتضاب : حضرتك هو فين ؟ في بيته يعني ولا ايه؟ هو متجوز صح ؟

حرك رأسه بحيرة : لا معرفش يا فندم اللي أعرفه انه مش متجوز لا بس الله أعلم بقى ، حضرتك عايزة ايه طيب وأنا أدلك تروحي لمين ؟

سألته بتوجس : مدير البنك الأستاذ عبد القادر ، موجود ؟

حرك رأسه بأسف : لا هو تعبان شوية ومجاش النهارده ربنا يقومه بالسلامة ، ممكن تروحي للنائب ، قوليلي بس انتِ عايزة ايه بالظبط وأنا هدلك ؟

سألته متجاهلة كلامه : هو متجوز الأستاذ عبد القادر ؟ ولا بيكره فعلا المتزوجين ولا ...

قاطعها متعجبا : أيوة متجوز وراجل سكرة مفيش منه ، دلوقتي قوليلي عايزة ايه ؟ علشان بدأت ...

لمحت سارة فهرولت مسرعة وهي تعتذر منه لتقف أمامها بتيه: انتِ هنا ؟

ابتسمت بأسف : شغلي هنا ، هشام مش هنا على فكرة .

ردت متوترة عارفة أنا جيت عايزة أشوف بنفسي ، يمكن تكوني بتكدبي عليا ؟ !

ابتسمت بتأكيد : وماله تعالي ، (وقفت أمام دعاء وأكملت) عرفيها بالأستاذ هشام ، حد كان يعرف انه متجوز وعنده ابن ؟

ابتسمت دعاء بأسف : لا انتِ لسه قايلالنا ، أصلا أنا لحد دلوقتي مش مصدقة .

ابتسمت سارة : جوزك فين يا دعاء ؟

تلفتت حولها بحيرة لتضيف سارة : حد بيضايقكم يا دعاء علشان انتوا مع بعض ؟ أو بتحبوا بعض ؟

استغربت دعاء وعبرت بتعجب : قصدك مين يضايقنا ؟ وهيضايقنا ليه أصلا ؟

أضافت وهي تغمز لهدير : أقصد أستاذ عبد القادر ، هل هو بيضايق المتزوجين ؟

هتفت مدافعة عن والد صديقتها : أستاذ عبدالقادر ده ألطف حد ممكن تقابليه في الدنيا .

نظرت سارة إلى هدير الصامته تماما : سمعت بنفسك؟ ولو حابة تسألي كل موظفين البنك هيقولولك نفس الكلام ، أنا آسفة لو الحقيقة مرة وصعبة بس مهمة .

انسحبت هدير وقد اظلمت الدنيا أمام عينيها نعم لقد فكرت العديد من المرات أنه لربما يخونها ، لكن التفكير شيء والحقيقة المجردة شيء آخر تمامًا .

توجهت إلى بيتها كي تنهي ارتباطها به وتأخذ أغراضها هي وابنها بسرعة قبل أن يجدها هشام فهي لاتريد الآن مواجهته .

بينما يقف هو أمام بيت عائلتها فأتاه هاتف من أحد من اصدقائه ليخبره أن هناك فوضى في البنك بسببه حيث أن سارة اتهمته باللعب بها وكذلك زوجته أتت البنك ، أغلق هشام هاتفه وتوجه مسرعا ليلحق بزوجته .

***

انتهت هدير من تحضير حقائبها و وقفت تنظر إلى بيتها وأحلامها التي انهارت تباعًا ، مسحت دمعة شاردة بعنف ؛ فهي لن تبكيه بعد اليوم ، لقد أعطته العديد والعديد من الفرص وتجاهلت كل شكوكها ولكن النهاية واحدة ، انتبهت على جرس الباب فتوجهت لتفتح لأخيها؛ فهي هاتفته وطلبت منه ملاقاتها ، حينما رآها تيقن أنها أخيرًا فتحت عينيها ورأت زوجها على حقيقته ، دخل بهدوء وتمتم : أخيرا فتحتِ عينيكِ يا هدير وشوفتيه على حقيقته ؟ كام مرة حذرتك منه ؟

ألقت بنفسها بين ذراعيه تبكي بالرغم من وعدها لنفسها أنها لن تبكيه ولكن هي تبكي سذاجتها وخيبة أملها ، أبعدها برفق : يلا نمشي من هنا قبل ما يجي علشان لو جه هقتله بايديا ، نمشي من هنا الأول .

حمل حقائبها وتوجهت برفقته لبيت والدها حيث ابنها ينتظرها .

استقبلتها والدتها بحيرة وهي تحمل صغيرها : هدير مالك يا بنتي ؟ شغلتيني عليكِ ، جيبتِ ابنك الصبح ومشيتِ من غير ولا كلمة ودلوقتي جاية بشنطك ؟ فهميني ايه اللي حصل ؟

أجابها أخوها بنظرة ذات مغزى : سيبيها ترتاح دلوقتي وبعدين تتكلم ، ادخلي يا هدير أوضتك ارتاحي شوية .

ساعدها أخوها وتركها بمفردها لتلقي بجسدها على سريرها القديم وتنخرط في بكاء حار .

***

دخل هشام كالمجنون لمكان عمله ليجد كل الأنظار مسلطة عليه بفضول واحتقار فلم يهتم بنظراتهم ولا بهم ، اقترب منه صديقه الذي هاتفه بعتاب: لو بتدور على مراتك فهي مشيت .

ضرب بيده الحائط بجانبه بغضب: أنا هفضل ألف عليها كتير ولا ايه ؟ (نظر لصديقه وسأله) ايه اللي حصل بالظبط ؟ كانت جاية ليه هنا وعملت ايه ؟

نظر صديقه ناحية سارة : معرفش بس هي وقفت مع سارة ودعاء وبعدها مشيت .

توجه ناحية سارة بغضب وقبل أن ينطق حرفًا وقفت وصاحت بأعلى صوتها بخوف مزيف : ابعد عني ، حد يطلب الأمن بسرعة ، أرجوكم .

صُدم هشام من ردة فعلها وتفاجأ أكثر باقتراب موظفي الأمن منه وحدثه أحدهم بهدوء : أستاذ هشام لو سمحت .

نظر إليهم مصدومًا : هي وصلت للأمن ؟ أنا كنت هتكلم معاها ولا الكلام مع الزملاء ممنوع دلوقتي ؟

أجابه مسئول الأمن : لو سمحت بلاش شوشرة أكتر من كده يا تتفضل على مكتبك يا تبعد عن هنا دلوقتي

ابتعد هشام وهو يتوعد سارة بنظراته لتجلس هي مبتسمة بانتصار ؛ فلقد دمرته تمامًا ودمرت بيته وسمعته .

***

وصلت هايدي إلى بيتها وتوجهت لغرفتها دون كلام ، رأتها والدتها فتعجبت من صمتها ودخولها مباشرة لغرفتها بهذه الحالة، فدخلت إليها وجلست بجانبها : فيكِ ايه يا هايدي ؟ مالك يا حبيبتي؟

نظرت إليها بعصبية: هي ليه الواحدة بتتحول لكتلة من الغباء لما بتتجوز ؟ ليه بترضى بالذل ؟ ها فهمتني ؟ ليه بتقبل تكون تحت رجلين راجل ؟ ليه يا ماما فهميني ؟

تنهدت داليا بتفهم: حبيبتي الجواز مسئولية و ...

قاطعتها بغضب: تغور لو مع راجل ما يستاهلش ، ليه أشيل مسئولية في مكان غلط ؟ ليه أتحمل ؟ ليه أعافر لوحدي ؟ ليه أحارب في جبهة خسرانة ؟

أمسكت ذراعها تقنعها: اهدي يا هايدي ، حنين عارفة مصلحتها وعارفة تتحمل ايه و ...

قاطعتها بنفي : حنين مش عارفة أي حاجة ومش فاهمة ليه ما طلبتش الطلاق منه ؟ بعد الضرب مستنية ايه ؟ انتِ ما شوفتيش شكلها وشكل جسمها اللي كله كدمات من الضرب ، ماما أنا صعقت من منظرها وبكل بساطة أول ما جالها البنك مشيت معاه ، تخيلي مشيت معاه ؟

حاولت داليا تهدئتها : هايدي انتِ غيرها وكل واحدة غير التانية وبعدين باباها تعبان وكان في المستشفى امبارح ممكن علشان كده صبرت

حركت رأسها برفض وعدم اقتناع : وأبوها هيكون مبسوط لو المتخلف ده قتلها ؟ ولا أذاها أكتر من كده ؟ دي غبية لو فاكرة انها كده بتضحي علشان أبوها ، والله جاي على بالي أروح لعمو وأقوله كل حاجة وأخليه هو يتعامل .

أمسكت والدتها ذراعها بتأنيب: ولو جراله حاجة هتتحملي انتِ مسئولية ده ؟ لو قلبه ما اتحملش و وقع فيها هتعملي ايه ؟ ما تتدخليش في شيء ما يخصكيش .

سمعت داليا هاتفها فنظرت لابنتها : موبايلي بيرن خليني أشوف مين وانتِ اهدي واعقلي .

أمسكت داليا هاتفها لتجدها صديقتها والدة حنين فأجابتها بسرعة : أيوة يا صابرين ، طمنيني ايه الأخبار ؟

صاحت صابرين بغضب : وانتِ بنتك ما قالتلكيش ايه الأخبار ؟ شوفي يا داليا احنا أصحاب من زمان وبناتنا أصحاب بس ده ما يديلهاش الحق أبدا انها تحاول تخرب بيت بنتي أو تروح تشتم جوزها وتغلط فيه ، هي مش علشان ما اتجوزتش عايزة تخرب بيت بنتي .

صدمت داليا مما سمعته وعلقت بصدمة : انتِ بتقولي ايه؟ هايدي ...

قاطعتها بعصبية : هايدي ما تتدخلش في علاقة حنين وجوزها وما تديهاش نصايح في شيء ما تعرفهوش ، ايه عرفها هي بالجواز ولا العلاقات ولا مشاكل الحياة ؟ فهميها ان الحياة الزوجية مختلفة بدل ما هي طايحة فيها كده وعقليها بدل ما تتجوز وتتصدم هي كمان بالواقع .

علقت داليا بهدوء : الظاهر ان انتِ اللي محتاجة حد يفوقك ويفهمك ان الزوج لو مش هيعز مراته يبقى قلته أحسن ، انتِ ازاي راضية لبنتك ان كلب يهينها بالشكل ده ؟

صاحت صابرين بغرور: بنتي وأنا حرة وجوزتها لدكتور له اسمه ومركزه اتشطري انتِ بس و وريني هتجوزي بنتك لمين ؟

صاحت بدورها بتحد : مش هجوزها لو مش هلاقي واحد يهنيها ويدلعها ، تغور الجوازة اللي بالشكل ده ، أنا مش عارفة انتِ ازاي مربية أجيال وانتِ تفكيرك عقيم بالشكل ده ؟

تنفست صابرين بغضب وهتفت بانفعال : انتِ وأمثالك دمرتوا البنات وخليتوا أفكارهم عقيمة وعليتوا نسبة الطلاق ، للأسف كلامك ده بيدمر بيوت كتيرة وبدل ما البنت تتحمل وتعافر بتستسهل الطلاق ، ابعدي بنتك عن بنتي

علقت داليا بحسم : هبعدها فعلا بدل ما تعدوها بأفكاركم المتخلفة بس خاسبي لتروحي في مرة تستلمي جثة بنتك من المتخلف اللي جوزتيهاله .

أغلقت الهاتف بوجه صابرين وهي تأخذ أنفاسها بغضب لتتفاجأ بابنتها أمامها فعلقت بدهشة : صابرين اتجننت خالص وربنا يستر على حنين ، من هنا ورايح ما تتدخليش في أمور حنين وربنا يكون في عونها مع أم بالتخلف ده ، أنا أيوة طول عمري بحس ان صابرين تفكيرها رجعي لكن افترضت انه من كتر المشاكل اللي بتقابل البنات في المدرسة ومن كتر المصايب اللي بيعملوها لكن عمري ما تخيلت ان ده أسلوب حياة مش بس صرامة في مدرسة بنات ، الست دي مش طبيعية لا.

علقت هايدي بحزن : وحنين ؟ هنسيبها يا ماما ؟

نظرت إليها بغضب : ذنبها على أمها ، لو هي ما فاقتش وانتبهت لنفسها هي حرة ، انتِ مش هتساعدي حد رافض المساعدة ، لو طلبت مساعدتك ما تتأخريش غير كده مالكيش دعوة بيها فاهمة ؟

عادت إلى غرفتها وجلست على سريرها وأمسكت إطارًا صغيرًا به صورة تجمعها هي وحنين في مرحلة الثانوية وابتسامة عريضة تزين وجهيهما ، ابتسمت للذكرى وتمنت لو عاد الزمن فتساعد صديقتها أو تمنعها من تلك الزيجة

أغلقت صابرين الهاتف و وقفت جامدة ، أهي مخطئة بالفعل في حق ابنتها ؟ أمن الممكن أن تستلم جثتها في يوم ما تحت مسمى غضب الزوج ؟

نفضت رأسها تنفض تلك الفكرة؛ فزوجها طبيب ، هي لم تزوجها بقاطع طرق أو بجاهل هي زوجتها لطبيب يشهد له الجميع بحسن أخلاقه ولكن ابنتها هي من تحتاج للصرامة قليلًا ، نعم ابنتها الحالمة لابد أن تتخلص من تلك الأحلام وتفهم أن الحياة في الواقع مختلفة تمامًا عن الروايات والأفلام .

***

وقف هشام أمام البنك محاولًا ترتيب أفكاره دون جدوى ، الغضب يملؤه وتمنى لو يقتل سارة بيديه ، كيف استطاعت الوصول لبيته ولزوجته ؟

لمح سارة تخرج من البنك فتحرك من مكانه ولكن قبل أن يصل إليها توقفت سيارة أجرة لتركب فيها فعاد لسيارته مسرعًا ولحق بها فهو أبدًا لن يتركها تهرب بفعلتها .

تعجب حين دخلت بالسيارة لمنطقة شعبية وأحس أنها تخفي سرًا غامضًا على وشك أن يكتشفه .

وقفت السيارة ليقف هو أيضًا ويراقبها تحاسبه وينصرف بينما تكمل هي طريقها سيرًا على الأقدام .

نزل من سيارته ليلحق بها ، دخلت شارعًا ضيقًا كثيرًا ومنه إلى بناية مهترئة ، لحق بها وراقبها وهي تصعد طابقين قبل أن تدخل شقتها ، تفاجأ بالسلالم المتهالكة والظلام الذي لم تعتاده عيناه فأخرج هاتفه لينير طريقه وهو في صدمة تامة ولسان حاله يردد : بقى انتِ عايشة هنا وراسمة علينا الدور انك بنت باشا ؟ اه يا بنت الكلب ، أنا يتلعب بيا من ساقطة زيك ؟

زفر أنفاسه بغضب من فعلتها و وقف أمام باب شقتها غاضبًا ومحاولًا التفكير في خطوته القادمة ولكن هيهات؛ فهو غاضب لدرجة فوق احتماله ، هو يعشق زوجته ويعشق بيته الهادئ وهي من سلبته دفء بيته .

طرق الباب بعنف لتفتح سارة الباب فصدمت حين وجدته أمامها وقبل أن تنطق حرفًا أمسك برقبتها بين يديه وهو يصرخ بوجهها : أنا تلعبي بيا يا بنت ستين ** ؟ لسه ما اتخلقتش اللي تلعب بيا ، أنا هشرب من دمك فاهمة ؟

حاولت أن تصرخ أو تبعده ولكن لم تستطع ، اقترب والدها وصرخ فيه بدهشة : انت مين ؟ ابعد عن بنتي ، هطلبلك البوليس .

أمسك ذراعه وهو يحاول إبعاده عن ابنته ويصرخ به ، كذلك والدتها صرخت بأعلى صوتها فاضطر هنا أن

يترك رقبتها وهو ينظر لهم بوعيد: اطلب البوليس وأنا مش هرضى غير لما يجرجروكم انتم التلاتة .

تراجع إسماعيل بتوتر : في ايه طيب ؟ بنتي عملتلك ايه ؟

صرخت سارة أخيرًا بحقد : عِلشان كشفت حقيقته قدام مراته .

نظر إليها والشرر يتطاير من عينيه : كشفتِ حقيقتي ؟ وان ماكنتيش انتِ أصلا كدابة ونصابة كنت عملتِ ايه ها ؟ يا بنت ال ***.

تجاهلت سبه لها وابتسمت بانتصار : محدش قالك تلعب ببنات الناس وتضحك عليهم .

نظر إليها بسخرية : بنات الناس ؟ اوعي يا بت تكوني فاكرة نفسك من بنات الناس دول ؟ بعدين كنتِ فاكرة ايه ها ؟

صرخت بوجهه بانفعال: كنت فاكراك بتحبني بجد وهتتجوزني

هنا لم يتمالك نفسه وضحك بسخرية : أتجوزك ؟ ده بتاع ايه أتجوزك ؟ انتِ كنت تسلية مش أكتر ، بخرج معاكِ وبتقبضي .

حركت رأسها بنفي : بقبض ؟ بقبض ايه ؟

ضربت والدتها صدرها و وجهها و ولولت بينما تدخل والدها بصدمة: تقبض ايه لا مؤاخذة ؟ لا أنا بنتي ....

قاطعه هشام بغضب : بنتك عرضت وأنا أخدت و دفعت ، دفعت أكل وشرب ولبس ومكياج وفساتين ولا كنت فاكرة ده لله في لله ؟ انتِ كنتِ عارفة كويس بتعملي ايه وعرضتِ جسمك قصاد اللي كنت بديهولك .

نظر لها والدها بغضب : الراجل ده بيقول ايه يا بت انطقي ؟

اقترب هشام منها محذرًا : سيادتك هتيجي لمراتي وتفهميها انك عملتِ كده علشان رفضتك وإلا ..

واجهته بتحدٍ : وإلا ايه ها؟

نظر إليها مطولًا بتوعد : هيكون آخر يوم لبيك في شغلك ، ده غير اني هفضحك هنا في حتتك وهخلي اللي ما يشتري يتفرج عليكم كلكم (نظر لوالدها وأمسك تلابيبه يهدده) لم بنتك وإلا همسح بيك الحارة بتاعتك كلها وهشرب من دمك انت وهي ، اوعوا تفتكروا اني راجل شغال في بنك وذوق وكده لا فوق لنفسك ده أنا أمسح بيكم وباللي خلفوكم الأرض (نظر إليها مجددًا بتحذير) عايزة تفضلي في البنك يبقى تروحي لمراتي وتقوليلها انِك حقدتِ عليا لما رفضتك وانك سمعتيني بتكلم عن الشقة وهددتيني وحصل اللي حصل وإلا هفضحك أنا في البنك والحارة هنا وفي كل مكان وخلينا نشوف مين هيقول أي الأول

خرج بغضب شديد وتوجه لسيارته مباشرة ليلحق بزوجته.

بينما إسماعيل بعد أن خرج هشام من بيته وقف أمام ابنته اللي تبجحت : فاكر نفسه هيخوفني لا ده أنا ....

قاطعها بصفعة أوقعتها أرضًا وهو يهتف بحسرة : هتفضحيني على آخر الزمن يا بنت ال***

أمسكها من شعرها ليستمر في صفعاته وهو يردد نفس الجملة مرارًا وتكرارًا إلى أن تدخلت والدتها أخيرًا لتبعده عنها خوفًا على ابنتها ، أمسكت ذراعها وأدخلتها غرفتها و وقفت أمامها بلوم: ياما نبهتك وقلتلك الأشكال دي بيتسلى ويوم ما يتجوز هيتجوز اللي شبهه ما سمعتيش مني ، أهو طلع بيلعب وبيتسلى وهيموت على مراته أهو.

علقت سارة بتوعد ان ما خلته ..

قاطعتها والدتها وهي تمسك بشعرها خليتيه ايه ها؟ انتِ لسه ليكِ عين تتكلمي ؟ انتِ هتروحي لمراته

وتعملي زي ما قالك وإلا أبوكِ هيدفنك هنا .

تركتها وخرجت لزوجها الغاضب وحينما رآها سألها بغضب: قالتلك ايه البت دي ؟ ولسه بت ولا كان بيلعب بيها ابن الرقضي ده ؟

توترت زوجته فهي لم تسأل ابنتها فحاولت أن تغير مسار الحوار : هتنزل على القهوة تلاقيك ...

قاطعها صائحًا بعنف : خشي شوفي بنتك لسه بنت ولا هتجيبلنا العار ، غوري داهية تاخدكم كلكم .

أسرعت لابنتها التي علقت بتهكم : ماله هو كمان بيصرخ ليه؟

اقتربت منها بسخرية: امال عايزة منه ايه ها ؟ عايزاه يطبطب عليكِ وانتِ جايباله راجل بيهدد ويتوعد ويقول اللي قاله ؟ المهم دلوقتي قوليلي الواد ده لمسك يا بت ولا انتِ لسه بنت بنوت ؟

نظرت لوالدتها بصدمة وحركت رأسها برفض تام لمثل هذا الاتهام: انتِ بتقولي ايه ؟

أجابتها بسخرية : مش أنا اللي بقول يا اختي أبوكِ اللي عايز يعرف ؟

صرخت بوجه والدتها بنفاد صبر: انتوا فاكريني ايه ؟ أنا عمري ما هفرط في شرفي لأي حد أنا كنت فاكراه هيتجوزني .

نظرت والدتها إليها بتهكم : يتجوزك ؟ قال يتجوزها ، اديكِ اهو هتتجوزي أي كلب أبوكِ يجيبه .

همت بالخروج لتتعلق سارة في ذراعها برجاء: اوعي ، اوعي يا أمه توافقيه انه يجوزني أنا ....

قاطعتها وهي تلقيها أرضًا بضيق: ما خلاص وقعتِ نفسك يا حلوه ، جتك القرف .

تركتها لتطمئن زوجها الذي خرج بدوره من ذلك البيت

توجه هشام إلى بيت والد هدير ، حاولت صفية معرفة سبب ترك ابنتها لمنزلها ، ابتسم هشام حين علم أن زوجته لم تخبر أحدًا عن سبب تركها لمنزله ، أصر على مقابلتها فأدخلته والدتها لغرفتها وحين رأته هدير صرخت بوجهه : اخرج برا مش عايزة أشوف وشك

اقترب منها بتوسل: اسمعيني أرجوكِ .

حركت رأسها برفض : اطلع برا يا هشام ومش بس كده كمان طلقني قبل ما تخرج .

صُدِم من طلبها وأمسك ذراعيها بانفعال: أنا بحبك ولا يمكن أطلقك انتِ فاهمة ؟

دفعته بعيدًا عنها بتحدٍ : هتطلق غصبا عن أنفك هتطلق أو هرفع عليك قضية خلع

حرك رأسه برفض : هدير أنا بحبك ، بحبك انتِ وبس ولا يمكن أحب غيرك ، افهمي

أدارت وجهها بعيدًا عنه بنفور: اه بتحبني وعلشان كده داير تتسرمح مع كل واحدة شوية ، ده انت حتى ناكر وجودي في حياتك أنا وابنك قدام زمايلك في أكتر من كده ؟

اقترب منها بتبرير : قلتلك مدير ...

قاطعته ساخرة : الأستاذ عبدالقادر ؟ اللي الكل بيحلف بلطفه وحبه مع كل موظفيه ؟ - وضعت يديها على وجهها بعجز – أرجوكِ كفاية كدب بقى .

أمسك ذراعها بعنف : حبيبتي أنا مش بكدب انتِ ازاي قادرة تهدي بيتنا بالسهولة دي ؟

دفعته بعيدًا عنها باستنكار: أنا اللي بهده ولا انت اللي أخدته أمر مسلم بيه ؟ انت ناقصك ايه ها ؟ بدلع وبدلعك ؟ حب وبحبك؟ طلباتك كلها مجابة ؟ عيل وعندك ولد ما تساهلش ظفره، طلبات وبحاول أحتنك

كل طلباتي على قد ما أقدر! ناقصك ايه فهمني ؟ جمال والحمدلله أنا مش وحشة؟ اهتمام وبهتم بيك وبكل متطلباتك؟ ناقصك ايه فهمني علشان تدور ترمرم برا البيت ؟ دناوة ولا فراغة عين ؟ فهمني .

أمسك ذراعيها مجددًا بنفي: انتِ بتظلميني ،

أنا بحبك وما أقدرش أبدا أستغنى عنك يا قلبي .

ضحكت بتهكم :أنا سمعتك بتكلمها وبتقولك هتقابلك في شقتك ، أنا روحت وشوفتك هناك ، كفاية بقى واطلع برا .

تكلم بهدوء : انتِ ازاي تسمحي لواحدة ما تعرفيهاش تهد بيتك ؟

صرخت بوجهه بعصبية : انت اللي سمحت ، انت اللي هديته برمرمتك برا بيتك .

صرخ في وجهها : تعرفي منين سارة دي علشان تسمعي كلامها وتاخديه أمر مسلم به ؟

نظرت إليه بغضب بينما أكمل هو بنبرة عاتبة : تعرفي انها هتموت وتقرب مني ورفضتها بدل المرة ألف ؟ تعرفي اني بصونك أكتر مما تتخيلي ؟ تعرفي انها هددتني انها هتهد بيتي بس كان عندي ثقة تامة ان بيتي متين ولا يمكن حد يقدر يهده؟ بس الظاهر كنت غلطان .

ضحكت بسخرية : وبعد ما هددتك ؟ روحتلها ليه ؟ كلامك كله كدب في كدب .

اقترب منها بعجز : سارة حاولت معايا كتير وأنا رفضتها أكتر وعلشان كده جتلك البيت ، فكري بعقلك لو أنا على علاقة بيها ليه جتلك ؟ يعني مجيها هيكرهني فيها أكتر فلو هي بتحبني وعلى علاقة بيا ليه تخليني أكرهها ؟ يعني باين أوي انها عايزة تنتقم مني يا هدير ، بعدين أي انتقام أكبر من انها تدمر بيتي ؟

لاقى كلامه صدى عند هدير فبدأت تسمعه بأذن صاغية أو برغبة منها في تصديقه ، سألته بفضول :قالت انها راحت شقتك في عيد ميلادك ؟

ابتسم داخله فلقد وصل إليها ، أجابها بحدة مصطنعة: كدابة هي اه كانت مع الشلة في عيد ميلادي وأعتقد اني قلتلك يومها زمايلي احتفلوا بيا في عيد ميلادي ماكدبتش عليكِ وهي كانت موجودة .

توترت أنفاسها وسألته بحيرة : والشقة ؟

اقترب منها : سمعتني بكلم صاحبي وبقوله ان عيد جوازي قرب وبجهز فيها علشان تبقى مفاجأة ليكِ .

نظرت لعينيه محاولة تصديقه أو رغبة في تصديقه والعودة لحضنه مجددًا ، تجرأ ومد يده لوجنتها بهدوء وهمس : مش دي اللي ممكن أخونك معاها، مش واحدة انتهازية بالشكل ده ؟

ساد الصمت للحظات وهو يحرك يده بلطف على وجنتها محاولًا الاقتراب أكثر ولكن أبعدت يده بعنف : سمعتك بتكلمها الصبح وبتقولها هتقابلها وبعتلها اللوكيشن ؟

أمسك وجهها بكلتا يديه واقترب منها أكثر فأكثر بصوت أجش: ماعنديش أغلى منك انتِ وابني و واحدة رفضتها بتهددني وقالتلي ههد بيتك ، كلمتني امبارح وقالت لو ماقابلتهاش برا هتروحلك البيت وهتخترعلك قصة طويلة عريضة وخوفت الصراحة منها فلما كلمتني الصبح قررت أروح أقابلها وأطاوعها علشان أتقي شرها ، انتِ عارفة البنت دي كدابة ونصابة ، شوفتِ لبسها ؟ عايشة دور الغنية ومفهمة الناس كلها انها غنية بس هي فقيرة وعايشة في حارة وأبوها وأمها جاهلين وهي عايشة دور مش دورها وحياة مش حياتها ، أنا ممكن آخدك دلوقتي بيتها وهتصدقي انها كدابة في كل حرف نطقته ، دي بنت غلاوية كل هدفها تهد بيتنا وتدمرني لأنها عارفة اني بعشقك وبعدك عني فيه دماري فعرفت تلعبها صح ، هدير صدقيني البنت دي لعبت بينا وبيكِ وصدقيني أنا بس طاوعتها وكنت ناوي اهددها أنا كمان لو قربت من بيتي هفضحها في البنك لكن عمري أبدا ما تخيلت انها بالخبث ده وهتروح بيتي وتجيبك وكمان راحت البنك واتهمتني اني هتهجم عليها

تخيلي أول ما شافتني صرخت وخلت الأمن يتلموا عليا ؟

استمعت بقلبها قبل عقلها ولاقى كلامه كله صدى في قلبها ، رق قلبها ولكن عبست مجددا : ليه أنكرت جوازك وابنك ؟

حرك رأسه برفض : أصحابي المقربين عارفين اني متجوز لكن مش كل البنك يعرف وبعدين أنا بخاف من العين والحسد وانتِ عارفة ده كويس ، ليه أقول للكل اني متجوز قمر في السما ؟ وليه أقول اني عندي ابن بالدنيا وما فيها ؟

علقت غاضبة : تقوم تنكر انك متجوز ؟

أجابها بغضب مماثل : ما أنكرتش واصحابي عارفين واهو اتفضلي لما حد مالهوش لازمة يعرف ايه اللي حصل ؟ هي عرفت منين لو مش مني ها ؟ اصحابي المقربين عارفين وهي عرفت عن طريق ده ، ولو مش قايل اني متجور هي هتعرف ازاي مكان بيتنا وتيجي؟ يعني الكلام بيناقض نفسه يا هدير أرجوكِ افهمي .

سألته بفضول : سألت في البنك محدش يعرف انك متجوز.

تنهد بتعب : سألتِ مين ؟ (دلك جبهته بإرهاق واضح) أقولك أنا ؟ سألتِ صاحبتها دعاء وجوز دعاء ، يعني لازم يساندوا صاحبتهم، هدير أرجوكِ أنا تعبت ، تعبت .

نظرت إليه مطولا والحيرة تملؤها فهل تصدقه أم تصدق ما سمعته اليوم ؟

ابتعد هشام عدة خطوات لينظر إليها بنبرة آسفة ليؤثر عليها: كان نفسي يكون بيتي أقوى من كده ويكون عندك ثقة فيا أكتر من كده ، أنا شرحتلك اللي حصل كله والكرة بقت في ملعبك ، هستناكِ في بيتي يا هدير بعد إذنك .

خرج من غرفتها ومن البيت دون أن ينطق حرفا آخر أو يقف ليجيب عن تساؤلات والدها و والدتها .

راقبته هدير من شباك غرفتها وهو يستقر في سيارته ويتحرك بها مبتعدا ثم جلست على سريرها في حيرة تامة .

***

عاد أمجد من عمله متأخرًا ليجد جنين كحالها منذ تركها ، اقترب منها و وضع أمامها صندوقًا صغيرًا ملفوفًا كهدية : حبيبتي شوفي جيبتلك ايه ؟

جلس بجانبها وساعدها لتجلس رغم نفورها منه وأمسك وجهها يبعد خصلاتها عن وجهها ويتحدث وكأن شيئًا أبدا لم يكن ، ابتسم وهو يعلق : افتحي العلبة هتعجبك .

لم تتحرك أو تنطق حرفا فأمسك هو العلبة وفتحها ، ووضعها أمامها بحماس : دي أفخر أنواع الشوكولاتة اللي بتحبيها ، روحت مخصوص جيبتهالك أنا عارف انك بتحبيها .

أمسك واحدة وفتحها ثم قربها من فمها بابتسامة : دوقيها هتعجبك .

نظرت إليه متعجبة حاله فابتسم : افتحي بوقك ودوقيها .

أبعدت يده بغضب : مش عايزة منك حاجة غير انك تبعد عني .

ضغط على أسنانه بغضب ثم ابتسم مجددا وهو يحاول جاهدًا أن يسيطر على أعصابه : دوقيها بس هتعجبك ، افتحي بوقك يلا

استمرت دهشتها من أسلوبه لكن تفاجأت به يصرخ فيها : قلت افتحي بوقك ودوقيها اسمعي الكلام

أمسك ذقنها ليجبرها كي تفتح فمها : دوقي

وضعها في فمها بعنف وأمسك ذقنها مجددا بقسوة: لما أقولك افتحي بوقك ودوقي تنفذي بدون نقاش .

نزلت دموعها بصمت وأحست أن طعم الشوكولاتة في فمها كالعلقم ، كرهتها وكرهته وكرهت حياتها بأكملها وكرهت غباءها الذي أوصلها لهنا .

وقف أمجد وهو يضع الصندوق من يده على الطاولة بجمود : هدخل أغير هدومي تكوني حضرتِ العشا ، نتعشى أنا وانتِ مع بعض ، مش هتأخر عليكِ يا حبيبتي .

دخل وفكرت هي لو تملك قليلا من السم كي تقتله ؟ نفضت رأسها فهي في غنى عن مزيد من الأفكار الغبية .

غير ملابسه ثم عاد إليها ليجدها لم تتحرك بعد بل جالسة تضم ركبتيها أسفل ذقنها، اقترب منها بتأهب: فين العشا ؟

لم تجب ، فوضع يديه على خصره وتنقل بعينيه حوله بحيرة واضحة وهو يفكر كيف يتعامل معها ؟

نظر إليها مجددًا بغيظ: بتجننيني وبعدها تزعلي لما أمد ايدي، صح ؟

لم تتحرك أو تنطق فما كان منه إلا أن اقترب من وجهها وكلمها بمنتهى الهدوء الذي يسبق العاصفة: قومي جهزي عشا علشان جعان وعايز آكل يلا .

نظرت لعينيه لوهلة باشمئزاز ثم خفضت بصرها بتجاهل دون أن تتحرك فما كان منه إلا أن أمسك شعرها بعنف ليوقفها رغما عنها وتمتم من بين أسنانه : أما أقول قومي يبقى تفزي من سكات اتفضلي .

تحرك بها ممسكا شعرها وهي تصرخ حتى وصل إلى المطبخ ليلقيها أمامه بعنف: اتفضلي اعملي طفح .

تجاهلت ألم شعرها وصرخت بعناد : مش هعمل ، هتعمل ايه ؟ هتضربني اتفضل اضرب .

وضعت وجهها أمامه ليضربها مجددا وقد رفع يده بالفعل لكنه تراجع وابتسم ببرود: لا مش هضرب ، انتِ أعصابك تعبانة وأنا مقدر (أمسك وجهها بيديه وابتسم بسماجة) علشان أنا بحبك فهقدر ضيقك علشان بابا تعبان ، أنا بحبك يا حنين ، أنا يا قلبي هعملك الأكل (أمسك يدها وأجلسها على كرسي بجانب الطاولة وأكمل بهدوء) اقعدي هنا وأنا هأكلك .

استغرق حوالي ربع ساعة في تجهيز عشاء بسيط تحت ذهولها ثم جلس أمامها بنبرة لينة: يلا يا قلبي كلي ، انتِ بتحبي البيض بالبسطرمة وبتحبي الجبنة الشيدر ومربى الفراولة ، تقريبا أنا حطيت كل حاجة بتحبيها يلا كلي يا حياتي .

أحست حنين أنها أمام شخص مريض، فهو أبعد ما يكون عن الإنسان الطبيعي ، علقت وهي مصدومة من تصرفاته : أمجد انت مش واخد بالك اني بكرهك ؟ أنا بكرهك .

نظر إليها ثم ابتسم بتبرير ببرود: انتِ بس زعلانة وأنا هصالحك ، ناكل وبعدها هوريكِ مفاجأة تانية هتعجبك ، يلا اتفضلي .

إستمرت في النظر إليه بدهشة من أسلوبه حتى طفح به الكيل فضرب بيده المائدة لتنتفض هي بينما صرخ بتهديد : اطفحي بدل ما آكلك بالعافية زي الشوكولاتة، هحشر الأكل كله في بوقك فكلي بالذوق وبلاش العنف في كل خطوة بالشكل ده .

فكرت أن تعانده ولكن هو قادر على تنفيذ تهديده ، مدت يدها ببطء لتأكل وهي تمسح دموعها التي تغرق وجهها بانكسار

أخذ يخبرها عن يومه كأي زوج يحكي لزوجته أخباره حتى انتهى فوقف ببرود: هتلمي الأكل ولا هتكملي عناد وغباء ؟ ولا هتيجي أوضتنا نرتاح شوية ؟

وقفت بسرعة بخوف ؛ فهي لا تتقبل أبدا قربه منها خاصة الآن : هلم الأكل روح ارتاح انت .

ابتسم وقبل وجنتها بسماجة: حبيبتي انتِ ربنا يخليكِ ليا .

كم تمنت لو تبصق على وجهه في هذه اللحظة تحديدا ؟

تابعته وهو يخرج لتجلس مكانها وتغمض عينيها ؛ إلى متى ستتحمل ذلك الجنون ؟ هل تخبر والدها وتدعو الله أن يتحمل قلبه خبر طلاقها ؟ أم تتحمل حتى تتحسن حالته ثم تخبره ؟ نعم ستتحمل وستطيع أمجد وتتجنب شره قدر المستطاع ..

انتهت من تنظيف المطبخ ولكن لم تخرج وانتظرت حتى ينام فهو حتما متعب من عمله وسينام آجلا أو عاجلا فقط كل ما عليها الانتظار .

انتظرها أمجد وحين طال انتظاره توجه إليها ليجدها في المطبخ فاقترب منها وقبل رقبتها لتنتفض مبتعدة عنه ، لكنه لم يهتم وابتسم قائلًا: يلا يا قلبي مستنيك، تعالي .

أمسك يدها وهي تحاول مقاومته بنفور فابتسم: تعالي بهدوء بلاش عنف الليلة دي ، أرجوكِ يا حنين بلاش عنف وزي ما قلتلك عندي ليكِ مفاجأة .

أخذها لغرفة نومهما وأجلسها على السرير ثم أحضر علبة دواء صغيرة و جلس أمامها بهدوء : ده علاج ليكِ .

تعجبت ونظرت إليه بحيرة ورددت : علاج ليا أنا ؟ ليه ؟

ابتسم وهو يفتح العلبة ويخرج قرصًا منها : المفروض ان له مفعول حلو زي منشط كده للستات ، ده المفروض بيعالج البرود بتاعك شوية ، خديه يا حنين يمكن مشكلتنا تتحل أنا وانتِ .

ابتعدت عنه صارخة باستنكار: أنا بكرهك هل القرص ده هيخليني أحبك ؟

صاح بعنف : هيخليكِ شوية زي باقي البنات ، المفروض انه بيزود الرغبة ، انتِ فاكرة نفسك بتكرهيني علشان واجهتك بحقيقتك وببرودك! ده هيقلل البرود شوية لكن لو ماعملش معاكِ حاجة فانتِ حالتك متأخرة عما تخيلت ومفيش أمل فيكِ للأسف .

هتفت بحماس : ولو مفيش أمل هتطلقني ؟ طلقني طيب ؟ أنا باردة طلقني وشوف واحدة تحبك وما تكونش باردة زيي .

أخذ عدة أنفاس متتالية قبل أن يرسم ابتسامة على وجهه ويتكلم بهدوء : انتِ ناسية انك انتِ حبيبتي ؟ حنين أنا بحبك انتِ ومستعد أتحملك في أي وضع ؟ أنا بس عايزك انتِ تنبسطي معايا لكن أنا برودك من عدمه مش فارق معايا فهمتِ ؟ افتحي بوقك وخدي القرص ده يلا .

أحضر كوب الماء ثم وضع القرص في فمها وابتسم برضا: تعالي نقعد شوية قدام التليفزيون يكون مفعوله اشتغل ، أنا متحمس جدا .

جلست بجانبه كتمثال وهو يقلب في قنوات التلفاز بفتور وملل ، بينما هي شاردة وتذكرت العديد من الروايات الساقطة حينما تكون البطلة مغلوبة على أمرها وزوجها ذلك الرجل المتسلط يهينها ويضربها ثم تقع بغرامه ، سخرت من كل كاتبة وتمنت لو تصرخ في كل كاتبة كتبت بتلك الشاكلة قائلة هل جربتِ الحياة مع إنسان متسلط أو سادي قبل أن تكتبي بتلك الطريقة ؟ كيف تحب فتاة انسانًا يسلبها إرادتها ؟ كيف تحب من أهانها وأذلها ؟ كيف تكتبين عن شيء لا علم لكن به ؟

انتبهت من أفكارها على زوجها يغلق التليفزيون وينظر إليها بترقب: حاسة بإيه يا قلبي ؟

نظرت إليه بكره واضح : المفروض أحس بإيه ؟ اني بحبك مثلا ؟ أمجد فوق لنفسك .

ابتسم وهو يقف ويوقفها معه : أنا فايق جدا انتِ اللي فوقي، تعالي بس جوا خلينا نشوف تأثير العلاج معاكِ ايه ؟

حاول الاقتراب منها لكنها قابلته بالصد والرفض فصرخ بوجهها : يعني مش لازم كل ما ألمسك أقطع هدومك يا حنين! ارحميني بقى .

صرخت هي أيضا بنفاد صبر: ما ترحمني انت وتبعد عني ؟ ابعد عني مش عايزاك .

أمسك ذراعيها بعنف : أنا حاولت أكون لطيف معاكِ وجيبت الأقراص دي قلت يمكن يكون في أمل بس انتِ مفيش فايدة فيكِ ، يا تهدي يا هكتفك يا حنين اختاري ؟

حاولت أن تبتعد عنه بل حاربته حتى تعب هو من مقاومتها فقال بضيق : الظاهر فعلا ان الذوق مش بيجيب معاكِ أي نتيجة .

أمسك ملابسها بعنف وشقها بقسوة وحين حاولت الوقوف صفعها بقوة ثم أمسك ذراعيها وكتفهما فوق رأسها ليستبيح جسدها بعنف ، صرخت به بقهر : سيبت ايديا خلاص مش هعارضك .

ترك يديها بتردد ولكنها هدأت بين يديه وأغمضت عينيها واستسلمت تماما بروح منتهكة حتى ابتعد عنها أخيرا ليرتدي ملابسه ثم خرج من الغرفة تاركا إياها ممددة ، مهانة ، مغتصبة .

عاد بعد قليل ليجدها ممددة كما هي عارية ، اقترب منها مبتسما ليقبل وجنتها بتساؤل : انتِ ما لبستيش ؟ معقول تكون البرشامة عملت مفعولها دلوقتي وعايزاني تاني ؟ طيب كنت قلتِ ماكنتش أخدت شاور وفضلت معاكِ .

أمسك ذراعيها ليجلسها ويمسك وجهها: حبيبتي انتِ .

اقترب ليقبلها وهي جامدة تماما ، أمسك ذقنها بحنق: بطلي تكوني زي التمثال كده! اتحركي .

نظرت إليه بعينين جامدتين : عايز حاجة خدها مش عايز ابعد عني غير كده ما تطلبش مني .

تركها لتستلقي مكانها بيأس بينما تمدد هو بجانبها : عندي عملية بدري ومش فاضي للهبل بتاعك ده ولبرودك ده .

حين غرق في نومه تحركت من مكانها لترتدي ثيابها وتنظر إليه ، فكرت للحظة أن تقتله بينما هو نائم لكنها تراجعت فهي ليست بقاتلة أو لربما هكذا كانت بداية كل قاتل ، تمرد على حاله فتحول إلى قاتل ؟

قلق عبد القادر على ابنته وانتظر شروق الشمس ليهاتفها خصوصا حين تأخرت على عملها ، اتصل بابنته لتجيبه بلهفة وتطمئن عليه أولا وتطمئنه على حالها .

سألها بتوتر : ما جيتيش شغلك ليه ؟ اتأخرتِ أوي !

حاولت أن تتكلم بشكل طبيعي : بابا خدلي إجازة أرجوك ، أنا محتاجة أرتاح شوية وأفهم دنيتي ، محتاجة أبعد شوية وأخلي بالي من بيتي وجوزي وأستقر وبعدها أبقى ارجع الشغل ، اتفقنا يا بابا ؟

قلق والدها أكثر : أجيلك يا حنين ؟

هتفت بسرعة : تنور يا بابا بس لا يا حبيبي أنا بخير صدقني ، أنا بس محتاجة أركز في حاجة واحدة يا بيتي يا شغلي فاخترت بيتي بما ان شغلي ملحوقة عليه ، بنتك كبرت وللأسف مش عارفة تشيل مسئولية

كاملة فبتحاول اهو ، هينفع تساعدني يا بابا ؟

أنهى مكالمته بعدم اقتناع وقلبه يخبره بوجود خطب ما مع ابنته ، توجه إلى بيتها بعد انتهاء عمله ليطمئن عليها فأقنعته أنها بخير وأعدت وجبة الغداء وتناولا طعامهما سويا ولقد نسيت لغدة ساعات ألمها بل إنها ضحكت كثيرًا برفقة والدها .

عاد أمجد إلى بيته ليتفاجا بصوت ضحكة زوجته التي نادرا ما سمعها ، وضع ما يحمله بيديه على طاولة بجانب الباب ثم دخل بحذر وقلبه ينبض بعنف فمع من تضحك زوجته ؟

تفاجأ بوالدها فألقى السلام ولم يخف على أبيها اختفاء ضحكة ابنته حينما رأت زوجها ، جلس برفقتهما فساد الصمت ليقطعه هو بفظاظة: سكتوا يعني ؟ صوتكم وضحككم سامعه من تحت !

ابتسم والدها بتحد خفي: كنا بنفتكر مواقف قديمة وبنضحك ولا عندك مانع ؟

ابتسم بمجاملة: لا أكيد همانع ليه ؟ ده حتى وش حنين منور اهو ، ما تكملوا حكاوي ، ضحكوني معاكم .

وقفت حنين باقتضاب : هجهزلك الغدا أكيد راجع جعان

أوقفها : نتغدى كلنا مع بعض ؟

توترت ولكن أجاب والدها : سيقنالك انت دكتور وعارف أدويتي ليها مواعيد ولازم آكل قبلها فمعلش بقى سيقنالك

ظل محافظا على ابتسامته بينما يخفي عكس ما يظهره : البيت بيتك يا عمي طبعا ، بعد إذنك هدخل أغير هدومي .

سألته مجددا بجمود . أجهز السفرة ؟

أجابها دون أن يلتفت إليها : لا مش دلوقتي ، اقعدي مع أبوك قبل ما يمشي .

أحست بالغضب وراقبته يختفي من أمامها لتجلس أمام أبيها مبتسمة باصطناع : الراجل ده ما بيفهمش في الذوق.

ابتسم وربت على يدها : معلش هو بس عملي شوية .

نظرت لوالدها باستنكار : من امتى قلة الذوق عملية ؟ هو مدب متخلف .

أمسك يدها بقلق : حنين انتِ مش مبسوطة معاه ؟ لو مش مبسوطة عرفيني ومش هسيبك في البيت ده لحظة واحدة .

توترت أنفاسها وفكرت لو تلقي بنفسها بين ذراعيه ولكن شحوب وجهه وقلقه وخوفها على صحته أجبروها على رسم ابتسامة على شفتيها وحاولت المزاح : لا مش للدرجة دي يا بابا ، يعني مش علشان قليل الذوق شوية هسيبه ، مسيره يتعلم الذوق والاتيكيت .

ربت على كتفها قبل أن يقف : المهم تعرفي اني موجود وعلي بعد مكالمة منك يا قلبي ، ربنا يسعدك يارب

حاولت أن تقنع والدها بالجلوس برفقتها لكنه أصر على الذهاب إلى بيته .

أغلقت الباب خلفه لتعود كآبتها على ملامح وجهها تفاجأت بزوجها خلفها وملامحه تنبى بعاصفة عاتية ، حاولت تجاهله وهي تمر بجانبه ولكن أمسك شعرها بعنف : أنا قليل الذوق ومتخلف ها ؟

تبع جملته بصفعة قوية أوجعتها وهو يبتسم بشر: أنا مسري أتعلم الاتيكيت ؟

صرخت بكره: انت بني آدم متخلف فعلا

لم تبالي بضرباته أو لكماته وأكملت صراخها وهي تعانده: وأنا بكرهك ولولا صحة بابا كنت مشيت معاه بس همشي وخليك واثق في ده .

زاد غضبه فضربها بلكمة أوقعتها أرضا لتنزف شفتاها ، وحين رأي دماءها تبدلت تعابير وجهه و انحنى عليها بلهفة: حنين حبيبتي ؟ انتِ كويسة ؟

نظرت إليه بوهن : انت مش طبيعي أبدا ، انت لا يمكن تكون طبيعي .

وقف ليحضر علبة إسعافاته الأولية وبدأ يمسح دماءها وهو يتمتم بهدوء: أنا مش فاهم انتِ بتستفيدي ايه لما تعصبيني بالشكل ده ؟ أنا بحبك فأرجوكِ بطلي تخليني أغضب بالشكل ده .

قبل شفتيها الدامية بسماجة بحبك ومش عايز ده يحصل أرجوكِ اهدي شوية عليا .

حاولت الابتعاد عنه باشمئزاز ولكن أمسك ذراعها يمنعها ببرود حضري الأكل وخلينا ناكل مع بعض أنا وانتِ ، أنا جايبلك حاجة هتعجبك .

دفعته بعيدا عنها بنفور أنا كل اللي عايزاه أخلص منك .

تماسك وابتسم مجددا : انتِ أكيد مش قصدك وأنا هسامحك علشان بس مديت ايدي بس أوعدك دي آخر مرة ، تعالي ناكل مع بعض ، قوليلي عاملة ايه يا قلبي على الأكل ؟

دخل برفقتها المطبخ رغما عنها وهو يسحبها لكشف أواني الطعام وهو يتلذذ برائحته : الريحة تجنن ، جوعتني ، يلا حطي ناكل مع بعض

وضعت طبقا واحد فعلق وهو مبتسم بغضب : قلت ناكل مع بعض محدش قالك تاكلي مع أبوكِ من غيري .

صرخت بوجهه: مش هطفح أنا

وقف بعنف وأمسك شعرها بتهديد: هتطفحي بمزاجك أو غصب عن أنفك زي ما انتِ غارقة ، نرفزيني وعصبيني وبعدها قولي اني متخلف وعصبي وما بفهمش في الذوق .

أحضر صحنًا ووضعه على المائدة: كملي باقي الأكل هناكل مع بعض .

وضعت الطعام و جلست أمامه تتظاهر بأنها تأكل بينما تفكر ماذا يحدث لو أدخلت السكين التي أمامها بقلبه مثلا ؟ هل السجن أرحم من عذابها برفقته ؟

ابتسم وكأنما قرأ أفكارها حينما لاحظ نظراتها للسكين فأمسك ذقنها مبتسما ايه بتفكري تستعمليه ؟

نظرت بتحدي لوجهه: بصراحة اه

ضحك مقهقها : ودي أحلى موتة أموت على ايديكِ انتِ .

أمسك السكين ووضعها بيدها واقترب بصدره منها وهو يشير على بقعة ما بابتسامة باردة هنا بالظبط القلب ، اضربي ضربتك ومش هوصل حتى مستشفى .

اضطربت أنفاسها وفكرت بالفعل في تنفيذ ما يقوله علها تمحي تلك الابتسامة البلهاء من على وجهه بينما هو يحثها : ها مستنية ايه مش بتكرهيني ؟ اضربي انهي حياتي في لحظة .

وضعت السكين بعنف على الطاولة و وقفت باقتضاب: لما تخلص أكل ناديني أشيله بعد إذنك .

تركته متوجهة لغرفتها وهي تلعن حظها وغباءها في انخداعها بكلماته المعسولة ماهي إلا دقائق حتى تبعها وجلس بجانبها على الفراش وفي يده كوب ماء وذلك القرص اللعين قائلًا خدي البرشامة دي يمكن المرة دي تعمل مفعول ساعات بسيطة أول مرة الجسم مش بيتفاعل معاها .

أبعدت يده وهي تنظر إليه بدهشة : انت أي جزء من كلمة بكرهك مش مستوعبه ؟ أنا مش عايزاك أصلا ، افهم .

تعامل وكأنه لم يسمعها بتاتًا وقرب الكوب من شفتيها بأمر : افتحي بوقك وخديه يلا وأوعدك هحاول أكون حنين معاكِ .

وضع القرص بفمها واتبعه بكوب الماء ليبتسم بظفر : شوفت لما بتسمعي الكلام بتكوني حلوة ازاي ؟

أمسك يدها ليوقفها : تعالي جايبلك حاجة هتعجبك .

أخذها خارج غرفة النوم حيث سبق ووضع ما أحضره من الخارج على الطاولة بجانب باب المنزل ونسى حين سمع ضحكاتها ، أحضر علبة وفتحها لتجد قالب حلوى صغير على شكل قلب مغمور بالشوكولاتة ، تعجبت من نفسها حين كانت تقفز فرحا عندما كان يحضر أبوها أي نوع من أنواع الشوكولاتة ، لمَ أصبحت تلك الأشياء فاترة ؟ بل كرهتها لربما ! نظرت لعينيه بتعجب وسخرية: هو انت متخيل لما تجيب تورتة أو حاجة بحبها هتنسيني مثلا انك مديت ايدك عليا ؟

ابتسم وهو يجلسها ويتوجه ليحضر طبقين وكأسين ، ثم جلس أمامها مجددا وهو يقطع قطعة صغيرة لتتذوقها : مش هتنسي عارف بس على الأقل بحاول يا حنين ، بحاول أسعدك لكن انتِ بتعصبيني ، بحبك طيب أعمل ايه ؟

نظرت إليه بكره واضح : انت خليتني أكره كلمة بحبك نفسها

ابتسم وهو يضع قطعة في فمها بلا مبالاة : افتحي بوقك بس وكلي وهتنسي الدنيا بما فيها ، ده أشهر حد بيعمل جاتوهات وتورت هيعجبك وبعدين الشوكولاتة بتحسن الحالة المزاجية أصلا يا قلبي .

مرت الأيام شبيهة لبعضها وكل يوم يأتي أمجد بهدية ما كي يصالحها بعد ما يبرحها ضربا ، بل قد وصلت هدياه للذهب أيضا فلقد أحضر مرة خاتمًا ثم اسورة فعُقد وكلما أحضر شيئًا يزداد كرهها أكثر فأكثر له ولما يحضره.

***

وافق إيهاب صديقه أن يساعد الطلاب في مشاريعهم بمقابل مادي وأخفى ذلك الأمر عن والدته ، وكلما انتهى من رسمة ما ويقبض ثمنها يحضر شيئًا لشقته .

كان في المترو ليسلم إحدى لوحاته حينما جلست بجانبه فتاة جميلة شعرها منسدلا ، ابتسمت له وهي تعتذر عندما اصطدمت به من حركة المترو ، بادلها ابتسامتها باقتضاب لتفتح هي حوارًا معه : انت أكيد باللوحة دي يا هندسة عمارة يا فنون جميلة صح ؟

نظر لحافظة اللوحة بيده وتمنى لو يخبرها أنه بالفعل في الجامعة أو تخرج منها .

أكملت هي بابتسامة : ممكن أشوف اللوحة ؟

نظر ناحيتها بتوضيح : كبيرة مش هينفع الدنيا زحمة ، بس ممكن أوريكِ صورتها على الموبايل ، كل لوحة برسمها بصورها .

أخرج هاتفه لتشهق بإعجاب عندما رأت لوحاته وعبرت بحماس : انت فنان بجد ايه ده كله ؟

ابتسم بإحراج : بيسموني إيهاب الفنان .

علقت : حقهم طبعا ، انت سنة كام ولا اتخرجت ؟

فكر أن يكذب ويخبرها أنه تخرج وربما يصادفها لفترة ما أو تقع بغرامه ، فهي جميلة حقا ، انتبه

لسؤالها : ايه نسيت انت سنة كام ؟

ابتسم ليجيبها بصدق : أنا كنت فنون جميلة فعلا بس سبيت الكلية من كام سنة لظروف خاصه

تعجبت أو الأحرى صدمت فرددت: امال ايه اللوحة دي ؟

زفر بضيق : بساعد بيها الطلبة بمقابل مادي .

ترددت قبل أن تسأله : يعني ده شغلك ؟ بترسم لوحات للطلبة ؟

نظر إليها مطولا قبل أن يجيبها بتردد : لا بشتغل نقاش .

رددت بصدمة : نقاش ؟ انت نقاش ؟ اللي بيدهن الحيطان ده ؟

لاحظ صدمتها فابتسم بحزن : هو ده بعينه ، مجرد نقاش .

ابتسمت بإحراج لتصمت تماما وماهي إلا لحظات حتى وقفت قائلة : محطتي الجاية .

ابتعدت عنه وخرجت في المحطة التالية بينما هو يتابعها متعجبًا ألهذه الدرجة وظيفته مرعبة ؟ أم مخجلة ؟ أم ماذا ؟ ألا يحق للنقاش أن يتعرف مثلا على فتاة ما ؟ أهو ليس بإنسان ؟

تنهد بتعب وأرجع رأسه للوراء يفكر في حاله ، ماذا لو أحب أن يتزوج في يوم من الأيام ؟ هل لابد أن يختار فتاة غير متعلمة؟ هل حصره الزمن في فئة معينة وطبقة معينة ؟ أسيحكم عليه الجميع من خلال شهادته فقط ؟

انتبه للمترو وهو يتوقف ولاحظ أنه في محطته فنزل مسرعًا ليتابع طريقه وقد أغلق باب أفكاره .

استمرت حياة حنين دون أي جديد ، مهما حاولت أن ترضي زوجها إلا أن دائما هناك ما يثير أي مشكلة .

ذهبت صابرين لرؤية ابنتها ، جلست معها وانخرطت في حديث طويل عن أمور عادية ، راقبت ابنتها وهي تنظف غرفتها لتلمح بعض العلب فسألتها : ايه العلب دي ؟ انتِ جيبتِ دهب جديد ؟

نظرت ابنتها بفتور : أمجد جابهم .

وقفت صابرين وفتحت العلب واحدة تلو الأخرى لتهتف بإعجاب واضح : أمجد ذوقه رائع ، أنا مش فاهمة انتِ كارهاه ليه ؟ كل دي هدايا ؟ وفي الآخر مش عاجبك ؟

تجاهلت حنين تهكم والدتها وراقبتها وهي تضع من يدها العلبة لتقف أمامها . عاملة ايه معاه ؟ أموركم ايه ؟

نظرت حنين لوالدتها بتهكم . انتِ عارفة كويس عاملة ايه ؟ أنا مستنية بابا يقوم بالسلامة وهقوله يطلقني منه .

أمسكت ذراعها بغضب . ليه تتطلقي ها ؟ ناقصه ايه جوزك علشان تتطلقي ؟

صرخت بوجهها بعنف . مش بحبه ، بيغتصبني ، بكرهه ، بيضربني ، خانقني في عيشتي كلها ، أكمل ولا كفاية ؟

صاحت والدتها بعصبية . لا كفاية لان كل ده هبل في هبل، مفيش حاجة اسمها جوزك اغتصبك لان ده حقه وده شرع ربنا فانتِ مش هتحرميه ....

قاطعتها ابنتها بقهر . الاغتصاب هو علاقة بتتم مع رفض أحد الطرفين وأنا رافضة فده الاغتصاب صح ولا بيتهيألي؟

علقت بتهكم . بيتهيألك لأن ما ينفعش ترفضي أصلا جوزك ، انتِ كلك على بعضك ملكه هو ، قالك ما تشتغليش تسمعي كلامه ، قالك ما تلبسيش كذا ولا كذا تقولي آمين ، قالك يمين تقولي حاضر قالك شمال تنفذي ، عمالة تعارضيه وتغضبيه ومش عاجبك ؟ انتِ اللي بتغضبيه وتترفزيه وبتحرميه من أبسط حقوقه ومحتاج كل ما يجي يلمس مراته ياخد حقه اللي ربنا شرعهوله بالغصب وانتِ اللي زعلانة في الآخر ؟ انتِ ربنا غضبان عليكِ أصلا ، انتِ ما تعرفيش ان أي واحدة تقول لجوزها لا تبات تلعنها الملايكة لحد ما تصبح الصبح أو لحد ما جوزها يرضى عنها ؟

صرخت حنين رافضة تماما ما تسمعه . وربنا أكيد ما يرضاش بالظلم والضرب والإهانة ، ده ما يرضيش ربنا أبدا ، ما ينفعش يضربني ويهيني ويشتمني ويكسرني وبعدها يقولي تعالي السرير أرمي نفسه في حضنه واستحالة وألف استحالة يكون ده شرع ربنا أبدا .

أمسكت ذراعها بغضب . ربنا قال ان الزوجة ملك زوجها وقال الرجال قوامون ومن حق جوزك يقعدك في بيته طالما هو قادر يكفي بيته وأنا اهو شايفه بيتك عمران بالخير كله حتى الدهب والهدايا بيجيب فاكتر من كده انتِ بتفتري عليه .

حركت رأسها برفض كما سحبت ذراعها من يد أمها بتجد . أنا هتطلق وهطلب من بابا يساعدني طالما مش قادرة تفهميني ولا قادرة تحسي بيا وباللي بعانيه معاه ، أنا مش قادرة أفهمك بصراحة ، يعني ان ماكنتش بتحبي بابا وعلاقتكم مبنية على الحب والاحترام كنتِ عملتِ ايه ؟

نظرت اليها والدتها مطولا قبل أن توضح لها بهدوء . علاقتنا اه مبنية على الاحترام أبوة لكن الحب ؟ الحب تعريفه بالنسبة لي مختلف عنك كتير . الحب بالنسبة لي هو ان بيتي يكون عمران . الحب اني لما أنزل أشتري

حاجة ليا أو لبناتي ألاقيها ، الحب اني أعيش مكتفية وما أمدش ايدي لأي حد ، الحب انه يهاديني وقت ما يكون معاه ، الحب انه يخليني مش محتاجة لأي حد ده الحب ، لكن الرقص السلو والموسيقي والاحضان وكل اللي في دماغك ده مالهوش علاقة بالحب أبدا .

أمسكت حنين رأسها علها تهدئ ذلك الصداع الذي يهاجمها : أنا مش قادرة أتفاهم معاكِ فعلا ، بصي طالما وجهات نظرنا مختلفة فخلينا نقفل الحوار .

نظرت إليها مطولا قبل أن تجيبها بتنبيه : نقفله حاضر بس ابعدي عن أبوكِ، أبوكِ قلبه تعبان وكل يوم والتاني عند الدكتور

صمتت ثم أكملت يكذب لعلها تستسلم لحياتها – وهو بالفعل بيلوم نفسه لأنه بيعتبر نفسه السبب في تعاستك علشان سابك تحلمي وتعيشي في خيالات الحب ودلوقتي اتصدمتِ بالواقع ، والحاجة اللي مصبراه انك بتعافري ومكملة حياتك فلو طلبتِ منه يطلقك هتثبتيله انه فعلا غلط وانه هو اللي دمرلك حياتك لأن ده اللي حصل ، ياما نبهتك ونبهته يفوقك من الخيال ده و تنزلي للأرض بتاعتنا بس كان يقولي سيبيها تحلم وتعيش ودلوقتي بيعض ايده انه سابك تحلمي فبلاش تقضي عليه وتأكديله انه غلط في حقك ولو مش هتعملي ده علشانه اعمليه علشاننا احنا ، احنا محتاجينه في حياتنا وأختك لسه ما اتخرجتش ومحتاجاه يقف جنبها ويجوزها هي كمان فهقولهالك تاني لو مش بتحبيه كفايه ما تبقيش أنانية في تفكيرك احنا عايزينه في حياتنا ، أبوكِ مش جمل فشلك ولا طلاقك سيبيه في اللي هو فيه ، جوزك بيحبك انتِ اللي فاشلة توصليله ، فبطلي تعلقي فشلك وتستسلمي وجاريي علشان بيتك ، بعد إذنك .

تركتها لتجلس مكانها منهارة ، فهي تعيش على أمل تحسن صحة والدها لتطلب مساعدته ، لمَ أمها بتلك القسوة و العملية ؟

عاد زوجها من عمله ليجدها جالسة على الأرض فاقترب منها بتعجب : في ايه مالك ؟ في حاجة حصلت ؟

اغمضت عينيها ولم تجبه فجلس أمامها أرضا : في ايه حصل فهميني ؟

نظرت إليه مطولا ، أيمكن أنه يحبها وهي بالفعل فاشلة في الوصول إليه ؟

نطقت أخيرا بتيه: مفيش أنا هقوم أحضر الأكل ينفع تستنى شوية ؟

ابتسم وهو يوقفها : ايه رأيك نطلع نتغدى برا أنا وانتِ ؟

ربما كل ما تحتاجه بعض الهدوء والطاعة لتعيش بهدوء معه ، ابتسمت بشحوب: ياريت اه .

أخذها لغرفتها بحماس : تعالي نختار تلبسي ايه ؟

فتح خزانتها ليبحث بين ملابسها بفتور؛ فكل ملابسها جميلة وتزيدها جمالا وهذا ما يرفضه ، أخيرا استقر على بنطال واسع أبيض وعليه قميص طويل للغاية ، فتحت فمها لتعترض ولكن تراجعت؛ فهي في غنى عن جولة من الشجار والمجادلة ، أخذتهما منه ودخلت ارتدتهما بهدوء لتنزل برفقته .

اختار أحد المطاعم الهادئة وجلسا سويا على طاولة تطلع من زجاجها الي الخارج .

ثوان وحضر النادل بقائمة الطعام وابتسم لحنين بعملية وهو يمد يده إليها : اتفضلي يا مدام.

بادلته ابتسامته وأمسكت القائمة لتتفاجأ بزوجها يمسك يدها بعنف : بتبتسمي ليه ها؟ عجبك ؟

نظرت اليه بصدمة ورددت : عجبني ايه ؟ ده جرسون

علق غاضبا : ايه جرسون دي ؟ راجل ولا مش راجل ؟

نفضت رأسها بنفاد صبر : يا أمجد ده جرسون وأكيد مش هبصله بس بتعامل بذوق مش أكتر

ترك يدها بغضب : مش مطلوب منك تتعاملي بذوق مع رجالة ولا تتعاملي من أساسه وسيبيني أنا أتكلم ، اتفضلي قوليلي هتاكلي ايه ؟

فكرت أن تطلب الرحيل وتمتنع عن الأكل ولكن ستصبر قليلا ولترى نتيجة هذه الليلة ؛ بالهدوء والطاعة ستقضي ليلة هادئة أم سيغضب لأي سبب ما ؟

طلب الطعام وتحدث عن يومه ومرضاه أما هي فنظرت للخارج بفتور حتى أتى النادل مرة أخرى وانتهى من وضع الطعام أمامها ، أكلت بهدوء قاتل و تستمع إلى ضجيج كلماته وتعجبت كيف يوما عشقت كلماته؟ وكيف خدعها كلامه المعسول لتقبل به زوجًا؟ تذكرت اليوم الذي ضحكت فيه بسخرية على حالها وتيقنت أنها ضحية للكلمات ؛ فقد كانت جالسة ذات يوم تشعر بالملل فأمسكت هاتفها لتتصفحه بلا هدف فوقع أمامها منشور ما فقرأته ولكنها فوجئت أن الكلمات التي به هي نفس الكلمات التي كان يغدقها عليها ذلك المسمى زوجها ليوقعها بحبه! أرادت أن تتأكد هل كل ما كان يرسله إليها مقتبسًا من الإنترنت أم لا؟ دخلت على محرك البحث « جوجل « وبحثت في هاتفها عن إحدى الرسائل التي كان يرسلها ثم كتبت بعضًا منها على محرك البحث فظهرت لها كاملة وتأكدت أن كلها بالفعل من جوجل وليست من تأليفه حتى أنها مأخوذة بترتيبها، فغرت فاها بصدمة ثم ضحكت بطريقة هيستيرية وتساءلت : ألم تنتهي من اكتشاف أنها ساذجة؟ أستظل كل يوم تكتشف أنها حمقاء بامتياز؟ انقلب الضحك لبكاء عنيف تبعه صوت نحيبها.

عادت من شرودها على صوته البغيض يسألها : بقولك خلصتِ أكل ؟ سرحانة في ايه كده ؟

نظرت إليه بانتباه و وضعت من يدها الملعقة وابتسمت باصطناع : اه الحمدلله أكلت .

اقترب النادل مره أخرى يسأل: أي أوامر تانية يا فندم ؟ أجيب حاجة حلوة أو أي حاجة تانية ؟ حاجة تشربوها مثلا ؟

نظرت إليه بالبداية لتنتبه لزوجها ينظر إليها شزرًا فحولت نظرها سريعا بارتباك بينما أجابه هو باقتضاب: لما نحتاج حاجة هنطلبها ، اتفضل شيل الأكل .

انتهى من رفع الطعام ونظف الطاولة لينظر مجددا لأمجد : أي أوامر تانية ؟

نظر أمجد لزوجته : تحبي تاخدي حاجة تانية ؟

ردت بهدوء : براحتك عادي يعني .

سألها مجددا بحدة طفيفة وهو يركز على كل كلمة : بقول عايزة حاجة تانية ؟

نظرت لعينيه وهي في حيرة تامة؛ فهي بالفعل لا تعرف كيف ترضيه ؟ أو كيف تتقي شره ؟

حين طال صمتها نظر هو للنادل: هات قطعتين جاتوه شوكولاتة.

انتظر حتى اختفى من أمامها ثم أردف بغيظ: انتِ ساكتة كده ليه ؟ هو يا تضحكيله يا تخرسي خالص ؟ ما تخليكِ طبيعية .

علقت بحدة : أنا بصراحة مش عارفة ايه الطبيعي اللي بينفع معاك ؟

نظر حوله ليتأكد أن لا أحد يتابع حديثهما ثم تمتم بغيظ: ليه شايفاني مجنون سيادتك ولا ايه ؟

همت أن تؤكد ذلك فهو حقا مجنون في نظرها ولكن تراجعت وفضلت الصمت ، قاطعهما وصول الحلوى ليضعه أمام كل منهما فأمسكت حنين شوكتها لتقع من يدها دون قصد فانحنت سريعا لتلتقطها في نفس لحظة انحناء النادل لتصطدم يداهما فأبعدت حنين يدها بسرعة ولكن قد رأى زوجها تلك اللمسة العابرة ، اعتذر الرجل قبل أن يبتعد ليحضر واحدة أخرى ، بينما أمسك أمجد ذراع حنين يوقفها بأمر : اسبقيني على العربية اتحركي

تيقنت أن انفجاره قد حان؛ فهو تماسك لفترة طويلة وها قد جائت لحظة الانفجار التي حاولت قدر الإمكان تجنبها .

دفع الحساب ليلحق بها ثم دفعها دفعًا داخل سيارته بغضب مش قادرة تخرج مرة واحدة ، مرة بس من غير مشاكل ؟ يعني مرة من باب التغيير

حدقت به بدهشة اتعامل انت طبيعي مرة واحدة زي باقي البني آدمين الطبيعيين

تفاجأت به يمسك شعرها بعنف : انتِ من أول الليل وبتلمحي اني مجنون سيادتك ؟ أنا طبيعي أنا راجل شرقي بيغير على أهل بيته مش ديوث .

صرخت به بنفور ديوث ؟ انت الظاهر مش عارف معنى الكلمة دي ولا عارف أي حاجة ؟

أحست انه سيقتلع شعرها في يده وهو يجيبها : وانتِ اللي هتعرفيني ازاي أكون ذوق وجنتل ؟ انتِ هتعلميني ؟ عايزاني أشوفك بتبتسمي للراجل وأبقى جنتل وأحط جزمة في بوقي صح ؟ وأكون جنتل وأشوفه بيتعمد يلمس ايدك وانتِ عادي ؟ ده اللي عايزاه سيادتك ؟

صمتت تماما ؛ فأي كلمة ستنطقها سيستخدها ضدها .

وصلا البيت لتدخل مباشرة لغرفتها بينما هو خلفها يهتف بغيظ. حضرتك مش عاجبك كلامي صح ؟

نظرت إليه بحدة : أنا مش عايزة أتخانق ينفع ليلة واحدة ما نتخانقش ؟ ليلة يا أمجد ؟

نظر لعينيها وهي تنتظر إجابته لتتفاجأ به ينزع قميصه ببرود حاضر مش هنتخانق تعالي في حضني .

فغرت فاها بصدمة لتبدله من النقيض للنقيض ، تجاهلته وما إن تحركت تجاه غرفة الملابس لتبدل ثيابها إلا إنه أمسك ذراعها وجذبها نحوه بحدة: ما تتجاهلينيش أنا مش عيل بيلعب معاكِ .

حاولت أن تبعد يده عن ذراعها التي تؤلمها : دراعي بيوجعني انت عنيف ليه بالشكل ده ؟

صرخ بوجهها بغضب لان ده اللي بينفع معاكِ .

أخذت عدة أنفاس متتالية وقررت أن تطاوعه للنهاية ؛ فالتجربة لن تضرها ، اقتربت منه بنفور جفي أنا اهو اتفضلني بين ايديك ، اعمل ما بدالك .

تعجب تغيرها المفاجئ؛ فهو كان مستعدًا لجولة طويلة من العنف ، لاحظت تردده فنظرت لعينيه بتهكم ايه ؟ مستني أخانقك؟ قلتلك مش عايزة أتخانق ليلة واحدة ، مستني ايه ؟

نظر إليها بحيرة وتمتم بهدوء : اقلعي هدومك .

تفاجأ أكثر عندما نفذت أمره بهدوء ولكن بداخلها تشعر بالذل والإهانة انتهت ثم نظرت إليه تنتظر أوامره لتنفذها كتمثال صامت ، فهو يريد آلة تنفذ أوامره دون نقاش اليوم ستختبر نظرية والدتها ، ستطيعه طاعة عمياء .

اقترب منها وجذبها اليه مقبلًا إياها فاحست هي بالغثيان من قربه وقبلاته ، كم تمنت لو تدفعه بعنف عنها وتصرخ به ليبتعد ! كم كرهته وكرهت أنفاسه ولمساته ! ارتفعت أنفاسها فهي تجاهد لتتحمله بينما ظن هو أنها استجابت أخيرًا له .

أغمضت عينيها وحاولت فصل عقلها تماما عنها حاولت أن تتذكر تلك الروايات اللعينة التي لطالما قرأتها وعاشت بأحداثها ، لماذا يهتت الآن ؟ لم لا تتذكر أي مشهد رومانسي واحد يفصل عقلها عن عالمها ؟

أخيرًا ابتعد عنها لتنتبه له يرتدي ملابسه وهو يلهث بعنف مش قلتلك انك باردة ؟ باردة ومعدومة

الإحساس ، انتِ لا يمكن تكوني طبيعية وبتحسي زي باقي البشر ، بقالي كتير جدا في كلية الطب وبشتغل دكتور وعمري ما قابلت واحدة زيك ومش عارف بصراحة علاجك اية؟ أو ايه اللي ممكن يحركك كبني آدمة ؟

تركها لتنساب دموعها بصمت ؛ فكم تمنت أن تصرخ فيه ؟ فهل هناك علاج للكره ؟ فهي تكرهه بكل كيانها ومشاعرها بل تمقته وتكره لمساته ، فكرت أن تهاتف والدتها وتخبرها أنها حقا حاولت ، حاولت بكل جهدها وأطاعته ولكن النتيجة واحدة .

انتظرت نومه لتدخل هي الحمام وتقف تحت المياه ، وقفت تبكي بصمت وتنساب دموعها مثل تلك المياه ، تمنت لو تصرخ وتملأ الدنيا صراخا فكفاها تحملًا ، غسلت جسدها حتى أدمته عله تزيل آثار لمساته ، لمن تنعي حظها ؟ لمن تبوح وتشكو؟ فحتى أقرب أصدقائها تركوها أو هي مَن تركتهم أم هو مَن أجبرها وفرقها عن كل مَن حولها ؟

***

ظلت هدير في بيت والدها عدة أيام في حرب مع قلبها ؛ فهي تريد بشدة العودة لبيتها ولزوجها بينما عقلها يرفض تصديقه ، فوجئت بزيارته لها فخرجت لتقابله وهي ترسم على وجهها الغضب ، اقترب منها ليحمل ابنه الذي اشتاق إليه وقبله وهو يهمس بنبرة ذات مغزى: أمك أخدتك مني وحرمتني منكم انتوا الاتنين ، عمرك شوفت أم بالقسوة دي قبل كده ؟

علقت بغضب: مين اللي حرم مين ها ؟ أنا اللي حرمتك ولا تصرفاتك ؟

أمسك ذراعها قبل أن تبتعد . انتِ ظالماني وهتبتلك وبعد ما أثبتلك هرعل أنا منك وابقي وريني هتصالحيني ازاي يا هدير؟ اتفضلي غيري هدومك وتعالي معايا .

نظرت إليه بدهشة : أنا مش هروح معاك أي مكان .

علق بغيظ : حضرتك حتى المجرم بيدوله فرصة يدافع فيها عن نفسه ولا سيادتك خلاص حكمتِ وقررتِ وبتنفذي حكمك؟ اسمعيني على الأقل واديني فرصة أثبت براءتي وبعدها قرري براحتك .

نظرت له بتردد دام للحظات ثم تركته ودخلت غرفتها لتبدل ثيابها وتركت ابنها برفقة والدتها لتخرج معه وصمت تام يسيطر عليهما .

وصل إلى مكان شعبي و صف سيارته قائلًا: تعالي انزلي العربية مش هتدخل جوا .

حركت رأسها برفض : أنا مش هنزل معاك إلا لما تفهمني احنا فين ؟ وهتعمل ايه هنا ؟ وايه المكان البيئة اللي انت جايبني فيه ده ؟

علق بتهكم : ده يا ستي المكان اللي عايشة فيه سارة فاكراها؟ اللي هدت بيتك بسهولة ؟

عقدت ما بين حاجبيها بغضب : جايبني عندها ليه ؟

تكلم بحدة : علشان أوريك انها كدابة ونصابة ، فاكرة شكلها ولبسها ؟ هي مفهمة الناس ان أبوها باشا وبيزنس مان واتفرجي شوفي هي ساكنة فين ؟ انزلي يلا .

تحرك من مكانه وفتح الباب لها : اتفضلي يلا .

نزلت بتردد وقلبها ينبض بعنف حتى وصل أمام منزل صغير وقديم فقال: ده بيتها هي ساكنة في تاني دور أول شقة يمين اتفضلي اطلعي

عقد يديه أمام صدره لتهتف هي باستنكار : انت مش هتطلع معايا ؟

أجابها بهدوء : لا علشان بس ما تقولش انها خافت مني ولا بهددها بأي حاجة اطلعي بنفسك وقوليلها اننا

اتطلقنا أنا وانتِ وانها هدت بيتنا فانتِ مش عارفة جايالها ليه أو عايزة ايه بس حابة تسمعي تاني اني بخونك معاها وشوفيها هتقولك ايه ؟

دخلت بتردد ليشجعها هو بنظراته وبعدما ما اختفت رفع نظره للأعلى ليرى سارة فأشار إليها برأسه بأمر.

صعدت هدير على السلالم المتهالكة ثم وقفت في الدور الثاني بحيرة لكنها حسمت الأمر وطرقت الباب ليفتح لها رجل غليظ الملامح ويهتف بصوت أخافها : انتِ مين وعايزة ايه ؟

نطقت بتردد : أنا كنت عايزة سارة لو سمحت .

نادى بصوته الغليظ : انتِ يا زفتة تعالي في ناس عايزينك.

خرجت سارة لترتسم ملامح الصدمة على وجهها : انتِ؟ انتِ جيتِ هنا ازاي وعايزة ايه مني ؟

حدقت بها هدير غير مصدقة منظرها المتدني وملابسها الرثة وعلقت بخنق ده ما يهمكيش ، أنا جيت علشان أقولك اني اتطلقت من هشام مع انه حلفلي ألف يمين انه مش على علاقة بيكِ وانك كدابة وحتى قالي ان ده عنوانك بس ما صدقتهوش لكن طلع عنده حق ، انتِ بجد على علاقة بيه ؟ قوليلي اه أرجوكِ وقوليلي اني ما يتمتش ابني وأبوه عايش ؟(صرخت بغضب) انطقي ساكتة ليه ؟

ابتسمت سارة وسرعان ما تحولت ابتسامتها لضحكة ساخرة: اتطلقتِ ؟ قلتيلي ؟ اممم

أمسكت هدير ذراعها بعنف : انتِ على علاقة بيه صح ؟

قطعت ضحكتها لتنظر إليها بغضب وكزه استغربت هدير مصدره : انتوا فاكرين ان الناس اللي أقل منكم مش من حقهم يحبوا ويتحبوا صح ؟

ازاحتها هدير جانبا بعصبية أنا ايه علاقتي باللي بتقوليه ده؟ أنا سؤالي محدد .

ابتسمت سارة وهي تنظر لأظافرها باستمتاع : انتِ مش اتطلقتِ خلاص ؟ بتسألي ليه ؟ عايزة ايه ؟ وهيفرق معاكِ في ايه سواء كنت على علاقة بيه أو لا ؟

أمسكتها مجددا بغيظ: انتِ هتلعبي بيا ولا ايه ؟ لا فوقي لنفسك .

تكلمت ببرود تام : وإلا ايه ؟ لو ما فوقتش هتعملي ايه ؟ جوزكِ جه برضه قبل كده فضل يصرخ ويزعق ونزل ، العبي بعيد يا شاطرة .

تجرأت هدير لتمسك بشعرها بغضب : لا ده أنا أشرب من دمك فاهمة؟ أقتلك هنا مكانك انتِ ما تعرفيش أنا مين وبنت مين؟ انتِ لعبتِ بيا صح ؟ وأنا صدقتك زي الهبلة ؟

أبعدت سارة يدها لتبتسم ببرود: عجبني هشام وحاولت أقرب منه بكذا طريقة ماعرفتش ، عرفت بعدها انه بيجهزلك شقة يهاديكِ بيها في عيد جوازكم وباقي اللعبة كان واضح.

صرخت بها هدير بغضب : ليه ؟ ليه بتدمري بيتنا ؟

صرخت سارة مثلها بعدائية: وليه يبقى عندك بيت وأب وأم أغنيا وزوج زي هشام وكمان مخلفة ولد منه ؟ ليه يهاديكِ بشقة ويرفض حتى يخرج معايا ؟ أحلى مني انتِ ؟ فيكِ ايه زيادة عني ؟ ليه ها ؟

حركت هدير رأسها بصدمة : انتِ مش طبيعية ، انتِ عارفة انتِ عملتِ ايه ؟

ابتسمت مجددًا بعدم اهتمام عملت ايه ؟ أنا ماعملتش انتِ اللي عملتِ بنفسك ، هو انتِ أي حد يقولك كلمة تصدقيه ؟ تعرفي انتِ ما تستاهليش واحد زي هشام ، خليكِ بعيد وأنا هعرف أخليه يحبني والشقة دي هتبقى بتاعتي ، أيوة هخليه يحبني

أبعدتها هدير عنها وهي تردد بعدم تصديق : انتِ مجنونة ، بجد مجنونة .

تركتها وهبطت السلالم سريعًا لتلقي نفسها بين ذراعي زوجها الذي استقبلها بابتسامة إنتصار فهتف بلوم مزيف وهو يضمها لقلبه : صدقتيني ؟ صدقتِ انها مش طبيعية وحقودة ؟

هتفت من بين ذراعيه بنشيج : سامحني يا هشام ، سامحني.

أبعدها عن صدره وعلق بغضب مصطنع : لا مش هسامحك يا هدير ، انتِ اتهمتيني في شرفي وفي حبي لبيتي ولابني ، انتِ أهنتيني وأهنتِ حبنا وهديتِ بيتنا ، أنا مش هعرف أسامحك أنا بس حبيت أثبت براءتي علشان ابني مش علشانك انتِ لكن انتِ هدوس على قلبي وأشيله من مكانه كمان .

أمسكت ذراعه قبل أن يبتعد بحزن : هشام

علق وهو يسحب ذراعه منها بجمود: يلا علشان المكان هنا مش مستواك وبعدين انك مستني يلا .

تحركت خلفه بندم ليفتح لها باب سيارته وينتظر دخولها ، بعد فترة قليلة أوصلها بيت والدها لتعترض هي بخجل : ليه جيبتني هنا ؟

نظر إليها متهكمًا : أنا مش فاكر اني زعلتك أو فاكر اني مشيتك أو فاكر اني عملت أي حاجة ضدك ، اتفضلي ابنك مستني يا هدير طالما سهل أوي عليكِ تهدي بيتك فأنا مش هحاول أبنيه أو أجليه واقف .

حاولت أن تعترض أو تتكلم لكنه نطق بصرامة : اتفضلي يا هدير .

نزلت مسرعة ودموعها تسبقها لتستمر بالجري حتى وصلت إلي سريرها وأمها خلفها تترجاها لتعرف ما بها دون جدوى .

عاد هشام مجددًا لبيت سارة وطرق بابها ليفتح والدها وهو يبتسم : أعتقد بنتي نفذت كلامك اهو يا باشا بالحرف ؟

نظر له هشام باشمئزاز بينما أخرج من جيبه رزمة نقود و وضعها بين يديه باحتقار: وأنا نفذت اهو اتفضل بس قسما بالله لو بنتك ....

قاطعه بسرعة بوعد: لو نطقت أنا هقتلها بإيدي يا باشا

تركه هشام مبتسمًا بانتصار؛ فلقد استطاع أن يقنع زوجته ببرائته المزعومة .

خرجت سارة تنظر لأبيها باشمئزاز فعلق هو : بتبصيلي كده ليه يا بنت الرفضي ؟

علقت بتهكم : قبضت ؟ انت ليه عمرك ما حسستني انك أب ليا ؟

ابتسم بتهكم وهو يضع النقود بجيبه : أحسسك ازاي يا حبيلتها؟ أطبطب عليكِ ؟ طبطبنا وانتِ صغيرة وخلص وقت الطبطبة، جهزي نفسك هتتجوزي الأسطى لمعي طلب ايدك ووافقت .

الصدمة لجمتها لعدة لحظات لتستوعب بعدها فأمسكت يده تقبلها بترجي : لا يا ابا لا أبوس ايدك الأسطى لمعي لا..

سحب يده بعنف : ليه لا يا حبيلتها ؟ ها ؟ علشان تجيبيلي العار على آخر الزمن وتفضحيني ؟ كل يوم تخرجي مع واحد متجوز ويجي هو ومراته يهرقوني هنا ؟ هستنى ايه ؟ انتِ تتجوزي وتغوري من هنا أنا مش ناقص فضايح

دفعها بعيدًا عنه لتخرج بعدها وهي تبكي ، اقتربت أمها وعلقت بسخرية : أديكِ اهو هتتجوزي الاسطى لمعي في الآخر ابقي وريني شطارتك بقى ؟ ليل نهار تلومي فيا ليه اتجوزته ؟ ليه اتحملتيه ؟ ليه ليه ليه ؟ كرهتيني في عيشتي وكرهتيني فيكِ وبدل ما تخرجي من هنا وتعملي لنفسك حياة مختلفة ، أديحة تلعبي

بالوساخة واهي طالتك واتلطيت وكل اللي عملتيه انك فضحتِ نفسك مش فضحتيه هو ، هو لعب واتسلى ودفع زي ما قال وانتِ هتلبسي لمعي ، ومراته هترجع لحضنه هي وابنها ، نابك ايه بقى في الآخر ؟

صرخت بوجهها بقهر: ساعديني طيب بدل ما تقفي تتفرجي عليا! قولي لأبويا لا

تجاهلت صراخها وتوجهت لتجلس أمام مسلسلها المفضل بينما وقفت ابنتها أمامها برجاء : قوليله لا وهيسمع ....

قاطعتها بسخرية : هيسمع ايه ؟ كلامي ؟ من امتى أبوكِ بيسمع لحد ؟ امشي يا بت من قدامي الحلقة هتبدأ .

أمسكت جهاز التحكم من والدتها بغضب : اسمعيني ده مستقبلي وسيبك من الحلقة والزفت ، اتخانقي معاه ، زعقيله! اعملي أي حاجة بس ساعديني

نظرت إليها وعلقت بهدوء : علشان يقوم راقعني بيمين طلاق وأبقى أفرح بيكِ ساعتها صح ؟

أمسكت ذراعها بتوسل : وايه يعني ؟ هاخدك ونأجر شقة في أي حتة ومرتبي هيعيشنا أنا وانتِ و...

أوقفتها والدتها بقوة: حلمك حلمك ، انتِ عايزاني أتطلق على آخر الزمن ؟ غوري يا بت من وشي ماهو كان سايبك وقلتلك خلي بالك إلا شرفك ماحيلتكيش غيره و....

قاطعتها سارة بتوسل : وشرفي محدش لمسه والله يا أمه .

ضحكت ببرود : احلفي لأبوكِ وبعدين الغبار اللي ما يصيبش يدوش ، أبوكِ مش هيستنى المرة الجاية شرفك يتلط فيجوزك ويخلص منك ، غوري يا بت من وشي وجعت دماغي .

صرخت في والدتها قبل أن تدخل لغرفتها : هسيبلكم البيت وأطفش .

أمسكت جهاز التحكم لترفع الصوت قبل أن تتمتم بعدم اهتمام: مع السلامة يا اختي والقلب داعيلك .

***

بكلية حور كانت جالسة بمفردها تراجع بعض المحاضرات ليقطع أفكارها وصول حمزة يهتف بابتسامة : حور ازيك ؟ عاملة ايه في امتحاناتك ؟

ابتسمت بمجاملة : الحمدلله بخير .

تكلم ليطيل حديثه : خلاص هانت اهو قربتِ تخلصي امتحانات والسنة طارت بسرعة .

نظرت إليه بهدوء : قد ايه كانت سنة طويلة ومملة وباردة ؟ يلا خليها تخلص (غيرت حديثها قائلة) انت هتتخرج اهو ، ناوي على ايه ؟

ابتسم وهو يجيبها بحماس : هشتغل مع والدي هو صيدلي وعنده كذا صيدلية همسك واحدة فيهم

علقت هي بمزاح : يبقى كده ضمنا التدريب في الإجازة ولا ايه يا دكتور حمزة ؟

تهللت أساريره وعلق بفرحة تامة لم يستطع إخفاءها : يا سلام ده الصيدلية وصاحبها تحت أمرك احنا نطول دكتورة حور تتنازل وتتدرب عندنا ؟

شعرت بشعور غريب تجاهه لكنها لم تقدر على تفسيره لكنه ليس لطيفًا و أحست فجأة بالضيق فوقفت باقتضاب : أنا اتأخرت ومادة بكرا صعبة بعد إذنك يا حمزة

ابتسم وهو يبتعد عن طريقها : طبعا اتفضلي ربنا يوفقك يارب وابقي سلميلي على عمو وطنط وحنين يارب .

ابتسمت بعملية : يوصل أكيد .

لتختفي من أمامه بينما قطع طريقها معتز بلهفة: جور ازيك؟ محدش بيشوفك ليه ؟

تنهدت قبل أن تجيبه : امتحانات يا معتز ، المهم أخبارك ايه؟ وعامل ايه في الامتحانات ؟

طمأنها قبل أن يسألها فجأة: حنين عاملة ايه ؟ أنا حاسس انها هي وهايدي بطلوا يتكلموا! أخبارها ايه ؟

اكتسى الحزن ملامحها وقالت: أنا نفسي بطلت أكلمها ، بشوفها كل فين وفين وجوزها بصراحة لا يطاق ومش بحب أحتك بيه .

علق باهتمام : طيب ما تتطلق منه لو مش مرتاحة معاه، ليه مكملة ؟

نظرت إليه بحيرة : معرفش ، عمري ما تخيلت انها ضعيفة للدرجة دي ، اه رومانسية بس مش ضعيفة معدومة الشخصية كده ، غير كمان ماما رافضة تماما فكرة الطلاق.

علق هو دون تفكير : أنا استغربت أصلا تفكير مامتك لما اتخانقت مع ماما علشان هايدي كلمتها وقالتلها تتطلق .

انتبهت حور فسألته بفضول: ماما اتخانقت مع طنط ؟ امتى

ضم حاجبيه بحيرة : من فترة ، تخيلت انك عارفة !

حركت رأسها بنفي : لا ، معرفش

أردف بتلقائية : ماما قالتلها خليها تتطلق بدل ما يجرالها حاجة بس مامتك رافضة تماما الطلاق ودبوا مع بعض خناقة أنا معرفش تفاصيل بس كل اللي عرفته انهم اتخانقوا ومامتك طلبت ان هايدي تبعد عن حنين .

شهقت حور بعدم تصديق : هايدي تبعد ؟ ليه ؟ ده أنا كان عندي أمل ان هايدي تقويها شوية وتساعدها تاخد القرار

علق معتز بأسف : مامتك الحل في ايديها مش في ايد حد تاني يا حور ، المهم امتحاناتك ركزي فيها دلوقتي والباقي مقدور عليه .

تركته وهي في حيرة تامة فلم تتشبث أمها برأيها ؟ ولم ترفض طلاق حنين وهي تعيسة مع زوجها ؟

وصلت بيتها لتجد والدتها تعد الغداء فوقفت تراقبها لتنتبه إليها فسألتها : ايه عملت ايه في الامتحان يا حور ؟

أجابتها بجفاء : كويس الحمد لله ، إلا انت صحيح اتخانقت مع طنط داليا وطلبت منها تبعد هايدي عن حنين ؟

نظرت إليها لوهلة باستغراب ثم تابعت ما تفعله : أيوة ليه ؟ حد اشتكالك ؟

علقت ابنتها باستنكار : ليه ؟ انت ليه مصممة حنين تكمل مع الزفت أمجد ده ؟

صاحت بحدة : احترمي نفسك واحترمي لسانك ، جوز أختك تتكلمي عنه باحترام .

صاحت حور بدورها : أتكلم باحترام لما يكون هو محترم ، بعدين حنين مش مبسوطة معاه ما تسيبيها تتطلق ؟

تركت والدتها ما بيدها ونظرت لابنتها بمنطقها العقيم: وبعد ما تتطلق ؟ فكرت في بعد كده ؟ ولا تنسى تحت رجليك زي أختك ؟

حركت رأسها بحيرة : ايه اللي هيحصل يعني ؟ هنعيش معانا زي زمان

صححت والدتها بتهكم : لا طبعا زماني كانت بنت انما دلوقتي هتبقى مطلقة ، والمجتمع مش بيرحم المطلقة ، الناس كلهم هيشمتوا فينا ، زمايلي في الشغل الأراشانات هيشمتوا ، أهل أبوكِ في البلد ، ونظرة الكل هتتغير ليها حتى وسط زمايلها ، الكل هيتجنبها اوعوا دي مطلقة ، عارفة صاحبتها دعاء مثلا؟ هتخاف على جوزها منها وتقول دي مطلقة وبتدور على عريس وهتبعد نفسها ، هايدي نفسها صاحبتها لو اتخطبت هتبعد عنها ، الكل هيبصلها يا بشماتة ، يا بطمع فيها ، يا بخوف منها لتكون عينيها على حد تبعها ، دي هتكون نظرة الكل ليها ، غير ان كل همسة وحركة ونفس ليها هيكونوا بحساب ، لو ضحكت هيقولوا مش محترمة واتطلقت علشان كده، لو خرجت اه ما هي دايرة على حل شعرها ، كل حركاتها هتبقى محسوبة عليها ، فليه كل ده ؟ ها ؟ علشان جوزها غيور شوية ؟ وراجل شويتين ؟

حركت حور رأسها برفض تام لكل ما تسمعه وردت بقوة : الرجولة مش بالضرب والإهانة ، وبعدين أنا شايفاكِ كل كلامك عن نظرة الناس والمجتمع وكل دول بصراحة ما يهمونيش في حاجة انما فين حنين من كل ده ؟ فين راحتها ؟ فين حياتها ؟ بقى معقول تحكمي عليها تعيش في ذل وإهانة علشان الناس هيبصولها ازاي ؟ ده تفكيرك يا ماما ؟ كل اللي هامك بس كلام الناس وزمايلك ونظرة المجتمع ؟ أول مرة أعرف انك سطحية للدرجة دي ؟

صاحت والدتها بغضب : اخرسي الظاهر اني ماعرفتش فعلا أربيكم ودلعتكم زيادة عن اللزوم ؟ اتفضلي غوري غيري هدومك وتعالي جهزي معايا الأكل ، خليني ألحقك انت بدل ما تطلعي زي الهبلة التانية ، يلا اتفضلي .

تركتها حور وهي غاضبة وفكرت لو تحكي لوالدها كل ما يجري من خلفه وتخبره بضرب أمجد لحنين وطلبها للطلاق ورفض أمها !

***

في الجامعة كانت أميرة تلملم أوراقها التي صورتها لامتحان الغد، توجهت للخارج لكن أوقفها صوت أحمد قائلًا: أميرة ؟

وقفت والتفت إليه بابتسامة هادئة: أحمد ازيك ؟ كان عندك امتحان النهارده ؟ عملت ايه ؟

ابتسم وهو يجيبها : الحمدلله ، انتِ طمنيني عاملة إيه ؟ أيامك غير أيامي مش عارف أشوفك بس قلت النهارده هشوفك، في جديد ؟

ابتسمت بفتور : ولا جديد ولا قديم ، انت هتخلص امتى ؟ (أضافت بأسف) هتتخرج خلاص وتمشي من هنا ؟

لاحظ أسفها : وانتِ كلها سنة وتتخرجي انتِ كمان وساعتها ؟

رفعت نظرها إليه بحزن : وساعتها ايه ؟ أقعد في البيت أستنى عدلي زي ما أمي بتقول ؟ وأمجد يجوزني جد على مزاجه وكيفه ؟

اقترب أحمد خطوة منها وقال بمغزى : خلصي بس امتحانات السنة دي وربنا يسهلها يا أميرة ، تفاءلوا خيرًا تجدوه ، ولا ايه ؟

ابتسمت بفتور : ربنا يسهل يارب ، أنا همشي انت عارف أمجد معاه جدولي وعارف بخلص امتى

ابتسم وهو يشير بيده : اتفضلي مش هعطلك أكيد ، خلي بالك من امتحاناتك وركزي فيها ده المهم .

تركته وهي محبطة ، فمع من ستتكلم حينما يتخرج هو ويتركها وحيدة ؟

***

في بيت هايدي انصرف ضيوفهم ثم دخلت هايدي لغرفتها هربًا من الكل الذي حولها ، جلست على سريرها تفكر في صديقتها الوحيدة التي افترقت عنها وتتساءل عن حالها ؟ أمسكت هاتفها وفكرت أن تتصل بها لكنها تراجعت ؛ فحنين لم تحادثها ولو مرة واحدة ، انتبهت من شرودها على دخول والدتها التي جلست أمامها بهدوء: دخلتِ أوضتك وما قلتيش رأيك ايه ؟

نظرت إليها بحيرة : رأيي ايه في ايه يا ماما ؟

ابتسمت : في دكتور محمد ؟ إنسان محترم والكل بيشكر فيه ؟ واديكِ اهو شوفتيه جنتل ولطيف هو وعيلته .

كشرت تلقائيا قبل أن تجيبها؛ فهي لم تتقبله أبدًا بالرغم من كل ما ذكرته والدتها ، أو لربما هي كرهت كل الأطباء ؛ فأمجد خدع الكل بلسانه المعسول ، تنهدت بضيق : ما حسيتهوش يا ماما، خنقني .

فغرت فاهها بدهشة : خنقك ؟ خنقك ازاي ؟ هايدي احنا مش هنرفض لمجرد الرفض ونطلع القطط الفطسانة في الناس ؟ هترفضي يبقى لسبب مقنع .

وقفت هايدي وتمنت لو تصرخ في والدتها بأنها ترفض فكرة الزواج نفسها وترفض أن تخضع لأي رجل ، نعم تجربة حنين قد أثرت فيها كثيرًا ، التفت لوالدتها وأصرت بعناد : ماحسيتهوش ، ماقدرتش أتقبله ، ما تخيلتش انه هو ده الإنسان اللي ممكن أعيش معاه ، أعمل ايه بقى ؟ أتجوزه غصب يعني ولا ايه ؟

ضاحت داليا بنفاد صبر: لا يا ستي ما تتجوزيش غصب خليكِ قاعدة كده لحد ما يجي الراجل التفصيل .

تمتمت هايدي بحسم: أيوه هفضل قاعدة كده لحد ما يجي التفصيل ، ريحي نفسك بقى وبطلي تجيبيلي عرسان صالونات كده .

تركتها داليا وخرجت من غرفتها غاضبة لتجلس برفقة زوجها محمود تردف بغيظ: بنتك رفضته .

حرك رأسه بتفهم : لسه نصيبها مجاش .

نظرت إليه بحيرة : انت شايفه وحش ؟ دكتور محمد وحش ؟

علق هو باستغراب : لا مش وحش بس مش أنا اللي هتجوزه ، سيبيها براحتها العمر قدامها طويل ، يعني يا فرحتي تجوزها لحد احنا شايفينه كويس وبعدها بكام شهر تيجي تنطلق وتقعد معانا؟ سيبيها تختار براحتها شريك حياتها مش احنا اللي هنختارلها ، ما تتكلميش معاها تاني وراعي انها متأثرة بحنين صاحبتها ، فخليها تاخد وقتها وتختار هي شريك حياتها .

***

قررت هدير العودة لبيتها ؛ فهي اشتاقت لزوجها ، رتبت حقائبها ليراها أخوها فعلق بتعجب : رايحة فين ؟

ابتسمت وهي تجيبه : راجعة بيتي .

وقف مصدومًا ولاحظت هي صدمته فسألته: في ايه مالك ؟

اقترب منها مستنكرًا : رايحه فين سيادتك ؟ انتِ نسيتِ ولا ايه انه خانك ؟

اتسعت ابتسامتها وهي تجيبه ما خانيش يا عمرو ، أنا ظلمته، البت دي كانت مزقوقة عليه.و

قاطعها أخوها باستنكار لحماقتها: فوقي يا هدير لو سمحتِ، هشام بتاع بنات وكل يوم مع واحده شكل وعينه زايغه ، وتلاقيه ظبط مع البنت دي تقولك الكلام ده أو في إن في الموضوع

حركت رأسها رافضة أن تسمع اتهاماته لزوجها هشام بيحبني يا عمرو وده المهم و...

قاطعها بغضب : هتفضلي دافنة راسك زي النعامة لامتى ؟ لحد ما تشوفيه بعينك يعني؟ ولا حتى لو شوفتيه هتعملي نفسك مش واخدة بالك ؟ فهميني بس ؟ لامتى هتفضلي مغمضة عينيكِ عن كل اللي جواليكِ؟

أغمضت عينيها بتعب من ذلك الجدال الذي لا ينتهي أبدًا مع أخيها : أنا مش مغمضة عينيا بس جوزي وسيم وده مش هنتكره وطبيعي البنات يعجبوا بيه فأنا مش هعاقبه علشان اللي حواليه و....

قاطعها عمرو بسخرية: انتِ سامعة نفسك بتقولي ايه ؟ ولا انتِ جرى لعقلك ايه ؟ ولا بتضحكي على نفسك ولا ايه بالظبط فهميني لو سمحتِ ؟

صاحت بأخيها بنفاد صبر: اه يا سيدي بضحك على نفسي انت عايز ايه مني يا عمرو؟ أنا بحبه وهو ابو ابني ومش بالسهل عليا أهد بيتي ، فأه من هنا لحد ما أشوفه بعيني بيخوني هفضل في بيته وهفضل أحبه ، انت عندك مانع ؟ لما تشوفه بيخوني ابقى تعال قولي و وريني بعيني علشان أقنع قلبي وعقلي اني أسيبه غير كده لأ ، ها خلاص كده فهمتني ؟

ابتعد عنها وهو يحرك رأسه بأسف عليها: فهمتك يا ستي وآسف ليكِ هسيبك تاخدي فوق دماغك وتبقي ترجعي تغيظي ، بعد إذنك .

أوقفته بتردد: مش هتوصلني ؟

نظر إليها بتهكم: اتصلي بجنابه يجي ياخدك .

علقت بسرعة بحزن : زعلان مني .

حرك رأسه بغضب من غباء أخته : وأنا مش هوصلك بيته بعد إذنك يا هدير .

تركها وفكرت للحظة في كلامه ولكن نفضت رأسها فهي الآن سعيدة بقرار عودتها ولن تسمح لأحد بأن يعكر صفو فرحتها .

طلبت من والدها مساعدتها فوافق فرحًا بقرار عودتها ، وصلت بيتها أخيرًا هي وابنها ، استعدت بسرعة ولبست ما اشترته خصيصًا لمصالحته كما تزينت وجلست تنتظره ولم يطل انتظارها فلقد وصل وتفاجأ بوجودها ببيته فحاولت أن تعتذر لكنه وضع يده على شفتيها يمنعها من التحدث بلهفة: حمدلله على سلامتك في بيتك ، وحشتيني ما تتخيليش البيت كان مظلم ازاي من غيرك

حملها بين ذراعيه ليدخل غرفة نومه ويعبر عن اشتياقه لها بلغة أخرى

***

تفاجأت سارة بحضور الأسطى لمعي لخطبتها فعلًا فحاولت أن ترفض أو تقنع والدها ولكنه قد قبض ثمن زواجها و قضي الأمر، راقبته وهو يتحدث ملء فمه مع والدها؛ فهو في نفس عمره وكرهته، كرهت صوته العالي وبطنه المتهدله ، كرهت صلعته اللامعة وتفاجأت بدموعها تتحدر فمسحتها بعنف؛ فهي أبدًا لن تخضع لوالدها ، وقفت وانسحبت مسرعة فابتسم والدها بسماجة: مكسوفة اليت انت عارف بقى .

ضحك ببشاعة: خليها براحتها وقولي هنكتب الخميس الجاي وتدخل واديك شوفت بنفسك شقتها كاملة من كله ، هي تشاور بس وتيجي تنورها .

ضحك والدها: نكتب الخميس الجاي وماله ؟!

قضى بعض الوقت ليقف بعدها لينصرف ثم دخل إسماعيل ليحضر ابنته ، فصرخت بوجهه بعناد: مش هحرج ومش هتجوره ها .

أمسك شعرها بيده وأحست انه سيقتلعه من جذوره فصرخت بألم ليهتف هو محذرًا : قسمًا بالله أقتلك وأشرب من دمك فاهمة ؟ فرحك يوم الخميس الجاي واطلعي يلا سلمي عليه قبل ما يمشي ، قال مش هتتجوزه قال! بمزاجك هو ؟ غوري يلا .

دفعها بعنف ناحية الباب لتصطدم به وتفتحه ، خرجت بخذل و وقفت أمامه فابتسم هو بسعادة : يوم الخميس الجاي يا حلوة هتبقي في بيتي ، هصبر نفسي لحد الخميس .

نظرت إليه بكره واضح بينما ابتسم هو ووضع يده بجيبه وأخرج رزمة صغيرة من النقود ووضعها بيدها : نقطتك يا حلوة البنات ، مبروك عليكِ يا قمر انتِ .

لمعت عيناها، فربما يعوضها بماله ، ابتسمت أخيرًا له قبل أن ينصرف لتغلق الباب خلفه وتتفاجأ بأبيها خلفها وهو ينظر لما بيدها بجشع : وحش بقى الأسطى لمعي ؟ ولو وحش فلوسه تحليه ، انزلي اشتري لبسك بالفلوس دي ولو عوزتِ حاجة تاني اطلبيها منه مش تقولي مش هتجوزه!

لم تعلق على كلامه بل تجاوزته لغرفتها وهي تفكر في خطوتها القادمة بحذر .

***

انتهت الامتحانات أخيرًا وقرر عبد القادر أخذ ابنتيه لقضاء عطلة صغيرة في أحد المصايف ، وقرر أخذ حنين معه للترفيه عنها و الاقتراب منها مجددًا؛ فربما تفضفض عما بها وتعود لسابق عهدها.

ذهب برفقة عائلته لزيارتها حتى يخبرها عن قرار سفرهم ، رفض أمجد في بادئ الأمر ولكن أمام إصرار والدها قرر الذهاب برفقتها ، سافر الجميع إلى الفندق الذي اختاره عبدالقادر لعائلته ليدرك أمجد فيما بعد أنهم معتادين على النزول في هذا الفندق تحديدًا كل عام .

استغلت حنين نوم زوجها لتخرج للبحر لعل هواءه يريح قلبها ولو قليلًا

استيقظ من نومه ليتفاجأ بعدم وجودها في الغرفة فنزل مسرعًا يبحث عنها ، سأل والدتها، أخبرته أنها تتمشى قليلًا على شاطئ البحر ، ذهب تجاه البحر فرآها، ظل يراقبها وهي شاردة تمامًا وتمنى لو استطاع أن يقتحم أفكارها .

اقترب منها لتتفاجأ به فتنهدت بحزن؛ لقد انتهت خلوتها ، سألها بجفاء : ازاي تنزلي لوحدك وبدون ما تعرفيني ؟

نظرت للبحر قبل أن تجيبه : حبيت أتمشى لوحدي ، مش جايين هنا نغير جو ونريح أعصابنا شوية ؟ سيبني أريح أعصابي شوية .

حاول التماسك والسيطرة على انفعالاته ونظر مثلها للبحر أمامه ، تمتم بهدوء : ما تكرريهاش تاني علشان رد فعلي مش هيعجبك .

تجاهلته وخطت عدة خطوات تجاه البحر لتبتل قدماها ، اقتربت أكثر لتتفاجأ به يمسك ذراعها بعنف : انت فاكرة نفسك بتعملي ايه ؟

نظرت إليه بدهشة : انت ايه مشكلتك ؟

أجابها بحدة : مشكلتي ان الميا هتبل هدومك وهتلزق عليكِ دي مشكلتي

صرخت بوجهه بنفاد صبر : خلاص هروح أغير هدومي وألبس مايوه وأنزل الميا

ضغط على ذراعها أكثر : ده أنا أقتلك قال تلبسي مايوه قال

سحبت ذراعها بعنف : في مايوهات محترمة وده عمومًا اللي بلبسه ، بيكون مغطي تقريبًا الجسم كله .

كرر باقتضاب : ولا مغطي ولا عريان مفيش نزول ميا أساسا ريحي دماغك .

تنهدت بتعب : أمال جايين ليه ؟ ها؟

ابتسم بتهكم : أنا برضه اللي جايبك ؟

ساد الصمت لتقطعه بانصرافها عنه لكنه أمسك ذراعها مجددًا قبل أن تتحرك : على فين سيادتك ؟

حاولت تخليص ذراعها بقهر : هروح أقعد سيب ذراعي .

ترك ذراعها وتحرك معها ، تضايق حين جلست بجانب والدها ، لقد تمنى لو يجلسا سويا بمفردهما .

ابتعدت حنين بعد فترة وجلست على مقعد بعيد قليلًا واسترخت فيه تمامًا ، انتبهت على صوت ما يناديها لتعتدل في جلستها وتنظر لصاحب الصوت فابتسمت وهي ترحب به : تيم ازيك؟ عامل ايه ؟

لم تلحظ نظرات زوجها النارية وأكملت حديثها بينما رمق أمجد والدتها بعصبية طفيفة: مين ده ؟

أجابته : ده تيم نعرفه من كذا سنة ، شخصية لطيفة و جدعة ، وولد محترم ما تقلقش منه .

ابتسم بمجاملة ولكن لم يتحمل الجلوس طويلًا فاقترب منها ليضع يده حولها بتملك فتولت هي تعريفهما على مضض

ابتعد تيم ليمسك أمجد ذراعها بغضب ويهمس من بين أسنانه حسابك معايا في أوضتنا مش هنا اصبري عليا .

نظرت اليه بتوتر تيم ده صديقنا من زمان ، وبعدين أنا سلمت عليه يادوب

نظر اليها بتهكم : وبعدين ؟ الكلام ده قبل ماتتجوزي، دلوقتي مفيش حاجة اسمها صديق والكلام الفاضي ده .

قضت حنين معظم اليوم برفقة والدها كي لا تسمح لأمجد بالانفراد بها ، بعد العشاء توجه الجميع للسهرة سويا ليلاحظ أمجد وجود تيم في فريق الترفيه ، رحب تيم بأسرة حنين بشكل خاص و وقف وسط فريقه ليبدأ البرنامج الترفيهي واختار أغنية أهداها لحنين غنى في مطلعها

((على الشط استني رايحة فين ده أنا ليكِ بغني غنوتين

غنوة عن الآه والحنين وغنوة لعينيكِ يا حنين))

أمسك أمجد ذراع حنين بغضب وأخذها دون حرف منه لغرفته ، وهناك صفعها وتحدث بلهجة مخيفة بيغنيلك سيادته وتقولي مفيش حاجة بينكم ؟

صرخت فيه بعصبية مفيش وانت حر تصدق أو لا ، أنا مابقيتش متحملة العيشة معاك ، طلقني

أمسك ذراعها بعنف ورد بتهكم دي نجوم السما أقربلك ، اتفضلي لمي هدومنا هنمشي دلوقتي .

***

(١٢) والاخير

شرع أمجد في تحضير حقيبته بينما راقبته حنين بغضب وتذكرت جملة والدها حين همس في أذنها ((وقت ما تكتفي منه وتاخدي قرارك بلغيني أنا كده كده مش طايقه أصلا))

ابتسمت لوالدها وشدد على يدها يدعم وغمزها بعينه ((قرري انتِ بس وأنا معاكِ))

انتبهت عليه يمسك ذراعها بعنف : يقول جهزي شنطتك انتِ مش سامعاني ؟

أبعدت يده بعيدًا و وقفت في وجهه بتحدي : قلتلك طلقني أنا مش هرجع معاك .

تحدته ولم يتحمل هو هذا التحدي الصريح ، حاول أن يتماسك ولكن هيهات فرفع يده وصفعها بقوة فصرخت مجددًا بتصميم: برضه مش همشي معاك .

صفعها مجددًا وتأوهت لكنها وقفت مرة ثانية بعناد : برضه مش همشي يا أمجد ، مش هتاخدني من هنا غير جثة .

ابتسم وردد : وماله يا حنين وماله ؟!

ضربها بقبضة يده ضربة أوقعتها أرضا ثم مال بركبته وأمسك شعرها ليرفع وجهها تواجهه قائلًا بنبرة خطرة: هتلمي شنطتك ويلا ولا لسه ؟

رفعت وجهها ونطقت وهي تتألم: قلتلك مش همشي معاك

لهنا واعتدل في وقفته ثم بدأ يركلها بقدمه ونسى أنها مجرد فتاة ، لم يتوقف إلا حين لاحظ أنها لم تعد تتحرك أبدًا ، فتحول غضبه لخوف شديد فاقترب بتوتر منها ورفع وجهها الدامي وهو يتحسس عنقها ليزفر بارتياح عندما شعر بنبضها مستقرًا، جلس بجانبها يزيح خصلاتها عن وجهها قائلًا بنبرة هادئة: ليه بتخليني أعمل كده ؟ ليه بس يا حنين ؟ امتى هتفهمي اني بحبك ؟

اقترب منها ليفحصها وتفاجأ عندما لاحظ أن هناك ضلعين مكسورين ، احتار كيف يتصرف؟ وأخيرًا قرر أن يستغل الفرصة ، وقف مسرعًا وأخذ يجمع كل أغراضها بدون ترتيب ووضعها في حقيبتها ثم أغلقها بسرعة ونظر مرة أخرى للغرفة ليتأكد أنه لم ينس شيئًا ، فتح الباب ليتأكد من خلو الممر ، وعاد ليحملها ونزل مسرعًا لسيارته ، قابله أحد عمال خدمة الغرف فقرب وجهه منها كأنما يقبلها فابتعد العامل عن طريقه؛ فهو معتاد على مثل هذه المناظر ولم تعد تلفت انتباهه، أخيرًا وصل لسيارته ووضعها على المقعد الخلفي وعاد مجددًا لينهي إقامته على عجالة ويطلب حقائبه ، تعجب الموظف حين أخبره برحيله خاصة في هذا الوقت من الليل ولكن برر أنه طبيب ولديه حالة طارئة ويجب أن يتواجد بغرفة العمليات مبكرًا ، أخذ حقائبه وركب بسيارته وتحرك مسرعًا لبيته ، لكنه وقف أولًا أمام إحدى الصيدليات واشترى عدة أدوية وحقن مهدئة ، حينما لاحظ أن حنين تسترد وعيها أوقف سيارته وحقنها بحقنة مهدئة وأقنع نفسه أنها تحتاج للراحة لتلتئم جروحها وكسورها أسرع .

وصل أخيرًا لبيته فجرًا وحملها ليضعها على سريرها وحاول قدر الإمكان معالجة كل جروحها ولف ضمادة ضاغطة على صدرها عله يستطيع مداواتها في المنزل ، فهو يعلم أنها تحتاج إلى ستة أسابيع تقريبًا لتشفى ، جلس بجانبها يفكر في الخطوة القادمة، فهي للمرة الأولى تتحداه بمثل لهذه الدرجة !

في الصباح استيقظ عبد القادر بنشاط و ابتسامة تزين ثغره، وقد قرر أن يقضي يومه برفقة ابنتيه والخروج من الفندق ثلاثتهم فقط ، أمسك هاتفه واتصل بحور أيقظها وأخبرها بخطته وطلب منها أن تيقظ حنين ليفطروا سويًا ، ارتدى ملابسه بينما رمقه زوجته بعتاب: انت برضه مُصمم تخرج بيهم ؟ يعني سيب حنين و

قاطعها بنظرته الحادة فقطعت حديثها بينما تابع هو استعداده لتضيف بجدية : يعني هتسيب جوزها لوحده وتخرج معاك ؟ ده اسمه كلام ؟

زفر بضيق قبل أن ينظر إليها : بنتي وحابب أخرج معاها انتِ ايه مشكلتك ؟ ولا هو ايه مشكلته ؟

عبرت بضيق : مشكلته انه جاي مصيف مع مراته وده أول مصيف ليهم مع بعض تقوم انت تاخدها منه وتخرج ؟

أجابها بتهكم : اوعي الحب المقطع بعضه ده ؟ بنتك مش طايقاه يا صابرين ولو انتِ مش شايفة ده تبقي عمياء ، هاخدها بعيد عنه وأفهم هي ليه مكملة معاه ولو عايزة تتطلق هطلقها لكن مش هسيبها تدبل أكتر من كده .

وقفت بغضب و واجهت زوجها : انت عايز تطلق بنتك اللي متجوزة يادوب من كام شهر ؟ الناس تقول ...

قاطعها بغضب : تولع الناس اللي هتقول ، أنا يهمني بنتي وسعادتها لكن الناس دي تشرب من البحر ، بعدين انتِ مالك بكلام الناس ها؟ أخدتِ منهم ايه ؟ ولا هيقولوا اوعى اللي بنتها اتطلقت اهيه ؟

هتفت بتأكيد : فعلا هيقولوا يا حرام بنتها اتجوزت من هنا واتطلقت من هنا ، هيقولوا على بنتك فاشلة ومطلقة وماعمرتش في بيت جوزها ، هيطلعوا فيها القطط الفطسانة وهيألفوا حوارات وحكايات وخصوصًا ان جوزها عريس لقطة في نظر الكل ، هيقولوا كتير أوي يا عبدو .

نظر إليها بلامبالاة: طظ ، يقولوا اللي يقولوه ، كل ده ما يهمنيش قصاد سعادة بنتي وراحتها .

أمسكت ذراعه بترجي : عبدو سيب بنتك تعيش حياتها زي ما هي عايزة وسيبها تعافر ما تهدش انت بيتها .

سحب يده بغضب وعلق باستنكار : أهد بيتها ؟ أنا يا صابرين؟ أنا محدش في الكون ده كله بيحبها قدي ولا حد بيحب بناته زيي، أنا مش عارف لو مش مهتمة بسعادة بناتك فايه تاني مهم عندك ؟ بتفكري ازاي انتِ ها ؟ مهتمة بالناس وكلامهم أكتر من اهتمامك ببناتك نفسهم ؟ اي نعم أنا عارف انك إنسانة باردة وعملية بس دول بناتك ، حنين دي بنتك وأول فرحتك ازاي تهون عليكِ ها ؟

فتحت فمها لتتكلم ولكن قاطعتها طرقات حادة على باب الغرفة ليفتح عبد القادر بتوتر ويتفاجأ بصغيرته تلهث فأمسك ذراعها بخوف: في ايه؟ وبتجري كده ليه ؟ حصل ايه؟

استردت أنفاسها ونظرت لأبيها : حنين مشيت .

وسعت عيناه من الصدمة وكرر ببلاهة : مشيت ؟ مشيت فين ؟ يعني ايه مشيت أصلا ؟ انتِ بتقولي ايه يا حور ؟

كررت ابنته بتوضيح : مشيت يا بابا مع جوزها ، يعني أمجد أخدها وعمل خروج من الفندق وقال وراه عملية مهمة الصبح بدري ، مشيوا من الليل .

استغرق الأمر منه عدة دقائق ليستوعب ويحلل ما سمعه ثم نظر لزوجته بلوم : عاجبك كده انتِ صح ؟

لم ينتظر ردًا منها بل أمسك هاتفه ليتصل بابنته ولكن هاتفها مغلق ، اتصل رغمًا عنه بزوجها ليجيبه بسرعة : ايوة يا عمي صـ......

قاطعه بعصبية : بنتي فين؟ وازاي تاخدها كده وتمشي ها؟

وضح بهدوء يكاد يصل للبرود : أولا اهدا يا عمي ، وثانيًا أنا ماعملتش حاجة غلط علشان تزعق بالشكل ده، وثالثًا والأهم جتلي عملية لمريض متابعه من فترة وكان لازم أنزل .

علق عبدالقادر بغضب : جتلك عملية يبقى تسيب مراتك مع أهلها وتتوكل على الله انت تشوف شغلك مش

تاخدها معاك في نص الليل وبدون ما تقول لحد زي الحرامية !

علق أمجد بهدوء : إن شاء الله المرة الجاية .

صاح به بعنف : اديني حنين عايز أكلمها وموبايلها مقفول.

علق ببساطة : حنين أكيد نايمة دلوقتي وللأسف نسيت موبايلها في عربيتي لأنها كانت نايمة ونزلت ونسيته وطبعًا أكيد فاصل شحن خليني أخلص العملية وأروح أخليك تكلمها يلا سلام يا عمي .

أغلق هاتفه وهو يتنفس الصعداء؛ لقد مرت أول خطوة بسلام ولكن كيف سيجبر حنين لتتكلم مع والدها دون أن تفصح عن شيء أو تطلب من والدها الطلاق ؟

نظر إليها وراقبها وهي نائمة وابتسم قائلًا في سره: يا لها من ملاك جميل ! . أحس بها تتحرك فاقترب منها بهدوء : حنين طمنيني عليكِ ؟ عاملة ايه يا حبيبتي ؟

فتحت عينيها بضعف وحاولت أن تتحرك لكنها لم تستطع ، اقترب أكثر ونبهها : اهدي وما تتحركيش علشان ما تتوجعيش .

نظرت إليه بخوف وتكلمت بوهن : أنا فين؟ وايه اللي حصلي؟

ربت على شعرها : حبيبتي انتِ معايا وفي حضني .

حاولت أن تبتعد ولكن لم تستطع فنظرت حولها استيقاجا بأنها في بيته وفي غرفته ، ارتفعت أنفاسها و ودت لو تصرخ أو هي بالفعل صرخت لكنه وضع يده مسرعًا على فمها يمنعها بتهديد: صوتك ما يعلاش ، اهدي وبعدين أي حركة ممكن تأذيكِ فاهدي علشان كمان إنت مهددة ان صدرك يتعب أو نفسك يتضايق .

حاولت أن تحرك يده لتبعدها عن فمها فأبعد يده بتحذير: هشيل ايدي بس اهدي .

أبعد يده بهدوء لتنطق هي بضعف : أنا ايه اللي حصلي ؟ وجيت هنا ازاي ؟ وفين بابا وماما ؟ انطق .

نظر لعينيها ببرود : اهدي الأول علشان زي ما ملاحظ نفسك بدأ يضيق ، اهدي علشان عندك ضلعين مكسورين ولو ضغطوا على الرئة هتحتاجي لتدخل جراحي ، فاهدي يا حنين ، وبعدين أنا جيبتك هنا وجينا بالليل وعيلتك لسه هناك .

حاولت أن تتماسك كي لا تنفجر به مجددًا وتساءلت بضعف: وعيلتي ازاي سابوني آجي معاك كده ؟

مط شفتيه بعدم اهتمام فأكملت باستيعاب: انت خطفتني ومحدش عرف صح ؟ انت لا يمكن تتخيل أنا بكرهك قد ايه في اللحظة دي !

ابتسم وقرب وجهه منها بسماجة : وانتِ لا يمكن تتخيلي أنا بحبك قد ايه ؟ حنين انتِ مراتي ودنيتي كلها وانتِ اللي بتعصبيني وترجعي تزعلي بعدها ، اهدي وهنبقى حلوين.

علقت بسخرية : قصدك أخرس وأحط جزمة في بوقي وأغمض عيني وأبقى خرسا وطرشة وساعتها نبقى حلوين ؟ ده اللي انت عايزه ؟ واحدة لا ترى لا تسمع لا تتكلم وتمارس رجولتك عليها وتحس بقيمتك لما تزعق وتمد ايدك عليها ، صح كده ؟

تسرب الغضب لداخله لكنه حافظ على ابتسامته المستفزة وهو يستنكر كلامها : أمارس رجولتي ؟ ده اللي انت شايفاه ؟ تربيتي ليكِ ...

قاطعته بغضب واهن : أنا مترببة غصب عن أنفك انت اللي مريض واه شخصيتك مهزوزة ومن جواك فارغ علشان كده محتاج لواحدة تضربها وتهينها علشان تحس برجولتك؛ لأنك لو من جواك راجل ماكنتش تستقوى أبدا على واحدة ست ، الراجل اللي بيمد ايده بتسقط رجولته مع أول قلم وانت سقطت من بدري في نظري ،

مابقيتش شايفاك راجل .

أمسك شعرها بعنف لتتأوه وتضع يدها على ضلوعها فأبعد يده بسرعة و وقف بنفاد صبر : حظك انك مكسورة وإلا قسمًا بالله كنت كسرتك أكتر من كده ، مش هتخرجي من هنا غير بإذني .

صرخت به بوهن: هكلم بابا وهتطلق منك .

ابتسم ببرود وهو يخرج هاتفها من جيبه ليريها إياه ثم يعيده مرة أخرى: وريني هتكلميه بإيه ؟

تركها وأغلق الباب خلفه ليختفي صراخها تمامًا بعد أن أغلق باب شقته وتوجه لوالدته التي فوجئت بعودته فسألته : جيت امتى؟ وجيت ليه مالحقتش أصلا ؟

ضم حاجبيه بغضب : سيبك من ليه وامتى المهم دلوقتي عايزك كل شوية تطلعي تطمني على حنين وساعة كده تأكليها هي تعبانة شوية .

أمسكت ذراعه قبل أن يتحرك بتعجب : انت رايح فين طيب طالما تعبانة ؟

أجابها : ورايا عملية مهمة خليك جنبها واه صح (تلفت حوله ليتأكد أن أخته لا تسمعه ثم همس) اوعي تخرج برا أوضتها واوعي تتصل بحد .

ضربت أمه صدرها وهي تشهق بصدمة : انت حابسها ؟ هي وصلت للحبسة ؟ وليه كل ده ؟ ما تسيبها تغور لأهلها وأنا أجوزك ست ستها .

أمسك ذراع والدته بغضب : بقولك ايه اسمعي كلامي وبلاها رغي كتير ولا ست ستها ولا الكلام الفاضي ده ، لا تكلم حد ولا تخرج برا الأوضة مفهوم يا أمي ؟

أومأت برأسها قبل أن تسأله : طيب هي مالها بالظبط ؟

نفخ بضيق قبل أن يجيبها : عندها ضلعين مكسورين .

لطمت خديها بصدمة قبل أن تعلق : هي وصلت انك تكسر ضلوعها ؟ حرام عليك يا أمجد بنت الناس في ايه يا ابني؟ ايه اللي جرالك ؟

صرخ بوجهها بعنف: اتجننت ؟ مالي ما أنا كويس اهو هي اللي مستفزة وبتعصبني وبتغلط وبعدها تعيط أعملها ايه ؟

صرخت بدورها بحدة: طلقها وسيبها طالما مش مرتاح معاها، ليه توصل للضرب بالشكل ده ؟ ولو ماتت في ايدك هتعمل ايه ؟ تتحبس علشانها ؟ تضيع عمرك ومستقبلك ؟

هدأ قليلًا : قتل ايه بس ؟ أنا بحبها يا أمي .

صرخت مجددًا : حب ايه اللي تكسر ضلوعها وتقول بحبها ؟ هو ايه الدبة اللي قتلت صاحبها ؟ أمجد انت ما بتحبهاش لو بتحبها تسعدها مش تحبسها علشان تفضل معاك، فوق لنفسك وسيب البنت تروح لأهلها واختار واحدة تحبك وتكون تحت طوعك .

حرك رأسه برفض وتوجه للخارج : ابقي اطمني عليها .

خرج وتوجه إلى المستشفى حيث يريد أن يتناقش مع زميل له متخصص بالعظام والكسور .

أغلقت سناء الباب خلفه لتتفاجأ بابنتها تهتف بصدمة : انتِ ازاي قابلة تصرفاته دي ؟ انتِ ليه ساكتة عليه كده ؟ انتِ مريض لازم يتعالج .

صرخت في وجه ابنتها بحدة : اخرسي قولي كلام غير ده ، هي اللي بتجننه وعايزة .

قاطعتها صارخة : عايزة ايه ؟ ابنك مهووس ومجنون ومش طبيعي حرام عليكِ اللي بتعمليه فيه ده ! هو لازم يتعالج ، عالجيه بدل ما بيأذي كل اللي حواليه وفي الآخر هيأذي نفسه، اتصلي بأهل حنين يجوا ياخدوها حرام عليكِ .

أزاحتها جانبا بلا مبالاة: خليكِ في حالك وما تتدخليش في اللي مالكيش فيه .

أكملت صراخها: وهو أنا ماليش فيه ؟ ما أنا زيها عايشة في ناره ، ما أنا محبوسة زيها ، ما أنا بتضرب وبتهان زيها ، ما أنا بدعي ليل نهار ربنا يخلصني منكم بأي شكل وبأي طريقة حتى لو هموت الموت أرحم وأهون منكم.

أمسكت ثناء ذراع ابنتها بقسوة: أخوكِ مكان أبوكِ وهو اللي فاتح البيت ده بخيره وربنا يخلي حسه بالدنيا ، علاقته بمراته هو حر فيها يضربها يشتمها يحبها يكرهها هو حر وده آخر كلام عندي وإلا قسمًا بالله هقوله هو يتصرف معاكِ ، خليكِ في حالك مش هقول تاني .

تركتها لتحضر أكلة خفيفة لحنين وتطعمها فجزء بداخلها يرأف لحالها وتمنت لو تمتلك الجرأة لتهاتف والدها وتطلب منه أخذ ابنته .

***

استيقظ هشام لعمله وابتسم حين وجدها بجانبه ، فهو بالفعل يحبها وقرر بداخله أن يخلص إليها فهو لا يقدر على العيش بدونها أو بدون صغيره ، نظر في ساعته، فلا يريد أن يتأخر على عمله ، تركها ليستعد بينما استيقظت هي مبتسمة ، ثم ذهبت مسرعة لتعد له إفطارًا سريعًا وقهوته المفضلة ، اندهش هشام حينما عاد لغرفته ولم يجدها ولكن افترض أنها برفقة ابنهما ، ارتدى ملابسه على عجالة وتوجه للخارج ليتفاجأ بها تضع على المائدة قهوته وابتسمت حين رأته ثم ذهبت لتتعلق بعنقه بحب: صباح الخير يا حبيبي .

قبلها برفق : صباح النور لأجمل ديرو في العالم كله ، ايه اللي مصحيكِ بدري كده ؟ أنا مارضيتش أصحيكِ .

قبلت وجنته قبل أن تمسك يده وتأخذه ليجلس بجانبها : قلت نفطر مع بعض بسرعة قبل ما تنزل ، يلا خد ساندوتش واشرب قهوتك وانزل .

جلس برفقتها واكتشف أنه يقع بحبها من جديد ، توجه بعدها للبنك وجلس على مكتبه يباشر عمله لينتبه على ظل فوقه فنظر لسارة التي انحنت فوق مكتبه بجدية: صالحتك ؟

نظر إليها بطرف عينيه وسألها بتهديد: جاية ليه ؟ مش خايفة لأخنقك ولا تحبي أعمل زيك وأطلبلك الأمن ؟

كررت سؤالها متجاهلة تهكمه : صالحتك ؟

ترك قلمه ورفع نظره إليها وعاد بظهره للوراء : عايزة ايه يا سارة ؟ سبق وقلنا علاقتنا كانت مصلحة متبادلة .

سألته بغضب : انت كانت ايه مصلحتك ها ؟ تخرج تتغدى معايا ؟ ما تخرج مع مراتك !

ابتسم بخبث : وهو احنا كنا بنخرج بس ؟ ماكنتش بتسلى ؟ وأقرب وأمسك و

قاطعته بغضب : اخرس يا هشام اخرس .

تلفت حولها لتتأكد أن لا أحد يسمعهما فهتف هو ببرود : ارجعي لمكتبك لو مش عايزة حد يسمعك واعتبري اللي فات ده كان مجرد تسلية وخلصت ، روحي مكتبك ، واه ما تنسيش اني رئيسك المباشر فمن النهارده ما ترفعيش الالقاب بينا

ضربت بيدها مكتبه بغيظ : بتتكلم بكل برود ، انت عارف مرواحك لأبويا عمل فيا ايه ؟ أنا هتجوز يوم الخميس واحد اسمه الأسطى لمعي متخيل ؟

لم يستطع كبت ضحكته ونظر إليها باستمتاع : اسطى ؟ اممم ، طيب مبروك .

اقتربت منه بهياج : بقولك أسطى تقولي مبروك ؟

نظر لعينيها بتحدٍ : يعني بالنظر لمستوى عيشتك اللي شوفته ده طبيعي مش فاهم انتِ ازاي تخيلتِ حاجة غير كده ؟ وبعدين محدش قالك تروحي تعضي الايد اللي اتمدتلك ، يعني دلعتك وخرجتك وفسحتك ولبستك يبقى تبوسي ايدي مش تروحي لمراتي! انتِ اللي عملتِ ده في نفسك ، طمعك وجشعك اللي عملوه مش أنا .

تركته بغضب وعاد هو لعمله ليلمح بعد قليل دعاء وهايدي سويًا فذهب إليهما وبعد سلامه نظر لدعاء بتهذيب : دعاء ممكن معلش أطلب منك طلب ؟

نظرت اليه باستغراب : خير اتفضل ؟

ابتسم بخجل قبل أن يتكلم : مش هبرأ نفسي وأقول اني شخص كويس وان وان، أنا وسارة غلطنا ، أنا كنت بعتبرها صديقة مقربة لكن مش حب وهي فهمت قربي منها غلط ، يعني عزمتها على الغدا كام مرة مش أكتر و....

قاطعته دعاء برسمية: أستاذ هشام علاقاتك الخاصة أنا ماليش علاقة بيها فحضرتك عايز مني ايه ؟

أخذ شهيقًا طويلًا قبل أن يتكلم بصراحة: لو مراتي جت تاني...

قاطعته مجددا : ما تدخلنيش في خصوصيات زي دي لو سمحت .

وضح مسرعًا : مش هدخلك بس لو سألتك قوليلها اننا كنا مجرد اصحاب ، لو سمحتِ انتِ ما يرضيكيش بيتي يتخرب أنا بحب مراتي وابني .

علقت هايدي غاضبة : ولما بتحب مراتك وابنك بتخرج مع غيرها ليه؟! وبعدين مراتك حلوة وأحلى من سارة كتير فإيه ؟ فراغة عين ؟

أمسكت دعاء ذراع صديقتها بتحذير: هايدي اسكتي انتِ ...

قاطعها هشام بهدوء: هي عندها حق سيبيها تتكلم أنا غلطت في حق مراتي بس لحقت نفسي وفوقت ورجعت مراتي وابني لحضني ومش عايزهم يبعدوا عني وكل اللي طالبه لو سألتكم مش أكتر بس تقولوا اننا كنا اصحاب وياريت لو كمان تقولوا انكم عارفين اني متجوز .

صاحت هايدي باستنكار : نكدب يعني ؟ ليه إن شاء الله ؟ علشان تضحك على المسكينة مراتك ؟

نظر إليها بتوضيح : أنا بصالحها مش بضحك عليها ، عايزها في بيتي .

تنفست بغضب : عايزها في بيتك يبقى تراعيها وتحبها ، عايزها في بيتك يبقى تخلي بالك منها ، عايزها في بيتك يبقى ما تخونهاش، عايزها في بيتك يبقى تخلي بيتك يتقعد فيه أصله مش بالكلام .

صمتت لتلهث بغضب وكليهما يتابعانها بصدمة فما سر انفجارها بتلك الطريقة ؟

أضافت بهدوء ظاهر : مراتك لو سألتني هقولها إننا ما نعرفش انك متجوز وهقولها لو بتفكري تسيبيه فسيبيه وخليك قد قرارك ما تستحمليش لأنه هيعملها تاني وتالت ورابع عمرها ما بتكون المرة الأخيرة أبدًا .

تركتهما غاضبة وجلست على مكتبها تسترد أنفاسها ، نظر هشام لدعاء التي ابتسمت بعملية : ربنا يسهل يا أستاذ هشام بس طالما بتحب مراتك يا ريت بجد تصونها وتحفظها ، اطمن لو سألتني مش هقول حاجة تضرك بس كمان مش هكدب عليها علشانك ومن ناحية هايدي اطمن مش هتقول حاجة لمراتك ، بعد إذنك .

تركته لتلحق بصديقتها وتجلس أمامها بهدوء : آخر مرة كلمت حنين امتى ؟

عقدت حاجبيها بغضب : مش هكلمها ومش عايزة أكلمها خليها تفرح بالدكتور بتاعها اللي بيلطش فيها نهار وليل وتستحمل وتعيش دور الست الضحية .

علقت دعاء بجدية : وهي مش ضحية يا هايدي ؟

حركت رأسها برفض تام : ضحية غبائها وضعفها اه مش حاجة تانية ، حنين لو قالت لأبوها عايزة تتطلق هيطلقها ولا يمكن يسيبها لحظة واحدة في بيته .

أحست دعاء بمدى غضب هايدي فحاولت تهدئتها : ولو قالتله وتعب فيها ولا جراله حاجة تعمل ايه ؟

علقت هايدي بغضب : انتِ هتعملي زيها ؟

وضحت بعقلانية : أيوة هفكر بنفس أسلوبها ، حاولي تعذريها وخليكِ جنبها هي أكيد محتاجاكِ .

نظرت إليها بتهكم : مامتها قالتلي أبعد عنها وهي ما اتصلتش ولا مرة بعدها ، شوفتِ الاحتياج ؟ قومي يا دعاء شوفي شغلك ، نائب الأستاذ عبدالقادر رخم وممكن يسمعك كلمتين مالهمش لازمة قومي .

تركتها وجلست هي في مكانها تفكر للمرة المليون في الاتصال بصديقتها و الاطمئنان عليها .

***

اتصلت صابرين بزوج ابنتها وحينما اجابها صرخت به : انت ليه أخدت حنين ومشيت بالشكل ده ؟ مش عارف ان أبوها هيتجنن عليها وهيجي ياخدها منك غصب ؟ ليه مشيت كده ؟ فهمني ؟

فكر قليلًا كيف يجيبها ؟ فلابد أن يأخذها لصفه فقرر أن يقول نصف الحقيقة: أعمل ايه ها؟ بنتك هددتني وقالتلي هتقول لعمي انها عايزة تتطلق وعلشان كده أخدتها بالليل ، طيب قوليلي انتِ المفروض أعمل ايه ؟ أنا بحبها ومش عايزها تبعد عني ، قوليلي طريقة أخليها تفضل معايا ، كل اللي بتتخيليه عملته ، طنط انتِ لازم تساعديني ، أنا مش هكذب عليكِ أنا حتى أبسط حقوقي الشرعية مش بعرف آخدها من حنين بهدوء ، يعني أنا اتجوزتها برضاها وبحبها وحتى اللي مش بحبه بعمله علشانها أعمل ايه تاني ؟ بصي أنا ورايا كام عملية كده هخلصهم وآخدها وأسافر أي مكان لوحدنا يمكن ألاقي طريقة أوصل بيها لقلبها ادوني بس فرصة .

علقت صابرين بحيرة : عيدو لو ماكلمهاش هيجي ياخدها أصلا أنا بالعافية خليته يستنى يكلمك ومستني شوية كده لو ماكلمهاش هيجي عندك .

فكر أمجد بصوت عالٍ : طيب ولو كلمها هتقوله عايزة تتطلق وهيجي أعمل ايه طيب انتِ قوليلي ؟

فكرت قليلًا قبل أن تجيبه بتريث : حنين بتحب أبوها فوق ما تتخيل وممكن تضحي بعمرها كله علشانه العب على النقطة دي .

لم يفهم مقصدها فسأل: أيوة ألعب ازاي يعني ؟ أعمل ايه؟

خافت لوهلة أن تضر ابنتها باقتراحها ولكن هو يحبها فما الضرر ؟ سيسافر في عطلة معها ولربما يصل لقلبها، أغلقت باب قلبها وأجابته: كلمها أول ما ترجع وقولها ان أبوها تعبان و وديناه مستشفى وعايز يطمن عليها ، تعب لما عرف انها مشيت وخايف عليها وساعتها هتكلمه وتطمنه وتقوله انها أسعد من السعادة نفسها ولو كلمتني هأكد الكلام ده ، وخدها وسافر ولما ترجع يحلها ربنا .

ابتسم أمجد بانتصار ، فهو أبدًا لم يجرؤ على التفكير بتلك الطريقة ، حماته أكبر حليف له .

عادت لتخبر والدته برفقتها وأخبرته أنها لم تذق الطعام ورفضت حتى كوب الماء ، شكر والدته و رافقها للخارج ثم عاد لزوجته واقترب منها بهدوء : باباكِ قلقان وعايز يكلمك .

انتبهت إليه فردت بلهفة : هاته خليني أكلمه .

أخرج هاتفها وقبل أن يعطيه لها حذرها: باباكِ تعب الصبح جامد ونقلوه مستشفى مامتك لسه قافلة معايا بتقولي على العلاج اللي الدكتور بيديهوله ، كلميه بس ياريت تطمنيه قلبه مايقاش حمل الإجهاد .

حركت رأسها برفض : بابا كان كويس انت كداب .

أعطاها هاتفها : اتصلي بمامتك اسأليها طالما أنا كداب .

هاتفت والدتها التي تكلمت بهمس : أيوة يا حنين عاملة ايه يا بنتي ؟

سألتها مباشرة : بابا عامل ايه ؟ انتوا في المستشفى ؟

تكلمت بأسف : احنا بخير يا بنتي طمنيني انتِ عليكِ .

كررت سؤالها بقلق : بابا فين ؟ عامل ايه قوليلي ؟

تنهدت قبل أن تجيبها : تعب الصبح بعد ما عرف انك مشيتِ وخاف عليكِ وفضل يفترض ألف افتراض وخصوصا لما معرفش يكلمك فرحنا المستشفى والدكتور طمنا بس طلب مننا نبعد عنه الإجهاد بس والله ما عارفة تعمل ايه معاه ؟ هو مش بيفكر غير فيك وفي حالتك ، لو بس يطمن عليكِ شوية ويدي لقلبه فرصة يتحسن؟ بس هقول ايه ؟ انتِ على طول مشيلاه الهم ، حنين بلاش تطلبي الطلاق دلوقتي بس اصبري شوية أبوكِ يتحسن ، أرجوكِ يا حنين شوية بس .

أغمضت حنين عينيها وتمتمت بقهر: اديني بابا عايزة أكلمه

حاولت أن تتكلم ولكن صرخت حنين لتصدر تأوه بعدها من آلام جسمها : أرجوكِ اديني بابا .

دخلت صابرين لتوقظ زوجها من نومه؛ فهي مَن طلبت منه أن يرتاح قليلًا ورتبت اتصال أمجد في هذا التوقيت عمدًا ، أيقظته بهدوء وتعمدت أن تسمع ابنتها صوتها وهي توقظه : عبدو حنين عايزة تكلمك انت كويس دلوقتي ؟

اعتدل مسرعًا وتكلم بلهفة : حنين هي فين ؟ هاتيها .

عاتبته صابرين : عبدو بالراحة على نفسك قلتلك هي كويسة انت بتعمل في نفسك كده ليه ؟ بالراحة .

أمسك منها الهاتف بلهفة: حنين بنتي طمنيني عليكِ وقوليلي مشيتِ كده ليه ؟ انتِ كويسة يا بابا ؟

تركت لدموعها العنان وحاولت أن يظهر صوتها طبيعيًا : انت اللي طمني عليك أرجوك ، بابا أنا محتاجاك في حياتي أرجوك طمن قلبك عليا أنا بخير صدقني ، طول ما انت بخير أنا بخير اطمن

سألها بتردد : بالأمانة كويسة يا حنين ؟ أمجد ما أخدكيش غصب ؟ هو قالي ان وراه عملية لمريض يهمه بس بصراحة ما صدقتهوش ، قوليلي انتِ عاملة ايه يا حبيبتي ؟

ابتسمت من بين دموعها بألم: أنا صدقني كويسة يا بابا ، لو في حاجة هقولك انت عارف عمري ما خبيت عنك حاجة أبدا ، المهم انت بجد كويس ؟ ولا بتقولي كده بس علشان تطمني ؟

تنهد بحزن على بنته : أنا كويس طول ما انتِ كويسة ، انتِ وأختك ماعنديش غيركم ومش عايز غير سعادتكم فطول ما انتوا مبسوطين أنا مبسوط وكويس يا بنتي ، حنين زي ما قلتلك وري ما طول عمري بقولك أنا على بعد مكالمة واحدة منك .

أغلقت الهاتف وهي تذرف دموعها لتنتحب بصوتها فاقترب منها أمجد بهدوء : صدقيني لو عطيتينا فرصه هنعيش مبسوطين يا حنين ، حسني زي ما بتحبيه كده وأنا مستعد أجيبلك نجمة من السما .

صرخت بوجهه بنفور : أنا بكرهك غور من وشي ، بكرهك وبكره اليوم اللي عرفتك فيه وبكره حياتي وبكره دنيتي كلها .

وضعت يدها على صدرها المتعب وهي تتنفس بصوت مسموع فاقترب منها أكثر : ممكن تهدي بقى علشان الانفعال ده مش كويس عليكِ؟ اهدي .

أبعدته عنها بامتعاض : ياريتني أموت لو ده هيخلصني منك .

تركها قليلًا ليعود بطبق قائلًا: هتاكلي علشان تاخدي العلاج.

أبعدت الطبق عنها فوقف هو بحيرة ليهتف فجأة بتهديد : لو ما أكلتيش هاكلك غصب .

نظرت إليه باشمئزاز: ازاي ؟ هتفتح بوقي غصب ؟

ابتسم وهو يجيبها : لا هجيب خرطوم وأدخله في بوقك و أوصله لمعدتك زي ما بتعمل مع المرضى اللي مش بيقدروا ياكلوا وهعلقلك محاليل تغذيكِ يعني من الآخر مش هسمحلك تضعفي فياريت نتعامل بذوق وكلي بدل ما أدخل الأكل بطريقة أو بأخرى لمعدتك .

نظرت له بكره واضح ؛ هي تثق تمام الثقة أنه قادر على فعلها فاستسلمت له على مضض ليطعمها فهي بالنهاية تريد أن تسترد صحتها لتخرج من بيته .

في اليوم التالي تحسنت حنين قليلًا واستطاعت أن تتحرك بمفردها فقررت أنها ستخرج من بيته عندما يخرج لعمله وكأنما هو قرأ أفكارها فتفاجأت به يربط يدها بالسرير لتصيح باستنكار : انت بتعمل ايه ؟ وجيبت الكلبشات دي منين ؟

ابتسم وهو يجيبها : اللي محتاج حاجة بيعرف يجيبها والصراحة كنت جايبها لاستعمال تاني بس انتِ أجبرتيني أستعملها بالطريقة دي ، المهم خليكِ مؤدبة لحد ما أرجع .

صاحت به بجنون : هصرخ وألم الناس عليك .

ابتسم مجددًا : الشباك عازل للصوت ولا نسيتِ ؟ المهم مش هتاخر عليكِ يا قلبي ، تحبي أجيبلك ايه وأنا جاي ؟

تنفست بغضب وهتفت به : تجيبلي خبرك مش عايزة غير كده .

ضحك ليستفزها : على فكرة الكره هو الوش التاني للحب وشوية والوش ده هيروح ويظهر التاني .

صاحت به بنفور : لا عشم إبليس في الجنة أنا بكرهك وبس مفيش وشوش تانية .

تركها وكالعادة طلب من والدته مرافقتها لحين عودته .

دخلت أميرة بالغداء لحنين لتتفاجأ بمنظرها و عينيها الزرقاء وشفتها الدامية وكذلك بربط يدها ، صدمت لمنظرها بينما علقت حنين بتهكم : ايه مصدومة يعني ؟

علقت بأسف : عارفة انه ضربك بس ما تخيلتش للدرجة دي، أنا مش عارفة أقولك ايه بصراحة ؟

أحست حنين أن أميرة من الممكن أن تساعدها ، فتحمست : هاتيلي موبايلي أو أي موبايل ، عايزة أكلم بابا وأطمن عليه ولو رجعوا أقوله يجي ياخدني ، أو بس أطمن عليه أشوف صحته .

تراجعت أميرة بخوف: أولا معرفش موبايلك فين وثانيا ما تحطينيش مكانك يا حنين انتِ عارفة اني بسهولة ممكن أكون جنبك ، أمجد محدش له خاطر عنده وما بيعملش حسابات لحد

فكرت حنين للحظات : طيب اتصلي انتِ ببابا وقوليله بس يجي عندي ، اكتبي رقمه .

تراجعت برعب : حنين أرجوكِ أنا مش حمل غضب أمجد وانتِ عارفة كويس هو ممكن يعمل فيا ايه ؟

ترجتها حنين : سجلي بس رقم بابا عندك أرجوكِ يا أميرة ساعديني ، مش يمكن لما تساعديني ربنا يبعت اللي يساعدك ويخرجك انتِ كمان من هنا ؟ سجلي بس رقمه دلوقتي مش لازم تكلميه خليه معاكِ بس .

أخرجت أميرة هاتفها وسجلت رقم والدها ثم نظرت إليها بتوضيح: مش هكلمه أنا بس سجلته لكن مش هتجيلي الجرأة أبدًا أكلمه يا حنين .

ابتسمت حنين بأمل : المهم انك سجليته الباقي ربنا يحلها من عنده .

***

قضى عبد القادر يومين في قلق مستمر ، لاحظ شرود صغيرته على الشاطئ وجلوسها بملل وشرود تام ، جلس بجانبها بابتسامة : قلبي الصغير سرحان في ايه ؟

ابتسمت له : أنا قلبك الصغير ؟ ومين قلبك الكبير ؟ ماما ولا حنين ؟

ابتسم لذكرى ابنته : حنين وحشتني أوي يا حور وحاسس ان بقالي سنين ما شوفتهاش وقلبي مش مطمن عليها.

أمسكت ذراعه بترجي : بابا المصيف مالهوش طعم من غيرها خلينا نرجع مصر ونروحلها ، بابا حنين مش مبسوطة مع أمجد أبدا.

ربت على يدها بجدية : قلتلها كتير لو عايزة تتطلق أطلقها بس هي رافضة ، هطلقها غصب عنها يا بنتي ؟

تلفتت حولها لتتأكد أن والدتها بعيدة ولاحظ هو حركتها فنظر لزوجته الجالسة بعيدًا ثم ابنته : عايزة تقولي ايه يا حور قولي ما تخبيش عني ؟

همست حور وكأنما تخاف أن تسمع والدتها همسها : حنين فعلا عايزة تتطلق بس ماما رافضة وقالتلها أبوكِ قلبه تعبان وما تضغطيش عليه ، بابا انت بجد قلبك تعبان وهتضايق لو اتطلقت؟

اتسعت عيناه من تفكير زوجته ورد بتصحيح: قلبي تعبان لما أحس بتعبكم وعدم راحتكم ، لو أختك عايزة تتطلق هطلقها النهارده قبل بكرا ولو قلتيلي الكلام ده من بدري كنت طلقتها ، قومي نرجع لأختك يلا .

قامت بفرحة : بجد ؟ يلا طيب .

مشى معها عدة خطوات قبل أن يطلب منها أن تذهب لتعد حقيبتها بينما يخبر هو والدتها ، انطلقت مسرعة وتوجه هو لزوجته التي علقت : البت دي بتجري على فين كده ؟ نادرا ما بشوفها متحمسة .

تجاهل سؤالها وأخبرها بصرامة : أنا نازل القاهرة دلوقتي أنا وحور عايزة تيجي معانا يلا مش عايزة خليكِ براحتك.

أمسكت ذراعه توقفه باستغراب: في ايه فهمني الأول ؟ ايه القرار المفاجئ ده ؟

سحب ذراعه بعنف : رايح لبنتي ، قلبي مش مطمن عليها.

حاولت إيقافه ولكن دون جدوى فلقد عزم أمره وتوجه لغرفته يجمع متعلقاته ويضعها بحقيبته بينما راقبته هي بتفكير وحينما يأست من إقناعه شرعت هي الأخرى في جمع متعلقاتها .

انتهى ونظر إليها بجمود: هطلع أخلص إجراءات الفندق وأبعت حد ياخد الشنط شوفي حور وحصلوني على تحت.

تركها لتخرج هاتفها بسرعة وتتصل بأمجد الذي كان بغرفة العمليات فلم يستطع الرد عليها .

حاولت عدة مرات دون جدوى فأرسلت رسالة إليه محتواها (عبد القادر في الطريق للقاهرة ومنها لحنين ، حاولت منعه وحاولت الاتصال بيك من غير فائدة أتمنى انك تكون سافرت انت وهي)

أغلقت الهاتف وتحركت برفقة زوجها وابنتها.

استقبلت هدير أخاها الغاضب من حماقتها وعودتها إلى زوجها ، جلس برفقتها يستمع لثرثرتها إلى أن توقفت : وبعدين هتفضل تبصلي وساكت كده كتير ؟

علق بغضب : متغاظ منك أعمل ايه ؟ بحاول اقنع نفسي انك مبسوطة كده بس مش قادر ، هشام للأسف مش الشخص الكويس يا هدير.

وقفت بابتسامة : هعملك قهوتك اللي بتحبها

أوقفها بعصبية : مش عايز زفت قهوة ، أنا عايزك تفوقي .

صاحت بأخيها بتعجب: أنا أول مرة أشوف حد عايز يخرب بيت أخته بالشكل ده ؟! أنا مبسوطة ده مش كفاية ؟ ابني مبسوط ده مش كفاية ؟ لازم أتطلق وآجي مكسورة البيت ده اللي هيسعدك يعني ؟

صاح بها بانفعال: لا طبعا ده مش هيبسطني بس كفان انك تكوني مغمضة عينيك وعايشة في وهم ده برضه مش هيبسطني .

تنهدت بيأس : لما آجي أعيطلك يا عمرو ابقى اقفل بابك في وشي كده كويس ؟

وقف صامتًا لعدة لحظات قبل أن يهتف بأسف وهو يغادر: عمري ما هقفل بابي في وشك يا هدير وربنا يسعدك دايما ، يارب يهدي جوزك ويكون فاق لتصرفاته وعرف قيمتك وقيمة وجودك في بيته ، بعد إذنك .

تركها غاضبا من ثقتها المطلقة في شخص لا يستحق تلك الثقة أو ذلك الحب ، بينما راقبته هدير و هو يبتعد بسيارته وهي تدعو الله أن يخيب ظن الكل في زوجها.

***

أحست دعاء بالتعب فقررت أن تنصرف مبكرًا من عملها ، وصلت بيتها وطرقت باب حماتها لتأخذ ابنتها التي تحضرها حافلة المدرسة وتنتظر عند جدتها لحين عودة والديها ،فتحت رقية الباب لتتفاجأ بدعاء أمامها تردف بهدوء: نادي رغد يا ماما خليها تطلع معايا فوق

وقفت رقية عند باب شقتها تفكر كيف تبعد دعاء ؟ ولكن صاحت رغد بفرحة وهي تزيح جدتها لتفتح الباب كاملًا : ماما ؟ جيت بدري.

هللت بفرحة وانحنت دعاء تقبل ابنتها لتتفاجأ بعدها بوجود دينا بفستان ضيق يبرز كل معالم جسدها ، نظرت إليها مطولًا قبل أن تعتدل واقفة وتتكلم بسخرية دينا ؟ ازيك ؟ ايه لابسة قميص نوم يعني وقاعدة !

علقت بغضب : ده فستان مش قميص نوم بطلي جهل .

ابتسمت دعاء باستفزاز والله مش فارق قميص ولا فستان المحصلة واحدة .

وقفت بعصبية قصدك ايه بقى ؟

وضحت وهي تمسك يد ابنتها بجمود. قصدي واضح وانت فاهماه كويس ، اصله مش بقميص النوم ولا بالفستان ، بعد إذنك يا حماتي .

خرجت سنما تبعتها رقية وأوقفتها على السلم بكره طالما مش عارفة تخلفيله أخ ولا أخت لبنته سيبيه يرتاحته ده لو تتخشيه يا دعاء ؟

نظرت بحدة لحماتها : انتِ متخيلة اني رابطاه ؟ ولا معلقه له حبل في رقبته ؟ ابنك لو عايز يتجوز براحته أنا عمري أبدا ما هقف في طريق سعادته

أضافت رقية بسرعة قبل أن تختفي من أمامها : خلاص قوليهاله صريحة انك موافقة يتجوز بنت خالته وهخليها معايا هنا في بيتي تونسني وانتِ في شقتك فوق ومحدش هيدوسلك على طرف وده وعد مني يا دعاء ، اديله موافقتك وسيبي الباقي عليا أنا هعرف أجوزه .

نظرت لحماتها بصدمة ؛ فيا لقسوة تلك المرأة! كيف تطلب منها مثل هذا الطلب ؟

أسرعت لشقتها وأغلقت بابها بعنف ، ألقت بجسدها المتعب على أريكتها المفضلة وتركت دموعها تنساب بغزارة ، اقتربت ابنتها منها وربتت عليها بطفولة : ماما انتِ زعلانة من تيتة ؟

مسحت دموعها وحاولت أن تبتسم : ما تشغليش بالك وادخلي اعملي واجباتك.

لم تتحرك ابنتها بل وقفت أمامها بحزن : أنا بحبك انتِ وبابا كمان بيحبك ومش بنحب دينا أبدا ، احنا مش هنقبل بده يا ماما ما تخافيش أبدا .

ضمت ابنتها بحب وهي تدعو الله أن يرزقها الصبر.

***

خرج أمجد من غرفة العمليات وأمسك هاتفه ليتفاجأ برسالة صابرين فتحرك مسرعًا لبيته وهو يقود بأقصى سرعة ، وصل أخيرًا ودخل لوالدته أولًا بلهاث: أهل حنين جايين هنا ، أنا هقولهم انها خرجت مع أميرة ، اقفلي على اميرة باب أوضتها واوعي تخرج منها لحد ما يمشوا فاهمة ؟

أومأت برأسها بحيرة : ما تسيبها يا أمجد و...

قاطعها بدخوله وهو يزيحها جانبا ليجد أميرة أمام التلفاز فأمسك ذراعها بينما صرخت في دهشة: في ايه ؟ أنا عملت ايه ؟

سحبها من ذراعها ليدخلها غرفتها ويلقيها على سريرها بأمر: خليك هنا لحد ما أهل حنين يمشوا علشان هقول انكم خرجتوا تتمشوا مع بعض ، هفتحلك بعد ما يمشوا علشان بصراحة ما أضمنكيش

صرخت بوجه أخيها بحدة: حرام عليك...

تاهت باقي جملتها وهو يغلق الباب بالمفتاح ويضعه بجيبه ويصعد مسرعًا لبيته ليبدل ثيابه بينما لاحظت حنين توتره : فيك ايه ؟

نظر إليها باقتضاب: مفيش.

لاحظت اقترابه ولاحظت أيضًا انه يمسك لاصقًا في يده ليقطع جزءًا ويضعه على فمها وسط دهشتها فوضح باختصار: أبوكِ جاي هنا والصراحة مش واثق فيكِ تقابليه غير وشك لسه ماخفش ولا ضلوعك لما تخفي تبقي تقابليه.

حاولت أن تعترض ولكن همهمات هي ما صدرت منها ، أغلق الباب بالمفتاح وجلس بهدوء ينتظر وصول أبيها ، ليكمل الصورة وقف وشغل جهاز التسجيل « الاستريو « بموسيقى هادئة واعد لنفسه كوبًا من القهوة يرتشفه بهدوء

قاطع أفكاره وصول عبدالقادر ورنين جرس بابه بحدة ليفتحه بهدوء ثم رسم ابتسامة عريضة على فمه وهو يرحب : حمايا ازيك ؟ حمدلله على سلامتكم جيتوا امتى ؟

أزاحه عبدالقادر من طريقه باقتضاب : بنتي فين ؟ حسن ؟ حنين ؟

أوقفه أمجد ببرود : حمايا العزيز اهدا حنين مش هنا .

نظر إليه باستغراب بينما وضح بثبات : حنين خرجت هي وأميرة يتمشوا شوية ، لأني كان ورايا عمليات وقلت بدل ما تقعد زهقانة تخرج هي وأميرة ، فالاتنين خرجوا بس للأسف جيت بدري لكن مهانش عليا أخليها ترجع قلت خليها براحتها وقعدت أسمع موسيقاها المفضلة .

علقت حور بتهكم : موسيقى حنين المفضلة هي أغنية كلمات.

ابتسم لها باصطناع : أنا حفظت الأغنية من كتر ما هي بتشغلها فقلت كفاية عليا كلمات وأسمع موسيقى بس كده كده هنسمع كلمات عشرين مرة لما ترجع .

استغرب عبدالقادر من هدوء أمجد وابتسامته وكل ما حوله غريب فهل ابنته بالفعل سعيدة معه وهو يقترف خطأ بتدخله في حياتها ؟

تدخلت صابرين بسرعة : بنتك بخير خلينا نروح نرتاح وبكرا نيجي نشوفها ولا هتسافر يا أمجد ؟

ابتسم أمجد لحماته؛ فهي تمهد له الطريق : مش قلتلك هاخدها وأعوضها عن المصيف اللي اتحرمت منه ؟ أنا ما يرضينيش زعلها أبدا .

ربتت صابرين على كتف زوجها : بنتك بخير يا عبدو لو في حاجة هي هتكلمك ، بعدين دي لو شكتها شوكة بتتصل بيك وتقولك ولا انت هتغيب عنك يعني تصرفات حنين ؟

بينما بالداخل تمنت حنين لو تستطيع الصراخ بأعلى صوت لديها ، انهمرت دموعها فبالخارج منقذها فكيف الوصول إليه ؟ دعت الله بقلبها أن يخرجها برحمته من سيطرة أمجد ، تركت له التدبير وسلمت أمرها إليه .

أخيرًا اقتنع عبد القادر وتحرك برفقة زوجته وابنته للخارج بينما حاول أمجد إقناعهم بالعشاء برفقته ولكن رفضت صابرين ، دخل عبد القادر سيارته وقلبه لا يطاوعه على الرحيل دون رؤياها ، فكر أن ينتظر في سيارته عودتها .

هتفت صابرين بنفاد صبر: ما تتحرك يا راجل واقف مستني ايه ؟

نظر إليها وصاح بها بعصبية : عايز أشوف بنتي .

تعجبت لأمره : وبنتك برا ، نعمل ايه ؟ نقعد في الشارع نستناها ؟

زفع نظره للأعلى وقلبه يمنعه من الرحيل .

تابعته أميرة من شباكها وتمنت لو تفتح الشباك وتصيح بصوتها وتخبره أن ابنته حبيسة غرفتها بالمنزل ولكن ستدفع ثمن ذاك غاليًا ، تذكرت والدها الذي فارقها سريعًا ، كم تمنت لو كان مثل والد حنين يحبها ويضمها ويكون ملاذها .

أخرجت هاتفها ولكن لا قدرة لها أبدا على مخاطبته؛ فربما تسمعها والدتها وحينها ستخبر أمجد حتمًا .

عقدت صابرين يديها أمام صدرها منتظرة تحرك زوجها ولكن طال انتظارها فنفخت بضيق : وبعدين يا عبدو هنفضل كده لامتى ؟

أجابها دون أن ينظر إليها : لحد ما قلبي يطاوعني أمشي لو عايزة تمشي انتِ امشي.

نظرت إليه متعجبة فابنته لا تختلف عنه أبدًا ، هي نسخة مصغرة من أبيها .

وصلت رسالة لهاتفه فأخرج هاتفه يقرأها وقرأ أول سطر منها باهتمام(بدون ما تعمل أي رد فعل اقرأ رسالتي بهدوء لان أمجد فوق بيراقبك ومستنيك تمشي أنا أميرة وشايفاك من فوق بس أمجد حابسني أنا كمان)

دق قلبه بعنف وهو يكمل باقي كلماتها ((اطلب البوليس أول حاجة واطلع بيه لفوق لان حنين فوق مربوطة في أوضتها ومقفول عليها الباب فعلشان تقدر تاخدها هات البوليس بس أرجوك بهدوء وبدون ما حد يحس باللي هتعمله وإلا هيلاقي طريقة يتحايل بيها على الوضع ، أمجد لئيم وحريص وخبيث ، لو هتتصرف يبقى بمنتهى الهدوء ، وخلي بالك مراتك هي اللي بلغته انكم جايين لأنها في صفه مش عارفة ازاي بس هي في صفه فأتصرف من وراها بدون علمها بدل ما تحذر أمجد ويعمل احتياطاته وأرجوك اوعى تعرف حد اني حذرتك لأني ساعتها هكون مكانها ، أنا عملت اللي يرضي ضميري ، بنتك فوق محتاجة مساعدتك))

تنفس بعنف لتمسك زوجته ذراعه بتعجب : فيك حاجة ؟

سحب ذراعه بعنف ونظر إليها باقتضاب : أنا هروح أجيب إزازة ميا ريقي ناشف .

اقترحت ببساطة : خلي جور تنزل .

علقت جور : أنا يا بابا...

قاطعها بصرامة : خليك أنا هنزل السوبر ماركت اهو قدامكم ، بعدين يمكن حنين ترجع توقفوها .

نزل بهدوء ودخل محل بقالة بينما تابعه أمجد بغضب : هتعمل ايه في السوبر ماركت ؟ ما تمشي بقى ؟

خرج عبد القادر من الناحية الأخرى للمحل واتصل بمحمود والد هايدي؛ فهو لواء في الشرطة وأخبره أن ابنته محبوسة ويريد مساعدته على وجه السرعة ، صُدم محمود وأخبره بأنه سيرسل إليه قوة صغيرة لمساعدته وسيتحرك بنفسه أيضًا ويلاقيه وطلب منه أن ينتظر بهدوء.

تحرك محمود مسرعًا لتوقفه داليا زوجته : في ايه يا محمود؟

نظر إليها بإيجاز : هقولك لما أرجع مستعجل .

رجع عبدالقادر إلى المحل مرة أخرى واشترى زجاجات مياه وعصيرًا وبعض الأشياء التي لا يحتاجها دون تفكير ولكن ليبرر بقاءه .

أرسل أمجد رسالة لحماته (واقفين كل ده ليه ؟)

كتبت بسرعة (عبدو مستني حنين ترجع بس ما تقلقش هقنعه يمشي ، هو بس بيجيب ميا من السوبر ماركت)

وقف أمجد يتابع بقلق وراقب عودة حماه وفي يده زجاجات المياه وعدة أكياس ليطمئن ويجلس قليلًا ينتظر رحيلهم قبل أن يدخل لحنين.

استقر عبدالقادر في سيارته وأخرج زجاجة مياه لابنته وعصيرًا أيضًا وأعطى زوجته التي هتفت : ما تتحرك بقى أنا تعبت من القعدة في العربية .

نظر إليها مطولًا و ود لو يصرخ بها ولكن سيصبر إلى أن يضم ابنته لصدره أولًا ، قلبه يتألم بصمت ، نظر أمامه بهدوء وتركها تثرثر وتزيد بمفردها .

رن هاتفه فأجابه بهدوء وهو يجيب بنعم ولا فقط إلى أن أنهى مكالمته ، ثم نظر لزوجته بامتعاض : هاتي موبايلك يا صابرين .

نظرت إليه بدهشة : موبايلي ؟ ليه ؟

كرر طلبه بأمر : هاتي موبايلك لو سمحت رصيدي خلص وعايز أعمل مكالمة ضرورية .

أخرجت هاتفها بتردد وأعطته إياه وحين فتحه تفاجأ برسائل أمجد لينظر لزوجته مصدومًا : انت بتبلغي

أمجد بتحركاتنا ؟

فغرت حور فاهها بصدمة في والدتها وما تفعله بحنين ، بينما صدمت صابرين ؛ فهي نسيت أن تغلق الرسائل قبل أن تغلق هاتفها فردت بتوتر : بيلغه بإيه ؟

صاح بها بجنون : بتقوليله اننا جايين عنده واننا ماشيين ؟ لعلمك دي بنتك اللي معاه مش هو ابنك !

عقدت حاجبها وعلقت باندفاع : بنتي متخلفة ومش عارفة فين مصلحتها أسيبها تخرب بيتها ؟

ضغط على أسنانه ولأول مرة بحياته يتمنى لو يصفعها علها تعود لرشدها ، لاحظت هي غضبه فابتعدت تلقائيًا للخلف؛ فهي شعرت بما يفكر به .

تكلم من بين أسنانه وهو يكظم غيظه : ادعي ان بنتك تكون بخير وإلا قسمًا بالله لتكون دي آخرتنا مع بعض .

اتسعت عيناها مما سمعته وألقت نظرة على حور لتجدها تنظر لها نظرات لم ترد أن تفسرها؛ فصغيرتها كانت ترمقها بخذلان و و و واحتقار! ساد صمت رهيب قطعه وقوف عدة سيارات للشرطة فخرج عبد القادر بينما صعقت صابرين فهي أبدا لم تتخيل أن يصل الموضوع للشرطة ويطلب الشرطة لزوج ابنته .

نزلت بدورها هي وابنتها ولاحظت وصول زوج صديقتها وحين اقترب منهما صاحت به باتهام : انت وبنتك ومراتك كل همكم تخربوا بيت بنتي و...

قاطعها عبد القادر بعنف : اخرسي خالص وإلا هرمي عليك يمين الطلاق دلوقتي ، اتقي شري واخرسي .

هدأه محمود : اهدا وخلينا نشوف حنين فين الأول .

صاحت بانفعال : خرجت هنروح ندور عليها في الشوارع ؟

أمسك زوجها ذراعها بغضب : بنتك محبوسة فوق في أوضتها وجوزها رابطها علشان ما نشوفهاش فاخرسي ولآخر مرة هقولك اخرسي .

تحرك عبد القادر ومعه الفرقة البسيطة لإنقاذ ابنته .

ابتسمت أميرة ودعت الله أن يرسل مَن ينقذها هي الأخرى كما ساعدت في إنقاذ حنين .

وقف أمجد لينظر مرة أخرى من الشباك ويطمئن هل انصرف حماه أم مازال منتظرًا ؟

لاحظ سيارات الشرطة وصدم فتحرك مسرعًا ليفك قيد زوجته ولكن قبل أن يتحرك قاطعته طرقات مزعجة عنيفة على باب شقته ، استمعت حنين وقلبها يدعو أن تكون تلك الدقات هي خلاصها .

فكر أمجد أن يتجاهل الباب ولكن حماه يعلم يقينًا أنه بالداخل وسيكسر الباب حتمًا ، سيخرج ويقنعهم أن زوجته بالخارج ، فتح الباب ورسم ابتسامة على وجهه: خير ؟ نعم ؟

صرخ عبد القادر بكره : بنتي فين ؟

ربت محمود على كتفه : اهدا وسيبني أنا أتعامل ، احنا عايزين نشوف الأستاذة حنين لإن والدها بيتهمك انك مخليها هنا غصب عنها فخليها تطلع تقابلنا .

عقد أمجد حاجبيه بصدمة مصطنعة ثم نظر بتهكم لحماه : تطلع تقابلكم ازاي وهي مش هنا ؟

أخاب محمود بحدة : طيب يعني ماعندكش مانع اننا ندخل نشوفها جوا أو لا طالما هي مش هنا ؟

وقف أمجد يسد الباب ببرود : عندك أمر من النيابة بتفتيش شقتي اتفضل غير كده آسف

تمنى عبد القادر لو يضربه أو يريحه من طريقه ولكن نظر لمحمود الذي ابتسم لأمجد ورد : اممم انت عايز

أمر من النيابة ؟ (اقترب من أمجد وأكمل بلهجة متهكمة) انت عارف ان الشرطة من حقها تدخل أي مكان لو سمعت أو شافت حد بيستغيث وتتدخل تساعده ؟

ابتسم أمجد هو الآخر : لو سمعت أو شافت طبعا تتدخل .

نظر محمود لرجاله بمغزى : سمعتوا حد بيصرخ يا رجالة ؟

أومأ جميعهم : سمعنا يا باشا .

أزاح أحدهم أمجد من طريقه بينما مسكه آخر من ذراعه وقيد حركته ودخل محمود وسبقه عبد القادر لغرفة ابنته وتفاجأ بالباب مغلقًا فنظر لصديقه بدهشة : الباب مقفول بالمفتاح .

نظر للباب وصرخ بصوت أب محروق قلبه على ابنته : اطمني يا حنين انا مش هسيبك هنا تاني ، اطمني يا بنتي أبوكِ هنا .

نظر محمود لأمجد بتهديد . هتجيب المفتاح بالذوق ولا نكسر الباب ؟

صرخ أمجد بغضب : أنا هرفع عليكم قضية وهتهمكم ...

قاطعه محمود وهو ينظر لمن يمسك أمجد وأمره : شوف جيوبه .

يبحث بجيوبه وأخرج مفتاحين فأعطاهما لمحمود الذي ناوله لعبد القادر ليجرب أول مفتاح وبعدها الثاني الذي فتح الباب ليُصدم بمنظر ابنته وهي مكبلة واللاصق على فمها ويلاحظ عينيها الزرقاء وشفتيها الدامية و وجهها الأزرق والمليء بالكدمات ، فأحس بأن قلبه سيتوقف .

دخلت حور مسرعة لترى أختها وصدمت هي الأخرى لتقف بجانب أبيها وهي تبكي بينما تبعتهما صابرين وهي تستعد لإلقاء اللوم على الجميع عندما تجد الغرفة فارغة ولكن منظر ابنتها لن تنساه أبدًا ، عقد لسانها وتطرب لأمجد الذي وعدها أنه لن يمد يده أبدًا مرة ثانية ، تذكرت صديقتها عندما أخبرتها بأنها يومًا ما ستستلم جثة ابنتها وهاهي ابنتها أمامها تشبه الجثث أو المومياء .

جلست على الأرض غير قادرة على الوقوف فلقد خدعها بكلماته المعسولة ، نعم لقد استمعت لكلماته فقط هي الأخرى.

تحرك محمود بسرعة ليزيل الشريط اللاصق عن حنين فهي بمثابة ابنته وطمأنها . حنين اطمني خلاص ، اطمني يا بنتي

صرخ برجاله . حد يجي يفتح الكلبشات دي .

تحرك أحد رجاله ليمسك أمجد ويطلب منه المفتاح وحين رفض صفعه بقوة ليسقط أرضًا . بيعجبك ضرب البنات ؟ طيب أنا هوريك الضرب بيبقى ازاي يا ابن ****

هتفت حنين بضعف : بابا .

لم ينتظر سماع المزيد بل اندفع ليضم ابنته لحضنه وهو يبكي تأخره عليها ، ضمها بقلبه قبل ذراعيه . سامحيني يا بنتي اني اتأخرت عليكِ ، سامحيني اني كنت أعمى كل ده ، حقك على قلبي .

إقتربت حور وهي تمسح دموعها . حنين انتِ كويسة ؟

أومأت برأسها بنشيج بكاء قوي. هبقى كويسة يا حور هبقى كويسه

أحضر محمود المفتاح وفك يد حنين وهو يجاهد دموعه ويتخيل ابنته مكانها وأقسم أنه لن يزوجها أبدًا

حاولت حنين الوقوف ولكن لم تستطع أبدًا .

هتف عبدالقادر بانكسار : فيكِ ايه يا حنين قولي ؟

لمعت دموعها بقهر: عندي كذا ضلع مكسور .

هنا لم يتمالك محمود هو الآخر دموعه ومسحها سريعًا بينما نظر لرجاله بأمر: اطلبوا إسعاف بسرعة وخدوا الكلب ده من وشي .

تحرك أحد رجال محمود بأمجد الذي يصرخ بغضب بأنها زوجته وملكه وهو لم يرتكب جريمة أبدًا .

سمعت ثناء صراخ ابنها لتفتح الباب وتتفاجأ بأبنها مكبل بالأغلال والشرطة تسحبه كمجرم فصرخت هي الأخرى : يا لهوووي ابني ، في ايه يا أمجد ؟ ما قلتلك طلقها وخليها تغور لأبوها (دخلت تصرخ في ابنتها) الحقيني يا أميرة أخوكِ البوليس أخده .

حاولت فتح بابها ولكن تذكرت أن مفتاحه مع ابنها لتصرخ مجددًا وهي لا تعرف كيف تتصرف ؟

وصلت سيارة الإسعاف لنقل حنين برفقة عائلتها ، مر عبدالقادر من أمام بيب والدته فأوقف صديقه قائلًا محمود، أخت أمجد محبوسة هنا ينفع ندخل نفتحلها هي كمان ؟ المفتاح التاني أكيد بتاعها.

ضرب محمود كفًا بكف يعني هو مش بس مؤذي مع مراته كمان أخته ؟! لاحول ولا قوة إلا بالله ، طبعا تعال نفتحلها هي كمان.

دخل لتصرخ ثناء : ابني ماعملش حاجة ابني ..

صاح محمود بها بغضب : اخرسي يا ولية لأخليكِ تحصلي ابنك انتِ كمان ، ازاي سايباه يحبس مراته ويحبس بنتك ؟ ها؟ ماهو أكيد إنت اللي قويتيه وشجعتيه انتِ ازاي أم انتِ؟

دخل عبد القادر ليفتح الباب لأميرة التي ابتسمت : حنين بخير ؟

اقترب منها وأمسك يدها بعرفان : هتبقى بخير، رقمي معاكِ في أي وقت تحتاجي فيه أي حاجة كلميني وما تترددديش أبدا .

شكرته وطلبت أن يطمئنها على حالة حنين فقط من آن لآخر.

أصر عبدالقادر أن يتوجه بابنته للمشفى التي يعمل بها أمجد كي يفضح أمره بين كل زملائه وأصدقائه وبالفعل الكل صُدم من حالة حنين والصدمة الكبرى كانت من نصيب والدتها ووالدها عندما أخبرهما الطبيب عن كم الكدمات و السحجات في جسد ابنتهما وأخبرهما أنها تتعرض للعنف المنزلي منذ فترة طويلة ، كذلك أخبرتهما الطبيبة النسائية التي طلبتها حنين أنها تعاني من آثار اغتصاب متكرر .

علقت صابرين باستنكار هو في حاجة اسمها اغتصاب يا دكتورة بين راجل ومراته ؟

نظرت اليها بدهشة واكدت : طبعا ، اي علاقة تتم بدون رضى اسمها اغتصاب ، ده ربنا قال في القرآن وقدموا لأنفسكم ما قالش اغتصبوهم ، المنظر اللي شوفته في بنتكم لازم جوزها يتحبس ويكون عبرة لغيره ، انا في مكتبي بعد اذنكم .

جلست صابرين مصدومة تتذكر كل مرة طلبت منها حنين الطلاق وطلبت مساعدتها ، تذكرت صديقتها عندما تشاجرت معها وحذرتها ولكن لم تستمع ، لامت نفسها وندمت في وقت لم يعد يفيد الندم .

اتصل محمود بزوجته وأخبرها بكل ماحدث وطلب منها أن تخبر ابنتها لتقف بجانب صديقة عمرها فهي في أشد الاحتياج إليها الآن أكثر من أي وقت مضى .

وصلت هايدي برفقة والديها ودخلت لصديقتها ودموعها تسبقها ، نظرت حنين لصديقتها بضعف سامحيني :

ألقت هايدي بنفسها لتضم صديقتها وهي تبكي هي الاخرى: غبية يا حنين انتِ غبية ، أسامحك على غبائك ولا علي ايه ؟

ضمتها وبكت الفتاتان سويًا لفترة طويلة .

***

بعد عدة أيام خرجت حنين من المشفى لبيتها واستقبلتها صابرين ولكن تجاهلتها؛ فمنذ ذلك اليوم وهي ترفض التحدث معها بحرف وكذلك زوجها ، حتى أنه منعها من زيارتها ، دخلت لغرفتها تبعها دخول محمود و عبد القادر ،فعلق الأول : ها يا بنتي ناوية على ايه ؟

علقت حنين باستغراب : ناوية على ايه في ايه ؟ هتطلق أكيد ودي محتاجة سؤال ؟

ابتسم وهو يوضح لها بهدوء : الطلاق ده مفروغ منه بتكلم عن ازاي ؟ هو رافض يطلق فهنرفع عليه دعوى ضرر وهنطلب الطلاق .

قاطعته حنين بقوة : أنا عايزة أتهمه بالاغتصاب ومحاولة قتل ويتحبس و

قاطعها بهدوء: حنين يا بابا اهدي واسمعيني .

نظرت لوالدها بإصرار: بابا قوله هنرفع

قاطعها والدها : اسمعي عمك محمود الأول بهدوء وبعدها القرار اللي تاخديه احنا معاكِ فيه .

نظرت لوالد صديقتها فشرع يشرح لها بهدوء : أولا يا بنتي مفيش أي حاجة اسمها اغتصاب بين زوج وزوجته (همت لتقاطعه ولكن أشار بيده لتسمعه) عارف هتقولي ايه بس بتكلم من جهة القانون والشرع والعرف ، مفيش أي شيء يشرع ان العلاقة الزوجية ممكن تدخل تحت بند اغتصاب حتى لو تمت بعدم رضا ، فللأسف ممكن بدل ما تكسبي قضية الطلاق هو يكسب ويجيب شهود انك انتِ اللي ناشز وانتِ اللي بتحرميه من أبسط حقوقه وبالتالي ممكن يبرر الضرب ، ده مش كده وبس ده قال ان وهو راجع من السفر عمل حادثة خفيفة بالعربية وهي اللي سببتلك الإصابات دي والكدمات دي .

صاحت بغضب : انت بتقول ايه ياعمو ؟ يعني هو ممكن يطلع منها كده وأنا غصب عن أنفي أرجع بيته ؟ ده أنا اقتل نفسي أرحم من رجوعي ؟

أمسك والدها يدها يهدئها: محدش بيقول ترجعي دي أبدا اسمعي للآخر يا حنين

وضح محمود : محدش يقدر يرجعك غصب الموضوع ده منتهي أنا حاليا يا حنين بشرحلك الصورة كاملة وبحط قدامك كل الأوراق بحيث ما تتفاجئيش بأي حاجة هتحصل ، مبدئيا انتِ هتطلقي غصبا عن أنفه، احنا خرجناك من بيته مضروبة ومتربطة ومتكممة وكل الفرقة اللي كانت معايا شهود فحتى لو مش هياخد بشهادة باباكِ ومامتك هياخد بشهادتنا احنا فالطلاق مفروغ منه وهيتحبس نتيجة اللي حصل ده من سنة ل ٣ سنين حسب ما القاضي يحكم بس هو بيلعب بنقطة انكم اتعرضتوا لحادثة فلو قدر يثبت ده أو قدر يثبت تواجده في مكان تاني وقت ما اتعرضتِ للضرب هنا ممكن يطلع منها فأنا بس بحط كل الاحتمالات قدامك لكن المرجح انه هيتحبس فهمتيني يا بنتي ؟ فلازم تكوني مستعدة لكل الاحتمالات

أغمضت عينيها بتعب ثم نظرت إليه مجددًا : فهمتك يا عمو، حضرتك رأيك ايه ؟ أعمل ايه ؟

أجابها : طبعا المحضر اللي اتعمل ضده اتحول للنيابة واتحددت جلسة هياخد حكم بإذن الله فيها بعدها لو ما طلقش هنرفع دعوى طلاق للضرر تمام يا بنتي ؟

أجابته بهدوء: تمام وقت الجلسة بلغني .

اتفق محمود معهما على كل الخطوات القادمة ثم تركهما . جلست حنين لأول مرة في غرفتها بمفردها وتأملتها بهدوء.

تاملت كل تفاصيل حياتها ، انتفضت مرة واحدة وجمعت كل رواياتها وقصصها والأسطوانات وشرائط التسجيل وخرجت لوالدتها وألقتهم أرضًا بغضب : دي كل رواياتي وكل أحلامي وكل خيالاتي ، كان نفسك من زمان تحرقيهم ، اتفضلي اهو احرقيهم زي ما حرقتيني أنا نفسي وحرقتِ حياتي كلها ، صرخت مجددا بقهر (احرقيهم كلهم).

تركتها وعادت لغرفتها بغضب تتنفس الصعداء فلقد تخلصت أخيرًا من خالمية حنين بل قتلتها.

بينما بالخارج وقفت صابرين ودموعها تغرق وجهها وتحركت لتلحق بها ولكن أوقفها زوجها بامتعاض سيبيها في حالها وابعدي عنها .

نظرت إليه باستنكار : اوعى تنسى انها بنتي أنا كمان ؟

علق بتهكم : وقبل كده ماكانتش بنتك ؟ لما كل ما تكلمك وتقنعيها تفضل ماكانتش بنتك ؟ لما عرفتِ ان الكلب ده ضربها ورجعتيها لبيته ماكانتش بنتك ؟ لما آخدها وسافر وانتِ اشتركتِ في لعبته ماكانتش بنتك ؟

صاحت بوجه زوجها بتبرير: كنت مصدقة انه بيحبها وانت كنت مدلعها و ...

قاطعها بعصبية وهو يرفع يده : اخرسي بقى انتِ لسه هتتكلمي وتلومي وتعاتبي ؟ اخرسي مش عايز أسمع تبريرك وقسما بالله(لاحظ خوفها وأنها وضعت يدها على وجهها لتحميه خوفًا من أن يصفعها ، قطع كلامه لتفتح عينيها وتنظر ليده المعلقة فأكمل هو بغضب) لو كنت راجل ناقص كنت مديت ايدي عليكِ وعملت فيكِ زي ماهو عمل في بنتك وأشوف هتستحملي لامتى تعيشي معايا؟ أقسم بالله جاي على بالي أضربك كل ما أشوف وشك يا صابرين .

تمتمت بحزن : كنت فاكرة نفسي بحمي بيتها .

صاح بغضب : تحمي بيتها من مين ؟ منها هي ؟ ده بيتها وهي أدرى حد هل يستاهل يتحمي ولا يولع ويغور في داهية .

جلست في مكانها بدفاع : كنت عايزة أحميها من لقب مطلقة.

نظر اليها مطولًا باحتقار: لما يكون الزوجين مختلفين عن بعض للدرجة دي الصح هو الطلاق بس الظاهر ان أنا وبنتي عندنا نفس جين الغباء ، بنعافر ونكمل مع شخص ما يستاهلش ونضيع عمرنا عليه .

تركها لتنظر هي في أثره بصدمة؛ هل هو نادم حقا على زواجه منها بعد كل هذا العمر ؟ هي من تعيش بقناعاتها وأفكارها وتظن أنها زوجة مثالية وتعيش حياة مثالية، فهي نادرًا ما تتشاجر معه ، فالآن يلومها ؟ أحقًا يعتبر حياته ضياعًا لعمره ؟ لقد توهمت أنه سعيد بحياته معها فلمَ الآن دمر ذلك الوهم ؟

أما هشام فيذهب بانتظام الى عمله لينتهي منه ثم يعود مسرعًا مرة أخرى إلى بيته ، راقبه عمرو شقيق زوجته ليعرف تحركاته ويتمنى يومًا بعد يوم أن ينصلح حاله حقًا ولا يخون أخته .

في البنك انتبه هشام على جلوس فتاة جميلة بل فاتنة أمامه ثم هتفت بدلال. عايزة أعمل شهادة لو سمحت .

حازت على كل انتباهه فرد بابتسامة واسعة: شهادة بس؟ انتِ تشاوري طبعا بس ايه الجمال ده كله ؟ مش حرام كده تنفردي بالجمال ده كله وتسيبي باقي البنات كده ؟

ضحكت ضحكة أطارت عقله ليسال بعدها بمغزى: إلا قلتيلي اسمك ايه؟

ابتسمت بهدوء : ماقلتش أساسا بس اسمي إيمي .

ردد اسمها بابتسامة كأنه يتذوقه: إيمي ؟ يا أهلا ياإيمي ؟ قوليلي ليك حساب هنا ولا هتفتحي حساب ؟

ابتسمت : ليا طبعا .

علق بحيرة : بس الجمال ده أول مرة أشوفه هنا في البنك !

وضحت : كنت بروح فرع تاني بس لسه واخدة شقة هنا فده أقربلي

ابتسم وهو يعلق : ده من حسن حظي أنا .

ضحكت مجددًا قبل أن تخبره : عايزة أحط مبلغ صغير وأعمله شهادة وكل يوم أو يومين هجيب زيه ينفع ؟

أجاب بسرعة : طبعا ينفع كام المبلغ

ردت ببساطة : ١٥٠ ألف بس .

تعجب وسأل بفضول مرح: وكل يومين هتجيبي نفس المبلغ ؟ اسمحيلي أسألك بتشتغلي ايه بيجيبلك كل يوم ١٠٠ ألف ؟ يعني خديني أشتغل معاك

ضحكت ثانية قبل أن تخبره : بشتغل رقاصة وبقبض ٢٠ ألف .

سألها بحيرة : ٢٠ ألف في الشهر هتجيبي ازاي ١٠٠ كل يوم ؟

صححت معلوماته : ٢٠ ألف في الساعة شهر ايه اللي بتتكلم فيه ؟ والسهرة الخاصة ب ١٠٠ ألف في الليلة .

أخرسته الصدمة لدقيقة ليهتف بعدها : بجد الأرقام دي ؟ بجد الرقاصة بتقبض كده ؟

وضحت له : مش كلهم طبعا بس أنا مميزة.

أكد كلامها بمشاكسة : إلا مميزة هو في أميز من كده ؟

أنهى لها معاملاتها وتجرأ ليطلب رقمها الخاص فأعطته إياه وطلبت منه أن يأتي للملهى الذي ترقص فيه وأعطته كارت خاص ليدخل به .

خرج برفقتها لخارج البنك و وقف إلى أن استقلت سيارتها وتحركت بعد أن أشار لها مبتسمًا ثم عاد للداخل ثانية.

لاحظ عمرو إشارته للفتاة وذهب لزيارة أخته وأخبرها عما رآه ، سمعته للنهاية ، انتظر أن تعقب على كلامه ولكن حين طال صمتها سألها : وبعدين هتفضلي ساكتة لامتى ؟

نظرت إليه بتهكم : ايه ده ؟ جه دوري أتكلم يعني ؟

عقد حاجبيه بضيق: بطلي تريقة يا هدير انا بتكلم بجد .

تنهدت قبل أن توضح لأخيها : هتكلم بجد حاضر ، عمرو أنا بجد والله مقدرة حبك واهتمامك فوق ما تتخيل ، انت شايف جوري عينه زايغة وأنا عارفة ان عينه زايغة ، بيهزر ، بيضحك ، بيتكلم ، بس ده آخره ، شغله خلى كلامه يكون معسول مع الكل بنات أو عملاء في البنك ، له حدود مش بيتخطاها وده واثقة منه ، يوم ما تفتني دي تنهر ده وضع تاني وكلام تاني ، انت اهو قلت شاور لها باي من بعيد ، أو سارة كانت صاحبة وهي حبته وحبت تزود العلاقة لكن ما رضيش

قاطعها بحدة : انت مصدقة برضه انه مارضيش ؟

وضحت بصرامة : أيوة مصدقة ، علشان بيتي وحياتي وجوزي وابني مصدقة ، علشان بحب بيتي ده مصدقة ، علشان بحبه هو مصدقة والحب اللي جوايا هيغفرله أخطاءه الصغيرة دي .

سألها ساخرًا : لامتى الحب هيفضل يغفرله ؟

ابتسمت : لما لانهاية هو ده الحب ، طالما أخطاؤه صغيرة هيفضل الحب يغفرها (حاول أن يعترض أو يتكلم لكنها لم تعطه فرصة) لحد ما يتخطى الحدود اللي قلبي راسمها فلو سمحت بطل تراقبه وتهتم بحركاته وخليك أخ ليا بيحبني ويزورني ويطمن عليا، بطل تتدخل في أموري الخاصة لحد ما أطلب منك مساعدتك ، ممكن تعمل ده لأختك ؟ (لم تعطه فرصة للرد بل وقفت) خلي بالك من زيد وأنا هجهز الغدا هشام على وصول .

وقف معتذرًا : خليني أمشي أنا قبل ما هو يجي .

أمسكت ذراعه بترجي : خليك معانا اتغدى الأول أنا بس هشغل الفرن كل حاجة جاهزة جوا، خلينا نقعد مع بعض زي الأول بدون ما تعترض وتتكلم عن هشام .

راقبها وهي تبتعد عنه ثم راقب صغيرها الذي لم يكمل عامه الثاني ، حمله بهدوء وقبله بحنان : ازاي أبوك مش حاسس بالنعمة اللي معاه دي ؟ ازاي قادر أصلا يبعد عن بيته الدافي وعنك وعن مامتك ؟ غبي أبوك صح ؟

ابتسم زيد ليبتسم هو بدوره وقبله مرة أخرى : حبيب خالو انت ربنا يخليك يارب ، لو أبوك المتخلف ده مش موجود أنا موجود .

ابتسمت هدير من الداخل وبداخلها اطمئنان داخلي أن مهما جار الزمن فأخوها سند لن يدعها تقع أبدًا .

***

تحدد موعد الجلسة وذهبت حنين برفقة عائلتها وعائلة صديقتها المقربة ، وهناك تقابلت مع أميرة وأمها ، لاحظت حنين ابتسامة والدها لأميرة وهزة بسيطة من رأسه لها لتهمس بتعجب : انت بتشاورلها ليه ؟ هي رفضت تساعدني !

نظر إليها بحيرة : هي اللي قالتلي يا بنتي انك محبوسة وعرفتني اللي بيحصلك وقالتلي أطلب البوليس ازاي بقى ما ساعدتكيش ؟ أنا تخيلت انك عارفة ومتفقين مع بعض، وما اتكلمتش في الموضوع لأنها طلبت ما أتكلمش ويفضل الموضوع سر، مفيش حد يعرف إلا محمود بس.

نظرت حنين لأميرة التي ابتسمت لها بحزن وبادلتها ابتسامتها بامتنان شديد .

دارت الجلسة وحنين تراقب وكأنها تشاهد فيلمًا سينمائيًا لا يخصها ولكن تلك كانت حياتها ، وتلك كانت آمالها التي تحطمت على صخرة الواقع المرير ، لقد حلمت أن ترقص على أنغام أغنيتها الساحره ولكن تلوت على أنغام واقع مرير كرهت كل لحظاته .

انتبهت لأمجد يتحدث عن معاناته معها ، ركزت على كلماته وسقطت دموعها؛ فهو يتهمها بالبرود ونكران جميله ومعارضتها له في كل خطوة ، اتهمها باحتياجه لما سمته هي اغتصاب كي يأخذ أبسط حقوقه التي شرعها الله له ، اتهمها واتهمها واتهمها ولقد أصمت الاتهامات أذنيها، أمسك والدها يدها بدعم ومد يده الأخرى ليمسح عبراتها برفق ويهمس : ما تخافيش كله مجرد كلام مفيش أي حاجة قالها تديله الحق انه يعمل اللي عمله ، ما تخافيش أنا معاك والصفحة دي اتقفلت .

همست برعب : ولو القاضي طلعه بريء ؟

ابتسم يطمئنها : القاضي أب وإنسان وعنده مشاعر ونظره واحدة ليك هيعرف انه بيكذب ، اطلعي واتكلمي

بدون خوف وبدون ما تعملي حساب لحد ، خليه يسمعك ويحس بيكِ وباللي عانيتيه .

أخيرًا وقفت حنين لتحكي مأساتها وبدأت كلامها وهي تنظر للقاضي بحزن: حكايتي بدأت مع أغنية كلمات اللي حلمت أعيش كلماتها لكن ما تخيلتش اني هعيشها بحذافيرها وأرجع مش معايا غير كلمات .

استمع القاضي لمأساتها بهدوء وأحس بصدق كلماتها وبراءتها وكره أمجد الذي استغل براءتها وطيبتها وحلمها وعاملها بأسوأ طريقة وأخيرًا نطق حكمه بالحبس ثلاث سنوات لتصرخ والدته وتندب لكنها صُدمت حينما رأت ابتسامة على وجه ابنها لتمسك ذراعها وقبل أن تنطق وتنهرها قاطعتها أميرة بتشفي : يستاهل ويستاهل عشرين سنة مش بس تلاتة وانتِ تستاهلي تزعلي علشانه لأنك طاوعتيه ومشيتِ وراه كان لازم تحميني منه ، كان لازم تحمي حنين منه ، كان لازم تحميه هو من نفسه بس انتِ مشيتِ وراه واتفرجتِ عليه وياريتك اتفرجتِ بس انتِ كمان شجعتيه يتمادى .

تركتها وخرجت لتتفاجأ بصديقها المقرب ينتظرها فاقترب منها يتساءل: عملتوا ايه طمنيني ؟

نظرت إليه بإبتسامة : أخد ٣ سنين .

تعجب من ابتسامتها وسألها بحذر : وده كويس ولا وحش؟

ابتسمت براحة: كان نفسي يبقوا أكتر هو بيحصد اللي زرعه، هشوفك بعدين سلام دلوقتي .

***

نظرت حنين لأمجد بكره وهو يصرخ بانهيار : انتِ ملكي يا حنين ولسه مراتي ، حتى لو اتحبست انتِ مراتي ومش هطلقك ، فاهمة؟ مش هطلقك .

نظرت لوالدها الذي ضمها بذراعيه، بينما محمود فاقترب منه ببرود: هتطلقها غصبا عن أنفك ودلوقتي تشوفك بعد ٣ سنين خدوه من هنا .

نظر لحنين باطمئنان: ما تخافيش هتطلقي بسهولة كمان ، انسيه يا حنين وابدئي حياتك من جديد .

***

استيقظت سارة من نومها المتقطع لتنظر لنفسها في مرآتها وتتمتم بحسرة: بقى انتِ في الآخر تتجوزي المتخلف ده ؟ ده يرضي مين بس ده ؟ ربنا ينتقم منك يا أبويا .

نظرت لفستان زفافها بكره وتذكرت هشام فكم تمنت أن يكون هو زوجها ! نعم كانت تطمع بماله ومركزه الاجتماعي ولكنها أحبته و تمنته زوجًا .

تذكرت حياتها الصعبة وعدم استسلامها دائمًا ، لم تستسلم أبدًا لظروفها وتحايلت عليها ودائمًا ما كانت تجد حلًا فلمَ تستسلم الآن ؟

تذكرت كيف وصلت لوظيفة البنك؟ حيث أغرت دكتورها بالجامعة وأوهمته بحبها حتى استسلم لها ثم خرجت برفقته وذهبت معه لشقته وصورته في أوضاع فاضحة وهددته ليساعدها في أن تلتحق بتلك الوظيفة أو تنشر صوره على السوشيال ميديا. تذكرت هشام وتذكرت لطفه وضحكته وقبلاته أيضًا . فكيف انتهى بها الحال لتتزوج شخصًا مثل الأسطى لمعي ؟

لا هي لن تستسلم بسهولة ولن تقبل أن يكون هذا قدرها، خرجت لوالدها بإصرار: أنا مش هتجوز الراجل ده واللي عايز تعمله اعمله بس جواز مش هتجوز .

اقترب منها مهددًا فصرخت به بحزم: هتضرب اضرب بس برضه مش هتجوز .

نظر إليها بدهشة؛ فتلك هي المرة الأولى التي ترفع صوتها وتتكلم معه بتلك الحدية !

أخيرًا صدر حكم الطلاق وذهبت صابرين برفقة ابنتيها وصديقتها وابنتها لشقة أمجد كي يأخذن متعلقاتها ، دخلت حنين بتردد ولكن أمسكت أختها وصديقتها يديها ، أخذت متعلقاتها فقط وحين أصرت صابرين على أن تأخذ هدايا أمجد رفضت حنين؛ فلقد كرهتها جميعها ؛فكل قطعة منهم لها ذكرى سيئة ، أخذت هذه العلب ونزلت إلى بيت حماتها التي فتحت الباب وصُدمت عندما رأتها فردت بفتور : عايزة ايه مش حبستيه؟ عايزة ايه منا ؟

علقت بهدوء : أنا اللي حبسته برضه ولا تصرفاته ؟ ولا سكوتك انتِ؟ على العموم أنا مش جايالك انتِ ،أنا جاية....

قاطعها خروج أميرة التي ابتسمت بشاشة : أهلا يا حنين اتفضلي ، ما تخيلتش إنك ممكن تيجي هنا تاني .

ابتسمت وهي تقترب : ولا أنا بس حبيت أديلك الحاجات دي .

فتحتها اميرة لتصدم بمحتوياتها : ايه دول ؟ ده دهبك انتِ يا حنين ؟

ابتسمت بحزن : كل قطعة منهم جابها بعد ما ضربني وكسرني فأنا عمري ما اعتبرتهم بتوعي ولا حبيتهم ، انتِ خديهم بيعيهم أو البسيهم أو شيليهم ، اعملي ما بدالك فيهم ، اتفضلي وأشوف وشك بخير .

***

لاحظ سمير ذبول زوجته وانطواءها على غير عادتها بل إنها تتعمد تجاهله معظم الأوقات ، خرجا من عملهما سويًا و وصلا بيتهما وحين اقترب منها ابتعدت بتوتر : هنزل أجيب رغد من تحت و ...

قاطعها ممسكا يدها بجدية : رغد عند مامتك مش تحت ، طلعت من المدرسة لهناك .

عقدت حاجبيها بغضب : وازاي تروح بدون ما تستأذن ؟ وازاي أصلا المدرسة توافق توديها بدون إذن منا ؟

جذبها سمير قربها منه : اهدي أنا اللي وديتها أو طلبت انها تروح لهناك .

نظرت له بحيرة : انت ؟ ليه ؟

نظر لعينيها بنفاد صبر: علشان محتاج أفهم مراتي مالها ؟ وسايباني ليه ؟ انتِ فين يا دعاء؟ ليه مش لاقيكِ ؟ما تتخيليش انتِ واحشاني ازاي ؟

علقت بهجوم : واحشاك ازاي وأنا معاك اهو وقدامك ؟ أنا هدخل أجهز...

قاطعها غاضبًا : يا دعاء بحاول أتكلم معاكِ فبطلي تغيري الموضوع كل شوية ؟ مش معقول مش عارف أتكلم معاكِ ؟

صاحت بانفعال: وتتكلم معايا ليه ها؟ أنا مش عايزة أتكلم ولا هو لازم أسمعك لما تحب تتكلم ؟ مش عايزة أتكلم.

تركته وتوجهت لغرفتها لتجلس على سريرها تبكي حالها وظروفها ، بينما سمير جلس بالخارج يحاول استيعاب زوجته وحالتها وسبب غضبها بتلك الطريقة ؟ هو لم يقترف ما يزعجها فما سر هذا الغضب ؟

وقف وهم بالخروج لكنه توقف فلابد أن يفهم أولًا ما بها ، دخل غرفته لتمسح هي دموعها بسرعة لكنه لاحظها ، جلس أمامها بهدوء : طيب فهميني فيك ايه ؟ بس فهميني ما تسيبينيش افترض كده !

نظرت له مطولًا ثم ردت بنبرة خالية من الحياة بما صدمه : أنا عايزاك تتجوز دينا بنت خالتك ، اتجوزها تحت عند مامتك واهي خالتها وهيتعايشوا مع بعض وأنا هفضل هنا مع بنتي ، خد الخطوه دي .

نظر إليها مطولًا غير قادر هل ما سمعه حقيقة أم تخيل أنها أخبرته بأن يتزوج بغيرها ؟ هل حقا أعطته الاذن بالزواج ؟ هل تظن أنه يحتاج لمثل هذا الإذن كي يتزوج بغيرها ؟

***

قررت حنين العودة إلى عملها ، نظرت لغرفتها التي كرهتها وكرهت كل معالمها وشرعت في تنظيفها ، قطعت كل الصور التي كانت تعلقها ، مزقت كل زخرفة الحوائط ؛ فحياتها جافة وكذلك غرفتها ستكون ، هدمت مكتبتها الصغيرة ،رمت كل ألعابها التي تحتفظ بها منذ نعومة أظافرها ، أخفت كل معالم الحجرة تمامًا ، فتحت خزانتها وأخرجت كل الفساتين ذات الألوان الفاتحة؛ فلقد قررت أن تعيش بلا ألوان فحياتها أصبحت بلا ألوان ، أخيرًا نظرت لغرفتها برضا ، جمعت كل ما مزقته وخرجت تحضر أكياسا سوداء كبيرة للقمامة لتلاحظها أختها فوقفتها ولكن لم تهتم بها وأكملت طريقها فتبعتها حور لتتفاجأ بمنظر غرفة أختها فلكم عشقت كل تفاصيل تلك الغرفة! عشقت إطار الورد الذي صنعته هي وصديقتها وعلقته، عشقت ذلك الورد الجاف فوق خزانتها ، عشقت كل الصور التي جمعتها طوال سنين حياتها ، عشقت تلك السلاسل والعقود التي كانت تعلقها على مرآتها حتى وإن لم تعد تلبسها ، عشقت احتفاظها بكل ألعابها من عرائس صغيرة لدبابيس لتفاصيل أخرى كثيرة ، لقد انتهت حنين حقًا ، تفاجأت حور بدمعة تنزل من عينيها ، خرجت مسرعة لوالدها ليتفاجأ بمنظرها فسألها بقلق: في ايه يا حور ؟

نظرت لوالدها ودموعها تخرج عن سيطرتها : حنين دمرت أوضتها يا بابا ، دمرت كل ذكرياتها ، دمرتها .

جرى عبدالقادر وتبعته زوجته ليقف مصدومًا حينما رأى غرفة ابنته الناعمة الوثيرة التي كان يعاني ليجد مكانًا يجلس فيه وسط ألعابها و وسائدها الناعمة وقصصها ورواياتها وأسطواناتها؛ لقد أصبحت صحراء جرداء لا يوجد بها سوى أثاثها مجردًا فقط ، همس باسمها بدهشة: حنين ؟

نظرت لوالدها وحاولت أن ترسم ابتسامة وهي تجمع الأكياس : نظفت الأوضة ، أخيرا (حاولت أن تبتسم وهي تذكره) كنت كل شوية تقولي نفسي أشوف أوضتك رايقة ، أديني روقتها .

نزلت دمعة من عينه ؛ فهو لم يقصد أبدًا أن تفعل ما فعلته الآن ، هو لم يقصد ذلك أبدا ، اقترب وأمسك ذراعها ليجذبها لصدره دون أن ينطق بحرف فدفنت هي وجهها في كتفه بنشيج باكٍ: جربت وحبيت واتدمرت وطلع كله مجرد كلام ، كله كلام وبس ، كده أفضل

ابتعدت صابرين بهدوء لغرفتها ووقفت تنظر للمجهول أمامها ؛ هي مَن دمرت ابنتها بتلك الطريقة ، نعم هي ، حاولت حمايتها لكنها قتلتها وقتلت أحلامها ، خافت من المجتمع ونظرته وأحكامه القاسية وافترضت أن ابنتها ستعاني قسوته وتصرفت بناء على قناعتها الخاصة ، كيف لم ترى أن ابنتها مختلفة عنها ؟ كيف لم ترى أن أمجد لم يحبها ولكن أحب امتلاكها فقط كقطعة مجوهرات يضعها بخزنته ويغلق عليها ؟ كيف أغمضت عينيها بهذه الطريقة ودمرت ابنتها ؟ نعم هي لن تلوم سواها فلتبكي وتبكي عل دموعها تريح قلبها أو تعيد الحياة لابنتها .

في غرفة حنين مازالت على وضعها هي ووالدها حتى ابتعدت قليلًا ومسحت دموعها ونظرت لوالدها بانكسار: استوعبت الدرس كويس ما تقلقش عليا أنا كويسة وهبقى أفضل .

أمسك وجهها بيديه بحنو : بس الحياة مش كده ، الدنيا مش بس فيها القسوة فيها

قاطعته برفض: فيها حب ؟ أي حب ؟ فيها حبك انت ، حب أب لبنته وبس ما شوفتش غير الحب ده ، لو محظوظ ممكن يكون فيها حب أم كمان ، مش عايزة أي حب تاني ومكتفية بحبك انت .

حاول أن يعترض لكنها أوقفته بتساؤل: انت عشت الحب ده؟ اديك متجوز بقالك سنين طويلة ومكمل لحد دلوقتي قولي عشت الحب ده ؟ أنا اه بشوفكم متفاهمين لكن ما شوفتش حب ، علشان الحب مالهوش وجود ، فما تكلمنيش عن شيء مش موجود ، حياتي هكملها وهرجع أقف على رجليا من تاني ، هقف وهكمل بدون حب ، الحياة هتكون أجمل بدون حب ، هتكون أجمل لما تعرف الحقيقة البسيطة دي ان الحب ده مجرد وهم

في الروايات وبس مالهوش وجود في الحياة ، بكرا هرجع شغلي وهكمل حياتي .

***

دخل إيهاب لشقته مبتسمًا بسعادة بما أنجزه فيها! لقد حولها لتحفة فنية ، انتهى العام الدراسي ولكن المشاريع الأخيرة ساعدته كثيرًا وسرعان ما سيبدأ العام الجديد بمشاريع جديدة ، تنهد بارتياح؛ فإذا استمر عمله الناجح فلربما يستطيع الانتهاء منها وفرشها ولربما أيضًا يجد مَن تشاركه فيها، حلم لم يجرؤ إلى الآن على التفكير فيه ولكن لم يعد بعيدا أبدًا عنه؛ فالحياة حتما ستكون أجمل حين يدق الحب باب قلبه ، حين يرى بعينيه أن الحب موجود حقا وليس مجرد وهم قرأ عنه في رواية ما أو شاهده في فيلم ما، الحياة حتما ستكون أجمل بالحب .

لكل بداية نهاية ولكن هل هذه نهاية حكايتنا ؟ فللحديث بقية

وإلى اللقاء في الجزء الثاني مع كلما!!!!!!!!ات

بقلم : الشيماء محمد أحمد

شيموووووو